
Add to Basket
محسن محمد
التاريخ السرى لمصر

التاريخ السرى لمصر

الغلاف بريشة الفنان الكبير

حسين بيـــكار

الناشر : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر

٧ ش نــوبار ت ٢٦٦٠٢ الاسكندرية

٢ ش شريف ت ٥٣١٢٧ القـــاهرة

محسن محمد

التاريخ السري لمصر

المكتب المصري الحديث
للطباعة والنشر
تليفون ٤٦٦٠٢
الإسكندرية

من أرشيف الحكومة البريطانية •

ومن وثائق وزارة الخارجية البريطانية فى لندن •

ومن التقارير التىكتبها السفير البريطانى فىمصر الى حكومته•

ومن المذكرات التى كتبها اللورد كيلرنولم تعلن الا بعد وفاته•

ومن ••

ومن ••

أقدم هذه الصفحات من التاريخ السرى لمصر •

محسن محمد

١٢ كيلومترا للبحث عن مصر

سافرت الى لندن لأبحث عن سر !

وأمضيت فى العاصـــمة البريطانية عـــدة أسابيع كان برنامجى خلالها واضحا ومحددا .

أغادر الفنــدق مبكرا كل صـــباح ــ لأقف أمام المبنى رقم ١٨ شارع البرتغال عنـــد تقاطعه بشارع سيرل حتى يفتح الباب فى التاسعة والنصف .. فأكون أول من يدخل .. ثم آخر من يغادر المبنى فى الخامسة مساء .

.. وليلا .. وأثناء عطلة نهاية الأسبوع كنت أجلس فى حجرتى . أراجع مئات الأوراق التى حصلت عليها مقابل رسوم محددة تدفع لتصوير المستندات الأصلية فان ذلك البناء هو مركز الوثائق العامة للحكومة البريطانية .

.. وللمكتب قواعد معروفة ..

غير مسموح لك ــ على الاطلاق ــ أن تستعمل الحبر فربما كنت من عشاق التاريخ لدرجة أنك ــ دون أن يفطن اليك أحد ــ تحذف كلمة ، أو جملة ، من الوثائق لتغير وتبدل معناها لصالح بلادك .. فان بعض الوطنيين يريدون تغيير المستقبل .. وبعض الوطنيين المخلصين المتحمسين يريدون ــ أحيانا ــ تغيير الماضى أيضا ! .

ولا يسمح لك بالدخول الا باثبات شخصيتك وهدفك ، ثم تحصل على بطاقة تعطيك حق الجلوس على أحـد مقاعد مركز الوثائق خمس سنوات كاملة تنقـل بالقلم الرصاص .. أو تطلب اليهم تصوير ما تريد فيعطونك ــ فى الصباح التالى ــ صورة لأى وثيقة مقابل ستة قروش للصفحة الواحدة .. وهو مبلغ زهيد لشراء التاريخ .. !

واذا لم تجد مقعدا فيجب أن تنتظر ، وأمامك عشاق التـاريخ يقرأون .. وأنت وحدك .. تتلهف .. وتتلمظ .. وأحيانا يطول بك الانتظار الا اذا اشتركت فى سباق التبكير .. كما فعلت .. !

ومن سوء الحظ أن بعض الذين يحبون التاريخ لا يملكون القدر الكافى من المـال . ولا يستطيعون شراء كل الوثائق ولذلك يجيئون لينقلوا نسخا منها ، أو ينسخون صورا على الآلات الكاتبة .. وهناك حجرات خاصة للآلات الكاتبة .. تحفظ .. وتكتم الصوت!

* * *

والمركز يسمح لك بالاطلاع على صور الوثائق الأصلية .

والمركز يبيـع صور اى مستند وعليـه تأشيرات المسئولين وقراءاتهم .

.. وبريطانيا ــ رغم الثمن البسيط للصور ــ تربح الآن من بيع تاريخها ، وتاريخ الدول التى تعاملت مع بريطانيا أو كانت خاضعة لهـا وتحت حمايتها فى يوم من الأيام .

والمشترون للتاريخ بالألوف ، كل يوم ، وكل ساعة .

والصور الفوتوغرافية للمستندات المطلوبة ، بالألوف أيضـا .. والزحام على الأماكن فى مركز الوثائق .. شديد للغاية .

هناك دبلوماسيون وصحفيون وأساتذة جامعات وطلاب علم ومؤرخون من جميع أنحاء العالم .

وهناك روائيون ، يبحثون فى الأوراق ، يفتشون عن حكايات كالأساطير ، ومغامرات مثيرة كالروايات البوليسية .. وفى كل ورقة تلمس حكاية ، ومن كل صفحة تنبض وتلمع قصة ..

ومن خلال الملفات تجد التاريخ أمامك فيه كل قصص الشعوب من وجهة نظر بريطانية بطبيعة الحال .

* * *

وسر الزحام يرجع الى القرار الذى أصدرته الحكومة البريطانية أخيرا باذاعة النصوص والأوراق والمستندات الخاصة بـ ١٢ وزارة فى بريطانيا خلال الحرب العالمية الأخيرة .

وهذه الوثائق فى ٩٠٠ مجلد ولو وضعت فوق بعضها لبلغ طولها ١٢ كيلو مترا .

وبين هذه الوثائق المداولات السرية لمجلس الوزراء ووزارة المستعمرات . وقيادة القوات المسلحة والبرقيات الشفرية المتبادلة بين السفارات البريطانية ووزارة الخارجية وتقارير كل السفراء حتى أوائل عام ١٩٤٥ .

والقانون البريطانى ينص على « الافراج » عن هذه الوثائق بعد مرور خمسين عاما . وقد عدل هذا القانون عام ١٩٦٧ فسمح باعلان الوثائق بعد ٣٠ عاما فقط ، باعتبار أن فترة الثلاثين عاما كافية لتجعل هذه الوثائق مجرد صفحات من التاريخ ، اختفى أبطالها بالموت أو بالابتعاد عن مسرح الأحداث . ولم يعد للوثائق من الفاعلية بحيث تؤثر فى مجرى الأمور فى بريطانيا أو غيرها فى دول العالم .

وكان هدفى أن أبحث عن مصر ، فى هذه الوثائق .. وبالذات فى تلك الفترة الحاسمة من تاريخها أيام الحرب العالمية الثانية ، وروميل على الأبواب ، وقواته تتقدم صوب الحدود المصرية .. وتخترق السلوم .. ومرسى مطروح لتقف عند حدود الاسكندرية

فى منطقة أصبحت لها الآن شهرة عالمية .. عسكريا وسياحيا.. وهى منطقة العلمين التى يزورها السياح من الألمان والانجليز والايطاليين ليقفوا عند قبور تقاربت .. وكان أصحابها يريدون الاستيلاء على هذه الأرض فنالت دماؤهم — أو بقاياهم — منها مجرد أشبار .. !

وفى بعض الوثائق وجدت اشارة لاحداث قديمة وقعت قبل الحرب بسنين .

ان الوثائق تبين لأول مرة كيف ان الانجليز فكروا فى عزل الملك أحمد فؤاد عندما اشتد عليه المرض وقرروا تعيين ابن شقيقه الأمير محمد على ملكا على مصر .

وهناك اعترافات لرجال وزارة الخارجية البريطانية تؤكد انهم غيروا رؤساء الوزارات ورؤساء الديوان فى مصر أيام الملك فؤاد .. وفاروق .

* * *

ولم يكن البحث عن التاريخ السرى لمصر أيام الحرب العالمية الثانية مسألة صعبة .

ان السفير البريطانى فى القاهرة كان يبعث الى وزارة الخارجية فى لندن برقيات متعددة تصل الى عشرة فى اليوم الواحد .

وكان السفير السير مايلز لامبسون أو اللورد كيلرن — كما عرف فيما بعد — يستشير حكومته فى كل صغيرة . ويبلغها بكل كبيرة . ويعطى المسئولين فى وزارة الخارجية — وهم فى مكاتبهم بلندن — صورة كاملة فيها كل التفاصيل الدقيقة عن الحياة فى مصر ، والرجال الذين يحكمون .. مبادئهم ونزواتهم أيضا ..

وكان السفير وحكومته يهتمان بكل الأمور فى مصر .. ابتداء من محصول القطن ، حتى حالة الأمن .. ويراقبون غراميات الملك واسرته .. ويتابعون انباء الحاشية والتعيين فى المناصب

الكبرى بمـا فيها الأزهر . ويسجلون مكالمات الملـكة نازلى . ويغضبون اذا منحت هدى شعراوى وساما . ويراجعون أذون الترخيص بالتنقيب عن الآثار المصرية .. !

أما الهدف الأول للسفير وحكومته فهو أن يتأكدا من أن شاغل كل منصب يدين بالولاء لبريطانيـا ، أو على الأقل لا يعـارض سياستها أثناء الحرب .

وكانت برقيات الخارجية البريطانية الى السفير متعددة أيضا على مدار الأسبوع !

والغريب فى الأمر أن عـددا من المسئولين المصريين كانـوا يجتمعون بالملك أو بزملائهم من زعماء الأحزاب .. ثم يخرجون من هذه الاجتماعات الى دار السفارة البريطانية لابلاغ السفير بما جرى .. والسفير يبرق لحكومته .. والمسئول المصرى يظن أن المسألة ود وصداقة بينه وبين السفير .. وأن سفراء بريطانيا لا يتكلمون .. أو تموت الأسرار بموتهم .

وتبين من هذه الوثائق أن كل سفير كان يسجل محضرا بـكل حديث ويبرق به لحكومته .. ولذلك كان كل سفير يتم عمل الآخر من خلال مراجعة البرقيات القديمة والتقارير السابقة .

وثبت من كل ماقرأت أن التاريخ لا يموت .. ولن يدفن أبـدا .. وأن الحقيقة لا تضيع .. وأنها تبعث دائما . .

ولقد قرأت برقيات تغطى وجه الحياة فى مصر من أكبر الى أصغر وأتفه الشئون .

رأيت التاريخ الحقيقى أو السرى لمصر من خـلال البرقيات العـديدة التى كان يتم تبادلها بين قصر الدوبارة أو السـفارة البريطانية فى جاردن سيتى بالقاهرة .. وبين الدور الثانى من مبنى وزارة الخارجية البريطانية بشارع داوننج ستريت .

وهذا المبنى لا يحمل رقما على الاطـلاق . ويوجد فى الدور الثانى منه مكتب وزير خارجية بريطانيا .

.. جلست أخيرا .. ساعة كاملة فى مكتب وزير خارجية بريطانيا ـ الوزير الحالى طبعا ـ وأخذ الوزير يتحدث فى مختلف شئون السياسة الدولية .

واعترف الآن فقط أن اذانى كانت مع السير اليك دوجلاس هيوم .. اما عيونى فكانت على لوحة كبيرة رسمت لشخصية تكاد تكون خرافية فى التاريخ البريطانى وهى بالمرستون .. فان هذا الرجل هو المثل الأعلى لكل وزراء خارجية بريطانيا ولذلك وضعوا صورته أمام أى وزير للخارجية ليقولوا له حاول أن تكون مثله .. أ وبعبارة بسيطة .. بص شوف بالمرستون بيعمل ايه .. !

وبالمرستون لم يكن وزيرا للخارجية فحسب .. كان فى فترة من الفترات وزيرا للحربية والخارجية واسندت اليه رئاسة الوزارة حينا وعاش حتى سن الـ ٨١ ليقف مع بلجيكا ضد فرنسا ، ومع تركيا ضد روسيا . وضم هونج كونج للتاج البريطانى . وساعد سويسرا على فرنسا والنمسا . وساند جزيرة صقلية ضد ملك نابلى ، وجزيرة سردينيا ضد النمسا .

وايد بالمرستون الايطاليين ضد الفرنسيين ، والبولنديين والدانمركيين ضد النمسويين والبروسيين .. ووقف بكل قواه يعارض مشروع انشاء قناة السويس حتى لا يعطى فرنسا فرصة مد نفوذها الى مصر والشرق الأوسط .. !

وسرح بى الخيال بين بالمرستون وبين اللورد هاليفاكس الذى كان وزيرا لخارجية بريطانيا فترة قصيرة خلال سنوات الحرب.. وبعده انتونى ايدن الذى بقى وزيرا لخارجية بريطانيا طوال سنوات الحرب .

* * *

ما أكثر القرارات التى كنا نظن فى شبابنا أن الملك فاروق هو المسئول عنها ..

ما أكثر القرارات التى كنا نظن أن زعماء أو رؤساء وزارات مصر هم الذين أصدروها ..

ولكن الوثائق التى قرأتها أكدت لى أن كثيرا من القرارات الخاصة بمصر .. والتى اثرت فى مستقبل مصر .. صدرت فى تلك الغرفة .. أى فى مكتب وزير خارجية بريطانيا .. أصدرها هاليفاكس .. أو أصدرها انتونى ايدن .. أما بالمرستون فكانت مصر على عهده بعيدة عن النفوذ البريطانى !

* * *

والوثائق التى جئت بها من لندن بالمئات وأنا أضعها أمام الباحثين عن تاريخ مصر .. والذين يريدون أن يعرفوا من كان يحكم مصر .. وأسلوب الحكم والحياة السياسية فى بلادنا .. خلال الحرب العالمية الثانية ..

وكان يمكن .. أو كان يجب أن تنشر هذه الوثائق كلها .. ولكن فيها أيضا أحيانا تكرارا .. وفيها مالا يهم الا الباحث المتخصص .. ولذلك اخترت منها مائتى وثيقة .. وكانت الصعوبة الوحيدة أمامى هى عملية الاختيار .. عند النشر .

* * *

وهذه الوثائق لا تحتاج الى تعليق .. لولا أن شباب هذا الجيل لا يعرف شيئا عن الظروف والملابسات والأسماء .. ولذلك فان ما أقدمه لكل مجموعة من الوثائق مجرد عرض تاريخى للاحداث .. أو للاشخاص .. أما الوثائق نفسها فان كلمتها قاطعة .

* * *

وهذه الوثائق تغطى فترة خطيرة فى تاريخ مصر والمنطقة .

.. كان مصير الحرب العالمية الثانية يتأرجح .. الالمان على بعد ٦٠ ميـــلا من الاسكندرية ، والفريق عزيز المصرى يحاول الهرب لالمانيا ، ورشيد عالى الكيلانى يقوم بثورة فى العـــراق ، ورضا بهلوى امبراطور ايران يعزل لأن الانجليز يشكون فى ولائه.

وهى فترة شهدت بداية الاغتيالات السياسية فى مصر بمصرع احمد ماهر ثم أمين عثمان والنقراشى .

والوثائق تكشف الستار عن هذا كله .. ؟

.. ولعـــل أهم ما توضحه الوثائق القصـــة الكاملة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

* * *

● فى أول وآخر كتاب أصدره جمال عبد الناصر وهو «فلسفة الثورة » قال عبد الناصر يصف مشاعره والضباط المصريين :

« وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين ، خانعين .. كان للحادث تأثير جديد على الروح المعنوية .. فبعـــد أن كان الضباط يتكلمون عن اللهو أصبحوا يتكلمون عن التضحية وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا — مع ضعفهم الظاهر — ولكن غدا لناظره قريب » .

.. ومعنى ذلك أن هذا الحادث هو بداية قيام تنظيم الضباط الأحرار .

● وقال انور السادات فى كتابه « اسرار الثورة المصرية — بواعثها الخفية واسبابها السيكولوجية » .

« ان فاروق تعلم درسا من حادثة ٤ فبراير وهو الا يعارض سياســـة بريطانيا .. وتطورت الأمور فأنعمت عليـــه بريطانيا برتبة جنرال فى الجيش البريطانى » .

ومعنى ذلك ان هذا الحادث نهاية ملك ..

● أما الدكتور محمد حسين هيكل باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين ووزير عدة وزارات فى مصر وكان فى يوم من الأيام رئيسا لمجلس الشيوخ فقد كتب فى مذكراته :

« رغم انقضاء عشر سنوات على ذلك اليوم المشئوم لم أستطع أن أجلو أسراره ، رغم ما بذلت من محاولات لهذا الغرض » .

ويقول الدكتور هيكل :

« انه من الأيام الحالكة السواد فى تاريخ مصر ، وفى تاريخ انجلترا فى مصر . وهو يوم يؤرخ الناس به كما يؤرخون بيوم دنشواى ، أو بموقعة التل الكبير ، أو بضرب الاسكندرية » .

ومعنى ذلك أن المؤرخ والسياسى المصرى يرى أن ذلك الحادث أثبت أن استقلال مصر خرافة مادام هناك احتلال وجيش بريطانى .. وأن نقطة البداية هى خروج الانجليز .. وخروج المختل أولا .

● ويقول المؤرخ الوطنى عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الثالث من كتاب « فى أعقاب الثورة » ان مصطفى النحاس باشا هو المسئول الثانى عن حادث ٤ فبراير وليس عمله من الاستقامة الوطنية فى شىء » .

ومعنى ذلك أن الحادث يعتبر هفوة ضخمة لزعامة النحاس .. أو بداية النهاية لزعيم وطنى .. !

● وبعد ٢٥ سنة من حادث ٤ فبراير كتب الدكتور محمد أنيس فى فبراير عام ٦٧ دراسة قيمة قال فيها « .. ان هذا الحادث هو أكثر الحوادث غموضا فى تاريخ مصر .. وقد أدى الى تدهور قيادة الوفد وتضاعف قوى اليمين واليسار » .

ومعنى ذلك أن هذا الحادث بداية هزة اجتماعية فى مصر .

.. ولكن ما هو حادث ٤ فبراير على وجه التحديد وبعد كل هذه المقدمات المثيرة .

ان الدبابات البريطانية حاصرت قصر عابدين وأرغمت الملك فاروق على تعيين مصطفى النحاس باشا رئيسا للوزارة .. وقدية .. خالصة .. !

والوثائق ترفع الستار — لأول مرة — عن سر الغموض .. او عن الأسباب الحقيقية التى أدت لهذا الحادث .. الذى هز الملك والوفد ، واضاع الاستقلال ، وحرك اليمين واليسار ، وجعل ضباط جيش مصر يهتمون بالسياسة ويشكلون تنظيما للضباط الأحرار .. وبعبارة أخرى .. فان هذا الحادث هو الذى مهد لقيام ثورة ٢٣ يوليو ..

والغريب فى الأمر .. أنه رغم خطورة ما جرى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ .. فان الشعب المصرى لم يكن يعرف الحقيقة .. بل ان اسرار الحادث اقدمها اليوم كاملة .. لأول مرة بالوثائق والمستندات ومن خلال أقوال المشتركين فى الحادث..وصانعيه!

* * *

ان معظم الذين اشتركوا فى حادث ٤ فبراير رحلوا عن هذا العالم .

لا أحد منهم يستطيع أن يرد ، أو يشرح ، أو يفسر ..

رجل واحد ترك مذكراته السياسية وهو الدكتور محمد حسين هيكل باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين .. أما باقى الزعماء أو معظمهم ، فقد تكلموا مرة واحدة ، واعطوا رأيهم فى حادث ٤ فبراير،عندما سئلوا أمام القضاء فى قضية اغتيال أمين عثمان.

وكل الشهود من زعماء مصر أدوا اليمين القانونية قبل أن يدلوا بشهادتهم .. ولكن يجب الا ننسى ان السياسيين المصريين تكلموا عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ أثناء نظر القضية وكان فاروق لا يزال يحكم مصر .. وكان اللورد كيلرن قد نقل من مصر وحل محله سفير آخر قرأ كل أوراق اللورد وعرف حقيقة اتصالاته

بالزعماء ، وهو ـ أى السفير ـ يملك النفوذ والسلطان .. ويستطيع أن يعين رئيسا لوزراء مصر .. وعند الضرورة يستطيع أن يعزل رئيس وزراء مصر .. أو يرغم الملك على عزله .

وكان السفير يستطيع أن يعتقل رؤساء الوزارات السابقين كما سنرى .. بالوثائق ..

ولم يكن أحد من زعماء مصر يملك السلطة ، أو يتصور أن فى يده سلطة شعبية تستطيع أن تكره السفير البريطانى على أمر .

.. وفى ضوء هذا كله يجب أن نفسر شهادة زعماء مصر .. بمقاييس تلك الأيام .. لا بمقاييس الظروف التى تغيرت بعد عزل الملك ..

****

بقيت كلمة أخيرة ..

ان اللورد كيلرن كتب خلال الى ١٢ عاما التى أمضاها فى مصر مذكرات كاملة عن الأحداث التى عاشها .

وفى هذه المذكرات ، كما رأيت وقرأت نص صور البرقيات التى كان يبعث بها كيلرن الى حكومته فى لندن .

والمذكرات الكاملة لكيلرن تقع فى مليونى كلمة .. وكان مستحيلا أن تنشر كاملة ولذلك اختار منها سكرتيره السابق تريفور ايفانز ١٠٠ ألف كلمة ونشرها بعد وفاة اللورد وبعد الـ ٣٠ سنة التى تطبق عليها قاعدة مركز الوثائق العامة .

وتريفور ايفانز كان سفيرا لبريطانيا فى عدة دول عربية هى الجزائر ودمشق وبغداد فهو رجل يعرف المنطقة كما أنه عمل مع كيلرن سكرتيرا خاصا له فى السفارة البريطانية فى القاهرة .



ولم يكن كيلرن هو أول سفير بريطانى ينشر مذكراته عن مصر.

لقد سبقه فى ذلك اثنان الأول هو اللورد كرومر قنصل بريطانيا العام فى مصر .

والثانى اللورد جورج لويد المندوب السامى البريطانى فى القاهرة .. والاثنان أسرعا بنشر المذكرات قبل فترة الثلاثين عاما التى ينص عليها قانون مركز الوثائق .. ولذلك فان كرومر ولويد لم ينشرا أسماء الزعماء المصريين الذين تعاملوا معهما .. ولم يذكرا أسماء الذين كان يترددون على قصر الدوبارة ومقر السفارة البريطانيا — للاستشارة أو للادلاء بالأخبار والمعلومات .

واللورد كيلرن ، أو السير مايلزلامبسون ، ترك فى مذكراته كل الأسماء .. وفى برقياته أيضا ذكر كل الأسماء .. أكثر مما فعل أى مندوب سامى بريطانى .. وربما كان هذا عاملا من عوامل زيادة سوء الحظ للزعماء المصريين الذين عاشوا فى عصر كيلرن !

***

وهناك عيب واحد فى مذكرات كيلرن ..

ان المذكرات تصف الأحداث والمواقف من وجهة نظر كيلرن فحسب ؛ ولا تعرض رأى حكومته ابدا . ولا تنشر المذكرات أى وثيقة بعثت بها وزارة الخارجية البريطانية الى سفيرها فى القاهرة .. بينما أرشيف الحكومة يبين أن السفير لم يكن محور الأحداث ، أو مركزها .. بل كان فى كثير من الأحيان مجرد ساع للبريد بين القاهرة ولندن .. وفى أحيان أخرى كان مثل أى ممثل يؤدى دورا محفوظا كتب له فى لندن .. وان كان يقوم فى نفس الوقت بدور المخرج أيضا .. ولكنه لم يجرؤ فى يوم من الأيام على الخروج عن النص .. كما يفعل بعض ممثلى هذه الأيام ..

ان السفير البريطانى كان يبعث بالاقتراح الى لندن .. وينتظر الرد والقرار من لندن .

وعلى أية حال فهذه مصر .. فى فترة حاسمة من تاريخها خلال الحرب العالمية الثانية ..

وهذه مصر عندما كانت فى مفترق الطرق بين عهدين .

وهذه هى الوثائق والمستندات تنشر كاملة .. ولأول مرة .. لعشاق التاريخ .. للاستفادة مما جرى ولا تملك القدرة على تغييره لنحاول أن نصنع ونكتب تاريخا جديدا .. أفضل وأروع.

خاتمة اللورد .. القنصل

اول سؤال يخطر على البال :

ـــ ما هى أهمية الوثائق البريطانية ؟

ـــ ماذا يعنى مصر اذا كتب المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الى وزير خارجيته فى لندن يقترح .. وماذا يهم مصر .. اذا استجاب الوزير البريطانى الى هذا الاقتراح .. ؟

واذا كان للمندوب السامى نفوذ من اى نوع فى عهد الاحتلال. وقبل توقيع معاهدة ١٩٣٦ .. فلابد أن الموقف تغير بعد توقيع هذه المعاهدة .. وبعد أن أصبح المنـــدوب السامى البريطانى سفيرا .. يتقدم غيره من السفراء .. !

* * *

ولكن القانون والمعـــاهدات شىء .. والواقع شىء آخر .. مختلف تماما ..

ان قصة المندوبين الساميين البريطانيين فى مصر .. هى بعض قصة مصر كلها أثناء الاحتلال .. أو بعبارة أدق هى قصة الوزارات وتعاقبها فى مصر .

وليس الهدف أن نقدم تاريخ هؤلاء المندوبين .. أو الوزارات المصرية .. أو الزعماء الذين قاوموا مندوبى بريطانيا أو تفاوضوا معهم ، أو امتثلوا واستسلموا لأوامرهم .. بل ان الهدف الوحيد أن نعطى صورة كاملة تبين كيف كانت تحكم مصر فى عهد كل مندوب .. حتى نحدد العلاقة بين أجهزة الحكم الثلاث فى مصر .. الملك .. والوزارة .. والمندوب السامى .. وكيف تطورت هذه العلاقة حتى وصلت الى ذروتها يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ .

* * *

كل مندوب سام جاء الى القاهرة .. كانت له مهمة محددة يحققها .. ثم ينقل .. !

.. ومع أى تغيير فى سياسة الحكومة البريطانية ينشأ عن انتخابات فى بريطانيا وتولى حزب جديد .. الحكم ..

.. ومع أى تبديل فى سياسة بريطانيا نتيجة للعبة السياسة الدولية والتوازن الدولى .. كان لابد من استبدال المندوب السامى البريطانى فى مصر ..

.. يصل المندوب الجديد الى القاهرة ..

ويفرح المصريون لأنهم تخلصوا من سلفه .. ويعلقون آمالا كبيرة على القادم حديثا من لندن .

.. يظن المصريون أن بريطانيا بتغيير المندوب السامى قد اقتنعت بموقف مصر ، أو ، على الأقل ، استجابت للمطالب الوطنية والنضال السياسى الشعبى ، أو الحزبى .

.. ويهدأ الكفاح الوطنى فى انتظار تنفيذ بريطانيا لسياستها الجديدة ..

وينشغل المصريون بالصراعات الحزبية والتنافس على مقاعد الحكم .

وتظهر ــ تدريجيا ــ سياسة المندوب السامى .. أو السياسة البريطانية التى جاء هذا المنـدوب لتنفيذها .. وتتضاءل ــ مع الزمن ــ آمال مصر فى رجل بريطانيا ، وفى الانجليز .

.. وتنشط الحركة الوطنية .. ويعلو المد الشعبى .

* * *

وتلجأ لندن لأسلوبها المتكرر . المعـاد . .

يتغير رجل بريطانيا فى مصر .. ولكن هدف بريطانيا فىاستمرار الاحتلال لا يتغير أبدا ..

.. والزعماء المصريون لا يعرفون ..

أو ربما يداورون ..

وفى كثير من الأحيان يناورون .. أو يأملون ..

وتستمر لعبة بريطانيا فى مصر أكثر من سبعين عاما ..

ويطول الاحتلال البريطانى لمصر أكثر من سبعين عاما ..

ويظل رجل بريطانى ، متغـير الاسم والسياسة ولكن ثابت الهدف ، يلعب على المسرح المصرى ليشغل الناس ويثيراهتمامهم. ويحاول الهاءهم عن الخطة البريطانية .

ويكون المتفرجون على هذا المسرح البريطانى .. من ساسة مصر .. أما الشعب فان ضل الطريق حينا وراء الزعماء .. فانه فى نهاية الأمر يهتدى الى آماله .. ويعرف أعداءه .. ويتخـذ نحو أهدافه .. طرقا جديدة ..

ونتابع هذه الأسماء .. ونقلب صفحات التاريخ ..

كرومر .. جورست .. كتشـنر .. هنـرى مكماهـون .. وينجت .. اللنبى نيفيل هندرسون ــ المندوب السامى بالنيابة ــ جورج لويد . برسى لورين . موريس بيترسون ــ وهو مجرد نائب

للمندوب السامى ، ولكن كان له دور ـــ وأخيرا السير مايلز لامبسون أو اللورد كيلرن .

٩ أسماء بريطانية خلال ٦٤ سنة .

وفى مقابل هـــذه الأســـماء نجد ٦٠ وزارة تشـــكل فى مصر .. فكأن عمر الوزارة المصرية .. عام تقريبا ! وفى عهد كيلرن بالذات يقل عمر الوزارة عن العام !

* * *

ولنبدأ بالسير ايفلن يارنج .. أو اللورد كرومر رجل بريطانيا الأول فى مصر ..

وكرومر يستحق سطورا اكبر من غيره .. فقد أمضى فى مصر ٢٤ عاما .. وهى أطول مـــدة أمضاها دبلوماسى بريطـــانيا فى القاهرة .. وفى العالم كله ويليه من حيث المدة .. لا من حيث الترتيب الزمنى .. اللورد كيلرن الذى قضى هنا ١٢ سنة !

جاء كرومر بعـــد الاحتلال البريطانى .. ليحكم مباشرة رغم وجود الخديوى توفيق على رأس السلطة الشرعية فى مصر .

وكان كرومر مجرد قنصـــل عام لبريطانيا .. ومع ذلك فهو الحاكم الفعلى ..

.. عندما يزور اقليما تكتب الصحف المصرية « ظهر جنـــاب اللورد كرومر » .. وأحيانا .. ظهر فخامة اللورد .. القنصل !

وهو يخاطب الجماهير فى اجتماعات عامة .. وينصح العمـــد فى اجتماعات عامة .. وكذلك الأعيان ..

.. ويحكم مصر كلهـــا عن طـــريق رجاله من الانجليز الذين « نثرهم .. ونشرهم » فى كل الوزارات .

* * *

وزارة المالية يحكمها المستشار المالى البريطانى .

والداخلية فيها المستشار البريطانى .. السير الدون جورست .. الذى يخلف كرومر بعد ١٣ سنة فى منصب القنصل العام .

والأشغال .. لها وكيل وزارة بريطانى .

والحقانية لها مستشار قضائى .. وبعض القضاة أيضا من الانجليز ..

والجيش على راسه السردار البريطانى وله مســـاعدون من الضباط الانجليز .

والبوليس تحت قيادة المفتش البريطانى .

.. ووصل الأمر بكرومر الى تعيين ياور انجليزى للخـــديوى توفيـــق .

***

وهو يعارض — علنا — فى الجلاء ..

قال :

« كان وعد بريطانيا بالجلاء .. قبل أن تعرف الحالة فى مصر، فلما عرفتها علمت أن وعدها فى غير محله ، وأن تنفيذه يؤدى الى أضرار جسيمة .

وعندما ينقل ويكرمه المصريون يقول فى حفل تكريمه :

« الاحتلال البريطانى يدوم الى ما شاء الله .. وما دام الاحتلال باقيا فالحكومة البريطانية مسئولة عن الخطة التى تجرى عليها الادارة المصرية » ..

وبهذه العبارة اعترف كرومر بأنه — وحده — المسئول عن كل شىء فى مصر .. قبل الخديو .. وقبل رئيس النظار .. أى رئيس الوزراء ..

ورغم ذلك كله يشترك المصريون فى تكريم كرومر .. ونجد بين اللجنة المنظمة لحفل التكريم أسماء مصرية كبيرة .. مصطفى فهمى باشا رئيس الوزراء ، وسعد زغلول — زعيم حزب الوفد فيما بعد — ومحمود سليمان باشا — والد محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين .. !

واذا كان سعد هنا بين اللجنة .. فيجب أن نفطن الى أن حياة سعد كانت مرحلتين اعتدالا ثم اقتناعا بضرورة الثورة ضد الانجليز . وكانت هذه اللجنة خلال الفترة الأولى المعتدلة من حياة سعد .

* * *

وعندما يعلو من الحركة الوطنية .. يرفع كرومر سلاحا مخيفا ليعبىء وراءه الانجليز .. وأوربا كلها .. يقول :

« التعصب مخيف على شواطىء النيل » ! .

* * *

وهو يحرم المصريين من التعليم ..

فى سنة ١٨٩٠ كانت ميزانية التعليم لمصر كلها ٨١ ألف جنيه .

وخلال تسع سنوات من عمر الاحتلال ، ومن عمر كرومر فى مصر .. لم يوافق كرومر — وفى يده الميزانية — الا على اعتماد مليونى جنيه للتعليم والصحة .. بنسبة ٥ر١٪ من الميزانية العامة ..

ويحارب اللغة العربية بكل الطرق .. وفى آخر ميزانية اقرها كرومر لم تزد ميزانية التعليم عن ٣٧٤ الف جنيه .. !

* * *

والـ ٢٤ سنة التى عاشها كرومر فى مصر أعطته الفرصة ليستنزف الاقتصاد المصرى لصالح الانجليز ويتعقب المصالح المصرية. يهدمها لحساب الانجليز .. !

ثار السودان فأعاد كرومر فتحه بأموال مصر وجيشها .. وأرغم مصر على أن توقع معاهدة ١٨٩٩ مع بريطانيا .. لا مع السودان .. ولا تعلن النصوص الا بعد التوقيع .

***

ويضع كرومر امضاءه على المعاهدة نيابة عن بريطانيا ويوقعها معه باسم مصر بطرس غالى باشا .. وزير الخارجية المصرية الذى يتولى بعد ذلك رئاسة الوزارة .. ويرأس المحكمة المخصوصة فى دنشواى .. ويغتاله — أى بطرس غالى — المصريون .. !

ويختار كرومر حاكما للسودان اللورد كتشنر .. ليستكمل مهمة فصل السودان عن مصر ..

.. ويكون كتشنر بعد سنوات قنصل بريطانيا العام فى مصر.. بعد كرومر .. وبعد جورست .

***

وحكاية كرومر مع مصر .. طويلة .. ومريرة أيضا ..

يوم مات ضابط بريطانى بضربة شمس فى دنشواى .. أمر كرومر بعقد محكمة عسكرية فى القرية لمحاكمة ٢١ من أبناء القرية ..

وفى ٣ أيام كانت المحكمة قد حاكمت وأعدمت ٤ وحكمت بالمؤبد على اثنين وبـ ٥٠ جلدة على ثمانية .. وتنفذ الأحكام داخل القرية أمام الزوجات والأبناء .. والآباء .. فخطة القنصل العام بالنسبة للشعب هى .. القمع .. !

وخطته بالنسبة للخديو .. الشاب الجديد عباس حلمى الثانى الذى ولى بعد توفيق .. الاذلال .. !

صبر عباس حلمى الثانى على رئيس وزرائه مصطفى فهمى باشا .. ثم بعث اليه محمود شكرى باشا رئيس الديوان التركى ليطلب اليه أن يستقيل ..

يرد رئيس الوزراء :

ـ هل ذلك بالاتفاق مع كرومر ؟

فيقول له رئيس الديوان :

ـ الخديو حر فى بلاده !

ولا يصدق رئيس الوزراء ذلك فيقول :

ـ سأستشير انا اللورد كرومر .

ويتعجل الخديو فيعين حسين فخرى باشا رئيسا للوزراء .

ويبعث كرومر الى روزبرى وزير خارجيته الذى يعطيه السلطة للتصرف مع الخديو . فيعطى الخديو مهلة ٢٤ ساعة !

ويمنع كرومر نشر مرسوم تعيين رئيس الوزراء فى الوقائع المصرية .

وعندما تشكل الوزارة بعد ٣ أيام يستقيل فخرى باشا . ويتفق الخديو وكرومر على حل وسط فيعين مصطفى رياض باشا رئيسا للوزراء ٣ شهور .. وبعد ١٠ شهور من استقالة مصطفى فهمى يعود ليبقى رئيسا للوزارة المصرية ١٣ سنة .. ولا يترك منصبه الا بعد عام كامل من استقالة كرومر نفسه .

وتنشر الصحف المصرية قصة أول أزمة وزارية فى عهد الاحتلال .. فان كرومر ترك الصحافة المصرية حرة لعدة أسباب: تخفيف الكبت .. واحتقارا للصحافة .. ولأن معظم صحف ذلك العهد كانت فى أيد غير مصرية .. !

* * *

هل هذا شعب مصر ؟

.. والجواب بالنفى ..

كان كرومر فى آخر سنواته لا يمشى الا فى حراسة الحراب البريطانية .. وطلب زيادة قوات الاحتلال .. وتبعه الغضب المصرى والحقد الشعبى فى كل مكان .. وتدخل الأجانب فى مصر يطلبون من بريطانيا قنصلا شابا أكثر مرونة .. !

اخطاء كثيرة ارتكبها كرومر بالنسبة لشعب مصر ..

وخطأ واحد ارتكبه بالنسبة للعبة الحكم فى مصر ..

.. جعل الخديو يقف مع الحركة الوطنية .. وان كان عباس حلمى الثانى قد بقى بلا فاعلية على الاطلاق ضد كرومر .. أو مع الحركة الوطنية .. !

وكان من الضرورى أن يجىء قنصل جديد يصحح خطأ كرومر ويفصل الخديو عن الحركة الوطنية ..

ولهذا جاء السير الدون جورست الى مصر عام ١٩٠٧ ليبقى فى منصبه ٤ سنوات .. وعندما نقل الى لندن مريضا بالسرطان. هرع خديو مصر الى انجلترا ليبقى بجوار فراش الموت للقنصل البريطانى .. وفاء .. وشكرا .. !

***

جاء جورست بأسلوب آخر .. هو الذى دارت فيه الحركة السياسية فى مصر زمنا طويلا .. أسلوب عرف باسم الوفاق والاتفاق مع الخديو ..

تنكر عباس حلمى الثانى للحركة الوطنية وللحزب الوطنى وزعيمه مصطفى وصرح للصحف البريطانية :

« ان المعتمد البريطانى ــ يقصد القنصل البريطانى المعتمد

لدى مصر — لا يستطيع حكم مصر وحده .. وأنا مستعد للتعاون معه .. والاحتلال البريطانى أفضل من أى احتلال آخر » .

ولم يكن جورست يقصد أن تعود السلطة الفعلية للخديو .. بل قصد « منحه » سلطة اختيار الوزراء .. ما داموا ينفذون رغبات الانجليز .. وما دام الخديو نفسه لا يعارض السياسة البريطانية .

ويستهدف جورست تمزيق مصر كلها التى اتحدت ضد كرومر والانجليز ..

حاول تمزيق الوحدة الوطنية بين الأقباط والمسلمين .

وحاول تفتيت الأحزاب .. فساعد على انشاء خمسة أحزاب جديدة بينها حزب النبلاء .. !

وأراد تشجيع المعتدلين ضد الوطنيين الذين سماهم متطرفين وساعد على انشاء مجلس شورى القوانين .. ليعطى لممثلى الاغنياء سلطة التشريع الاستشارية .. وليعطى للحركة النيابية شكلا ظاهريا لا مضمونا حقيقيا ..

وكان يحاول أن يبدو متواضعا .. وأن يبين أن المصريين لا يكرهون القنصل البريطانى فكان يخرج من بيته بالقميص المفتوح .. ويقود سيارته بنفسه ..

ولم ينجح هذا كله ..

لم يكتسب جورست الا صداقة الخديو وحده .

اتجه مصطفى كامل لتركيا .

وظهر الاجماع الشعبى .. وخضع أو استجاب له أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية فرفضوا مشروع شركة قناة السويس — الذى يؤيده جورست — بمد امتياز قناة السويس ٤٠ عاما .

واضطر جورست حتى ينفذ الديموقراطية التى يدعيها أن يعلن أن قرار ممثلى الأمة بشأن مد امتياز قناة السويس سيكون نهائيا لا استشاريا .

ويلمع فى معارضة المشروع كثيرون .. بينهم محمد فريد الذى لا تنسى له بريطانيا ذلك فتحاكمه ويموت منفيا خارج مصر .. ومحمد طلعت حــرب الاقتصادى المصرى الذى يفنــد بالأرقام والاحصاءات المشروع .. فيلاحقه العــداء البريطانى فى أواخر أيامه .. ويبعد — بعد ذلك — عن بنك مصر الذى أنشأه .. !

وتقوم صحف وطنية متعددة تجمع كلمة الشعب ضد جورست فيوعز باصدار قوانين مقيدة لحرية الصحافة .. ويكون بين الذين يحاكمون محمد فريد .. والشيخ عبد العزيز جاويش .. !

وازاء فشل جورست تتدخل الجالية البريطانية فتطلب معتمدا بريطانيا يعيد عهد كرومر .. !

***

وهكذا جاء اللورد كتشنر الى مصر عام ١٩١١ .

أقلته بارجة حربية الى ميناء الاسكندرية ..

وعندما قدم أوراق اعتماده للخديو .. ألقى خطبة طويلة قال فيها « سأسهر على سعادة مصر ! » وقد اعتبر المؤرخ المصرى عبد الرحمن الرافعى هذه الكلمات بأنها أشبه بخطبة العرش .!

وعرف بعض زعماء مصر الخطوط الأساسية فى مهمة كتشنر فأسرعوا اليه — فى لندن — قبل تعيينه يستميلونه اليهم .. ضد خصومهم السياسيين المصريين ..

.. ويفتتح كتشنر المشروعات فى مصر والسودان .

ويلجأ للشدة بدلا من سياسة اللين التى اتبعها جورست ..

***

واذا كان كرومر قد وجد فى شخص مصطفى باشا فهمى رئيسا للوزراء يتعاون مع الاحتلال .. فان كتشنر وجد رئيس الوزراء — المثالى — بالنسبة للانجليز — فى شخص محمد سعيد باشا الذى بقى فى منصبه ٤ سنوات كاملة .

وعندما قامت ثورة سنة ١٩١٩ يعين محمد سعيد باشا أيضا رئيسا لوزارة ادارية .. تصرف شئون الادارة .. ولا شأن لها بالسياسة أبدا .. !

وكان محمد سعيد يردد بانه مدين برئاسة الوزارة لكتشنر .. لا للخديو .. وينفذ أوامر المعتمد البريطانى دون أن يحيط بهـا الخديو .. علمـا ..

وأخيرا لجأ الخديو الى حيلة ذكية ..

طلب من كتشنر أن يوافق على اعادة تعيـين مصطفى فهمى باشا رئيسا للوزراء .. فلما وافق كتشنر تبين أن صحة مصطفى فهمى لا تساعده على العمل .

ولم يستطع كتشنر أن يطلب اعادة تعيـين محمد سعيد .. فاتفق الخديو وكتشنر على حل وسط .. وهو تعيين ثالث رئيسا للوزراء .. فاختارا .. حسين رشدى باشا .

ويمضى كتشنر فى تنفيذ الفصل الأخير من روايته على المسرح المصرى فيقدم لمصر .. دستورا شكليا ليجرى فى ظله الصراع الحزبى .. والوزارى .. !

***

وتعلن الحرب العالمية الأولى وكتشنر خارج مصر فتسند اليه قيادة القوات البريطانية المحاربة .

.. ويكون عباس حلمى فى تركيا فيمنع من العودة لمصر .. ويتوقف المصريون عن دفع « الاتاوة » السنوية التى يقدمونها

لتركيا — ٧٠٠ ألف جنيه — ويعين حسين كامل سلطانا على مصر .. بعد الانفصال عن تركيا .

* * *

ويصبح السير مكماهون مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر .. ولكن السلطة الحقيقية تكون فى يد الجنرال السير جون ماكسويل قائد القوات البريطانية .. فان بريطانيا تعلن الحماية البريطانية على مصر ..

ويعطل أمين الرافعى جريدته « الأخبار » حتى لا ينشر قرار اعلان الحماية .

ويصدر وعد بلفور فى لندن بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود .. وكانت مصر تحت الحماية .. والعالم العربى تتنازعه سلطات الاحتلال .

وينتهى دور مكماهون .. !

* * *

وكان لابد من اختيار مندوب سام يعرف مصر والسودان .

وتختار لندن رجلها .. الجنرال وينجت باشا ..

رجل خدم فى مصر من قبل .. ومعرفته واسعة بالسودان فقد اشترك فى فتحه وقتل الخليفة .. !

ويجلس على عرش مصر . بعد وفاة السلطان حسين كامل شقيقه أحمد فؤاد .. الذى يتكلم الايطالية .. ولا يحسن العربية .. ويقبل العرش مكان أبيه الخديو اسماعيل الذى عزله الانجليز .. !

ويكون قبول أحمد فؤاد لعرش مصر .. فى ظل الحماية ..

ويعبىء وينجت ١٣٥ الف مصرى للعمل مع القوات البريطانية .

ويقترح وينجت ضم مصر نهائيا الى بريطانيا .. وتشتعل فى مصر ثورة عام ١٩١٩ .. ويعتقل وينجت سعد زغلول وزملاءه.. فان الرجل الذى اختاره كرومر ليكون زعيما للمعتدلين فى مصر.. ويمضى جورست فى مساعدته .. يصبح هذا الرجل نفسه سعد زغلول قائدا للثورة المصرية .. ومعبرا عنها .. ومتحدثا باسمها بعد أن طرح ثوب الاعتدال .. الى الأبد .

وينتهى دور وينجت فانه رجل لا يصلح لمواجهة شعب ثائر على الانجليز كلهم هذه المرة .. وعلى الحماية .. ولا تقتصر الثورة على شخص المندوب السامى البريطانى .. فقد عرف الشعب طريقه أخيرا ..من خلال الثورة ..

***

ويستدعى الجنرال اللنبى من مؤتمر الصلح فى باريس ليكون مندوبا ساميا .

ويحمل اللنبى فى حقيبته عدة قرارات تعطيه سلطة سياسية وعسكرية مطلقة .. وكذلك حق تشكيل المحاكم العسكرية .

ولكن فى ماضى اللنبى مسائل إكبر ..

انه الرجل الذى قاد قبل ذلك الحملة فى فلسطين وسوريا .. ودخل القدس ليضع الحجر الأساسى للجامعة العبرية وبجواره حاييم وايزمان .. الذى يكون فيما بعد أول رئيس لدولةاسرائيل.

ويبقى اللنبى فى مصر ست سنوات كاملة .. وعندما يغادرها عام ١٩٢٥ يكون السودان فى طريقه النهائى للانفصال عن مصر. ولعل هذه أهم نتائج عهد اللنبى .. !

وفى سنوات اللنبى يصدر تصريح ٢٨ فبراير بتحفظاته الشهيرة. ويصبح أحمد فؤاد ملكا يحكم مصر .. وبذلك لم يعد المندوب السامى صاحب النفوذ الوحيد فى مصر .. بل شاركه الملك جزءا من حقوقه .. وان بقيت القوة الحقيقية لرجل بريطانيا فى القاهرة ..

ويكون سعد أول رئيس للوزراء فى ذلك العهد الذى سمى عهد الاستقلال .. !

ويستقيل سعد من الوزارة بعد اغتيال السيردار السيرلى ستاك حاكم السودان .

.. ولا يعود سعد للوزارة أبدا ! يمنعه الانجليز والملك من ناحية .. واليأس البالغ من ناحية أخرى ..

***

ان اللورد لويد جورج الذى جاء بعد اللنبى طلب سفينة حربية بريطانية .. وصلت الى ميناء الاسكندرية عندما فاز سعد بعد ذلك فى الانتخابات .. وذلك حتى لا يتولى سعد رئاسة الوزراء فاكتفى برئاسة مجلس النواب ..

***

ولقد فرق اللنبى حزب الوفد .. والحركة الوطنية .

وجعل الزعماء المصريين يتصارعون طلبا لمعاهدة جديدة مع بريطانيا .. وطلبا للحكم فى ظل دستور ـ كان من البداية ـ ناقصا .

ومع ذلك قيل ان أهم ما حصل عليه المصريون هو الدستور .

أما التطبيق فشىء آخر شغلت به الحركة الوطنية بعد اللنبى.

ويحل محل النبى مؤقتا نيفيل هندرسون الرجل الذى يتولى محاكمة واعدام المتهمين بقتل السردار !

***

ووصل اللورد لويد جورج .. ليقيم فى مصر ٤ سنوات !

ومنذ اللحظة الأولى يفهم لويد جورج حقيقة الموقف فى مصر .. حتى قالوا انه يماثل كرومر .. ولكن أسلوبه كان مختلفا ليناسب المرحلة التى عاشها .

وفى مذكرات لويد جورج — وهو ثان مندوب سامى يكتب مذكراته بعد كرومر قال :

« الحركة الوطنية المصرية تريد تحرير البلاد من الاحتلال لتتفرغ للثورة على الملك .. واذا استطاع الوفد السيطرة على الجيش فلن يتردد فى عزل الملك ..

ولقد فشل وينجت فى ضم مصر لبريطانيا .

وفشل اللنبى فى اخماد جذوة الثورة .

وأصبح على لويد جورج أن يعرقل تحرير مصر من الانجليز .

وحدد المندوب السامى أسلوبه .

انه يحاول تحقيق مصالح بريطانيا .. بالتفاهم مع مصر ! .

وهو لا يتدخل فى السياسة المصرية الا فى المسائل الجوهرية .. ولكنه يرى بقاء الانجليز فى الوزارات الخمس الرئيسية .. وبينها وزارة العدل !

ولقد « سمح » اللورد اللنبى والملك — لظروف كثيرة — لسعد زغلول بأن يتولى الوزارة ١٠ شهور .. ولكن اللورد لويد جورج والملك لم « يسمحا » للنحاس بأن يحكم سوى ٣ شهور !

.. ومع ذلك فان اللورد لويد جورج تدخل ضد أحمد فؤاد ليطرد رئيس ديوانه بالنيابة حسن نشأت باشا .. وذلك بناء على طلب رئيس وزراء مصر أحمد زيور باشا .

.. قال زيور للورد لويد :

ــ شكوت للملك من حسن نشأت باشا فلم يتصرف ..

ويتدخل اللورد ويطرد نشأت .. وسنجد فى أرشيف وزارة الخارجية البريطانية وثائق تثبت ذلك .

* * *

وفى عهد لويد نجد أزمتين أخريين .. ضخمتين ..

وفى كل أزمة يوجه اللورد انذارا .. لمصر ..

الأزمة الأولى مع عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء .

والأزمة الثانية مع مصطفى النحاس باشا عندما تولى الوزارة بعد ثروت .

* * *

والحديث عن الأزمة الأولى أنقله عن شهادة مصطفى النحاس من محكمة الجنايات أثناء نظر قضية اغتيال أمين عثمان .

.. كان عبد الخالق ثروت باشـــا يرأس وزراة ائتلافية تضم الوفديين ..

وكان النحاس رئيسا للوفد ووكيلا لمجلس النواب والأغلبيـــة النيابية للوفد .

.. وسافر ثروت الى لندن ووصل مع أوستن تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا الى مشروع معاهدة أخفاها عن أعضاء وزارته.

.. وهنا أنقل من شهادة النحاس باشا .

.. قال لى الوفديون :

ــ لابد ان تطالب ثروت بمشروع المعاهدة .

فقال لى :

ـــ لا أقدر لأنى متفاهم مع تشمبرلين على أن نجتهد لنصل الى شيء .. ويبقى سرا .. الى أن يتم .. فاذا وصلنا نعلنه .. واذا لم نصل نعتبره كأن لم يكن ..

* * *

وكثر على الالحاح من الوفديين والدستوريين فقلت لثروت باشا :

ـــ لابد أن أعرف اذ ربما أرشدك الى أشياء يمكن أن تحصل عليها فينجح المشروع .. وقد لا يوافق ما تتفق عليـــه ، لا أنا ولا أخوانى الدستوريين المشتركين فى الوزارة .

قال ثروت :

ـــ سأعطيه لك ..

ثم طلبته فسلمه لى وقال :

ـــ هذا سر بينى وبينك لا تعرضه على أحد مطلقا .

وحبست نفسى فى الأقصر ، وظللت أدرسه فوجدته « قطران » يبـــدأ بالاحتلال .

فقلت :

ـــ هذا لا ينفع .

ولم أذكر لثروت ذلك ونحن فى الرحلة ، وقلت عنـــدما نعود سأخبر عدلى باشا لأنه صديقه .

.. رجعت من الأقصر ، والغيظ يملأ قلبى لما حدث لأن المشروع يضر البلد ، وهو احتلال رسمى .

ولمـــا عدت ناديت عدلى باشا . وقلت له :

ـــ سأعرض عليك المشروع .

فلم يوافق عليه .

قلت له :

ـــ نتفق مع ثروت على أن يكتب ردا للانجليز يبلغهم فيه أنه ، لا هو ، ولا البلد ، نقبل المشروع .

فتضايق ثروت واستقال .

قلت له :

ـــ الاستقالة لا تنفع وقبل تقديمها يجب ان ترد لأنك قبلته وأنت رئيس للوزراء .

والححت عليه أن يكتب .. فكتب .

* * *

وعهد الى النحاس بتأليف وزارته الأولى يوم ١٦ مارس ١٩٢٨

ودخل الوزارة يومها وزراء جدد بينهم مكرم عبيد سكرتير الوفد .

وتنشأ أزمة ضخمة بين النحاس والمندوب السامى بسبب مشروع قانون اسمه « قانون الاجتماعات العامة » وضعته وزارة ثروت .. وهو قانون فهم منه المندوب السامى أنه يسمح بالمظاهرات .. واعتبرته تهديدا لأرواح الأجانب .

وكان السبب الحقيقى للأزمة عبارة سقطت من مشروع القانون الذى أقره مجلس النواب .

.. طلب اللورد جورج لويد عدم اصدار المشروع وبعث بانذار الى النحاس :

« أطلب اعطائى تأكيدا كتابيا قاطعا بأنه لن يستمر فى نظر المشروع . واذا لم يصلنى هذا التأكيد قبل السابعة من مساء ٢ مايو فان حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا تعد نفسها حرة فى أن تقوم بأى عمل ترى الموقف يستدعيه » .

ويعطى المندوب السامى النحاس مهلة — ٤٨ ساعة — فيؤجل النحاس المشروع ، ويرد كتابة بأن الحكومة المصرية تدفعها الرغبة الصادقة فى التفاهم والمسالمة » .

***

وفى شهادة النحاس قال :

« أبلغت الملك . وجاءت السفن الحربية البريطانية الى الاسكندرية فقلت ان هذا العمل يناقش .. وأبلغ الانجليز ألا حق لهم فى ذلك .

واتفقت مع الملك على ان أبحث الأمر مع كين بويد مستشار السفارة .

وجمعت مجلس الشيوخ والنواب على هيئة مؤتمر وقلت لهم :

— رايى أن نتفادى الأزمة .

وكان رأى النواب والشيوخ أن يصدر المشروع فورا .

وعرضت تأجيل نظر القانون الى ما بعد الدورة البرلمانية فوافقوا ..

أبلغت الملك .

توليت الأمر .

ووافق الانجليز .

ثم جاءنى توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكى وقال لى :

— ان السفير اجتهد حتى وصل الى هذا الحل .
قلت له :

— قل للسفير ان الباشا — أى النحاس — يشكرك لهذا الحل الموفق .

قبلنى توفيق نسيم وعانقنى وقال لى :

ــ انى اقبلك من جلالة الملك .

قلت له :

ــ ساذهب الى انجلترا ، وأبلغهم أن المسالة لا يصح أن تكون بهذه الطريقة .

* * *

ولكن النحاس لم يذهب الى انجلترا ..

أقاله الملك فؤاد بعد أقل من شهرين .. وكان كل عمر وزارته ٣ شهور ..

وكانت وزارة النحاس هى أول وزارة تقال عقب صدور الدستور .

وجاء حزب العمال البريطانى الى الحكم فقرر تغيير لويد جورج الذى عينه المحافظون .. والذى اختاروه وزيرا أثناء الحرب العالمية الثانية .

قال العمال وهم يستدعون اللورد لويد جورج الى لندن :

ــ اننا نريد سياسة أكثر تحررا فى مصر .

وكانت البداية عدم اختيار لورد ليتولى المنصب .. بل وصل السير برسى لورين .

ولكن السير برسى لورين لم يحقق شيئا فى مصر .. فان خطته تركزت فى كلمة واحدة .. الحياد .. !

بقى برسى لورين على الحياد فى الصراع بين الملك والوفد .. بعد أن فشل الانجليز فى الوصول الى تفاهم مع الوفد .

* * *

وخلال سنوات لورين فى مصر من ١٩٢٩ الى سنة ٣٣ حكم الملك أحمد فؤاد وحده من خلال وزارات وبلا برلمـــان حينا.. أوببرلمانات جاءت بانتخابات مزيفة . وكان أبرز رؤساء وزارات تلك الفترة محمد محمود صاحب اليد الحديدية واسماعيل صدقى الذى أصدر دستورا جديدا يساعده على البقاء فى الحكم .

ولم يتول النحاس رئاسة الوزارة فى هذه الفترة سوى ســـتة شهور فحسب .

وعندما غادر برسى لورين مصر كانت وزارة اسماعيل صدقى تتولى الحكم .. وهى وزارة أقل ما يقال فيها هو ما أطلقه عليها المؤرخون من أنها كانت وزارة بغيضة الى شعب مصر .. !

وكان لورين يؤيد صدقى ومحمد محمود .. أو على الاقل لم يعترض على تنكيلهما بشعب مصر .

ونقل لورين من القاهرة فى أغسطس عام ١٩٣٣ .. وجاء السير مايلز لامبسون أو كيلرن الى القاهرة فى يناير من العام التـــالى — ١٩٣٤ — وفى اغسطس من نفس العام الى عام ١٩٣٤ حصل لامبسون على أجازة طويلة خمسة شهر — من أغسطس ٣٤ حتى يناير ١٩٣٥ — ليتزوج فى لندن .

وخلال هذه الشهور الخمس تولى السير موريس بيترسون منصب المندوب السامى البريطانى بالنيابة فى مصر ..

وقد أصبح بيترسون بعد ذلك وكيلا مساعدا لوزارة الخارجية البريطانية فى لندن .

وبين الوثائق الهامة التى عثرت عليها من مركز الوثائق العامة . هذه الوثيقة التى كتبها بيترسون وقدمها الى أنتونى ايدن وزير الخارجية البريطانى فى ٢٧ يناير ١٩٤٢ .

ان هذه الوثيقة .. أو المذكرة .. تكشف سر اللعبة الوزارية فى مصر .

يقول موريس بيترسون بالحرف الواحد .

« طالمـــا ظلت مراكز النفوذ الثلاثة التى تحدد اتجاه الحوادث فى مصر قائمة ، وهى حسب ترتيب أهميتها ، نحن والملك فاروق والرأى العام المصرى ، فان التغييرات فى السياسة الداخلية فى مصر تتحرك فى دائرة منظمة تماما .

ولا أعتقد أن المعاهدة أثرت على ذلك بأى شكل من الأشكال ، أو أن أى شىء سيؤثر فيها ، ما لم يكن هذا الشىء هو اختفاء أحد العوامل الثلاثة الرئيسية التى ذكرتها سالفا .

وهناك ٣ حركات متعاقبة ومتتالية . ومحاولة تحديد أيها يأتى اولا اشبه بمحاولة تحديد هل الدجاجة أسبق أم البيضة . ولكن النتيجة لا تختلف .

وهذه الحركات هى :

١ ــ رئيس وزراء يكون مقبولا لدى الملك ولدينا .

ومن شأن تأييدنا لرئيس الوزراء أن يؤدى ــ تدريجيا ومع الوقت ــ الى أن يفقد رئيس الوزراء تأييد القصر فان الملك يصبح غيورا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن رئيس الوزراء يميل الى الاعتماد علينا فى المدى البعيد ، ويعامل القصر بكبرياء .

النتيجة : « يذبح » أو يســـقط الملك رئيس الوزراء فى بعض المسائل التى يحس أننا لن نكون قادرين على التدخل فيها ، أو التى قد نشعر أن الملك على حق فيها .

ونحس نحن بالغضب . ونتخذ موقفا يقوم على أساس أنه مادام الملك قد أسقط الرجل الذى يتمتع بثقتنا فان على جلالته أن يخرج من المأزق بأسرع ما يمكن . ويعقب ذلك التغيير التالى :

٢ ــ رئيس وزراء يكون رجل القصر فقط .

النتيجة : يتدخل القصر فى كل مرحلة من مراحل حكم البلاد . ينمو السخط الشعبى . ويصبح واضحا أنه يمكن أن تحدث ثورة

لولا وجود قواتنا . وعندئذ نتحرك ببطء وتردد الى تغيير آخر يترك الملك غاضبا ومنعزلا . وهذا التغيير يؤدى الى :

٢ــ حكومة شعبية ، سواء كانت وفدية ، أو على الأقل على علاقات طيبة بالوفد .

المنتيجة : تصبح مصالح ونفوذ بريطانيا مهددة فى كل خطوة . ونشعر بالانزعاج ونلجأ الى المعاهدة بل ونشدد عليها . ونصر على تغيير الحكومة ، الأمر الذى نضطر الى طلب تعاون الملك فيه ، والى تحقيق رغباته بدرجة ما .

ويعود بنا هذا الى النقطة رقم ١ .

طالمــا استمرت العوامل الثلاثة قائمة ، فان الشىء الوحيد الذى نستطيع أن نفعله ــ ولكنه شىء هام للغاية ــ هو أن نضمن أن يكون توقيت التغييرات لمصلحتنا .

ومن الأمور المسلية أن نضيف أن أى ممثل لبريطانيا يتولى تدبير التغيير رقم ٣ يكتسب شعبية محلية مؤكدة وسهلة بلاشك . وهذا هو ما حدث لى عام ٣٤ عندما توليت اخراج حكومة صدقى التى كانت حكومة القصر واحلال حكومة توفيق نسيم ــ وكانت حكومة شعبية نسبيا .

والشعبية التى تكتسب فى مثل هذه الظروف يمكن أن تسبب حرجا . وهذه حقيقة ووجهت بها منذ ست سنوات عندما كنت أجلس على مائدتى ، وعلى مسمع من عدد من الشخصيات الاسبانية البارزة التى تعد كلمة « ليبرالى » بمثابة لعنة بالنسبة لهم . قال هذا الدبلوماسى « اننى رجل لن ينسـاه مطلقا جميع هؤلاء الذين فى أعماقهم اتجاهات ليبرالية فى مصر » .

ويؤشر انتونى ايدن وزير الخارجية على هذه المذكرة قائلا :

« طريفة جدا » .

وارى انها حقيقية ويجب أن نعمل على ألا يتحد القصر والشعب ضدنا » ..

وهذه الكلمات المختصرة تحدد ببساطة شعار بريطانيا .. فرق .. تسد .. فى مصر !

ان ما يهم بريطانيا من لعبة تغيير الوزارات هو أن يكون توقيت التغيير لصالح بريطانيا فحسب !

وهذه الوثيقة تبين أن بيترسون عندما كان مندوبا ساميا بالنيابة .. كانت له صلاحيات المندوب السامى وسلطاته ومنها ــ بطبيعة الحال ــ التدخل لاقالة الوزارات وتعيين الوزارات فى مصر !

بل ان بيترسون ــ رغم أنه أقصر المندوبين السامين عمرا فى مصر حاول خلال الشهور الخمسة عزل الملك نفسه كما سنجد فى احدى الوثائق .

ان فى المذكرة السابقة اعترافا صريحا بأن بيترسون تدخل لدى الملك أحمد فؤاد لتغيير بقايا عهد اسماعيل صدقى .. أعنى بذلك وزارة عبد الفتاح يحيى باشا .

وكان عبد الفتاح يحيى باشا رئيسا لوزراء مصر .. اختير ليتولى منصب رئيس الوزارء وهو فى أوربا .. دون أن يستشيره احـــد !

وظل ١٤ شهرا رئيسا لوزراء مصر .. يخضع للقصر فى كل امر حتى أنه أصدر قانونا يقضى بأن يؤدى الوزراء عند تعيينهم يمينا بالولاء للملك .. قبل الولاء للوطن !

وتدخل موريس بيترسون لدى الملك أحمد فؤاد ليأمر بشغل منصب رئيس الديوان الملكى واختار لذلك رجل بريطانيا القديم أحمد زيور باشا الذى تولى الحكم بعد وزارة سعد الأولى والأخيرة!

وتدخل المندوب السامى ليطلب ــ كما تقول الوثيقة السابقة ــ عزل عبد الفتاح يحيى ــ أى بقايا عهد اسماعيل صدقى ــ وتعيين توفيق نسيم رئيسا لوزراء مصر .

واعترف عبد الفتاح حيى نفسه بالتدخل البريطانى فقال فى خطاب استقالته « فى الشهر الأخير .. والمصريون جميعا يضرعون الى

الله أن يتم لجلالتكم أسباب الصحة ، أبلغت رغبات من الحكومة البريطانية لا يسعنى قبولها دون التفريط فى حقوق البلاد .

والان وقد تماثلت صحة جلالتكم للشفاء أرفع استقالتى » ..

يشير رئيس الوزراء بذلك الى أن الانجليز رغبوا فى عزل الملك . والجدير بالذكر أنهم قرروا ذلك .. وأن رئيس الوزراء قبل ذلك ولم يستقل .. ولكن شفاء الملك حال دون التنفيذ .. وأن الملك قبل أن يتسلم كتاب استقالة من رئيس الوزراء فيه هذا الاعتراف الصريح بمحاولة الانجليز عزله دون أن يحتج !

* * *

ونعود الى عهد برسى لورين الذى ترك الملك أحمد فؤاد يتصرف على هواه .

بعد برسى لورين جاء السير مايلز لامبسون ليبقى سبعة شهور فى مصر ثم يسافر فى أجازة خمسة شهور تولى موريس بيترسون خلالها تصريف الأمور .

وعاد لامبسون ليبقى فى القاهرة ١١ عاما أخرى .. فان مدة لامبسون أو كيلرن فى مصر استمرت ١٢ سنة .

وكان فى لندن خلال سنوات الحرب وكيلا مساعدا لوزارة الخارجية موريس بيترسون ! فان لعبة الكراسى الموسيقية حول مصر .. كانت غريبة !

ولقد وصل لامبسون الى مصر فى ظروف تتشابه الى حد كبير مع ظروف وصول الدون جورست الى القاهرة .

كان على لامبسون أو كيلرن أن يتولى توجيه ولى العهد فاروق أو الملك الشاب فيما بعد .. تماما كما فعل جورست معءباس حلمى الثانى وكاد التاريخ أن يتكرر بحذافيره .

جورست بدأ عهده بسياسة الوفاق مع الخديو لضرب الحركة الوطنيـــة .

ولامبسون بدأ عهده بسياسة الوفاق مع فاروق ، وان كان لامبسون قد رغب فى أن يمتد الوفاق أيضا الى الحركة الوطنية .. اى الوفد . بل أن الوفد كان هدفا أساسيا لكيلرن .

وفى عهد عباس حلمى الثانى قامت الحرب العالمية الأولى وعزل عباس ومنع من العودة الى مصر .

وفى عهد فاروق قامت الحرب الثانية وكاد فاروق أن يعزل من مصر فقد اتهم عباس حلمى الثانى بالميل الى تركيا ضد بريطانيا واتهم فاروق بالميل الى المانيا ضد بريطانيا .

تاريخ متشابه .. وتتكرر فيه الفصول !

آخر الفراعنة!

امتاز عهد لامبسون عن غيره من المندوبين السامين بحقيقتين :

الاولى : تغير الوزارات بسرعة ..

خلال ١٢ سنة أمضاها لامبسون فى مصر — من ١٩٣٤ حتى ١٩٤٦ — شكلت ١٨ وزارة .. أى أن عمر الوزارة المصرية لم يزد على ٨ شهور — فى المتوسط — وبعدها تنشأ أزمة وزارية فيضطر رئيس الوزراء الى الاستقالة لاعادة تشكيل الوزارة مرة أخرى .. أو يجىء رئيس وزراء جديد .

اننا نجد الوزاة وقد شكلت ٢٣ مرة فى عهد أحمد فؤاد و ٢٤ مرة فى عهد فاروق .. مع أن الوزارة يجب أن تتغير مع انتخابات البرلمان التى يفترض أن تجرى مرة .. كل ٥ سنوات .

واذا كان تغيير وتعاقب الوزارات بسرعة هو الظاهرة الأولى فى عهد لامبسون .. فان الظاهرة الثانية هى انه أول مندوب سام رأى أن يتفاهم مع الوفد .

كان كل مندوب سام — كما رأينا — يقهر الملك ، أو يقهر الوفد .. أو يقهر الاثنين معا .. ويحاول أن يوجد طبقة من المعتدلين — أو المتعاونين — تحكم مصر .

وكان فشل كرومر فى أن يجعل سعد زغلول زعيما للمعتدلين . اذ انطلق سعد يقود الثورة ويحاول تغيير وجه التاريخ المصرى . دافعا لغيره من المندوبين السامين للاستعانة بحكومات لا تمثل الشعب .. وان كانت — فى بعض الاحيان — تعبر عن اتجاه قوى بين المثقفين الذين ضاقوا بتصرفات الوفد .

حاول لامبسون فى أول الأمر أن يلعب لعبة التوفيق بين القصر والوفد .. ولكنه لم ينجح ..

ولذلك رأى — على العكس من غيره — أنه بدلا من أن يحارب الوفد لحساب الملك .. أن ينضم للوفد فى محاربته للقصر . ولكن لحساب بريطانيا .. لا لحساب الشعب المصرى !

.. وكان حول فاروق سياسيون انفصلوا عن الوفد فظلوا طول حياتهم يشنون الحملات الضارية عليه .

وكان حول فاروق عدد من الايطاليين .. ولابد من استبعاد هذه العناصر لأن ايطاليا دخلت الحرب ضد بريطانيا .

ومن هنا انضم لامبسون للوفد .. وان حرص فى نفس الوقت على أن يبقى صلة طيبة مع الأحزاب الأخرى .. ويرحب بكل انقلاب ضد الوفد ما دامت حكومات الاقليات لا تعارض بريطانيا .

وكانت خطة لامبسون جديدة وجريئة أيضا بالنسبة للسياسة البريطانية ، وساعده عليها أن الذين حول فاروق .. لم ينسوا أبدا الجموع الحاشدة فى قصر عابدين أثناء وزارة سعد زغلول .. وسعد يجتمع بالملك أحمد فؤاد .. والشعب يهتف : سعد أو الثورة .

.. كيف نجح لامبسون فى خطته ؟.

أو كيف كان طريقه اليها ؟ ..

* * *

لا يمكن أن ننظر الى السير مايلز لامبسون بمقاييس الموظف البريطانى العادى ، أو الدبلوماسى التقليدى رغم أنه أمضى كل مدة خدمته — ٣١ سنة — يعمل فى وزارة الخارجية .

.. التحق بهذه الوزارة وعمره ٢٣ سنة .

وتقلب بين سفارات بريطانيا فى طوكيو وصوفيا وسيبيريا .. وأخيرا استقر به المطاف فى بكين .

وفى الصين عاش ٧ سنوات كاملة ممثلا لبريطانيا ليشهد الاحداث التى غيرت بعد ذلك مصير الصين .

.. اشترك فى المفاوضات الطويلة بين بريطانيا والصين حول الأراضى الصينية المؤجرة لبريطانيا .. وحقوق الامتداد الاقليمى البريطانى فى الصين .

ورأى الصين تشكو الى عصبة الأمم وتطلب تدخل أمريكا .. وكانت هذه بداية النظرة الامريكية الجديدة .. الى الشرق الأقصى !

وفى ذلك العهد هاجمت اليابان منشوريا .. وبدأت الخلافات الصينية اليابانية التى استمرت أكثر من نصف قرن .

* * *

.. كان لامبسون فى الصين يوم قامت الثورة فى « كانتون » ضد شيانج كاى شيك .. واستطاع الثوار الاستيلاء على « كانتون » كلها فى ساعتين .. وهرعت النساء والأولاد الى الثوار .. ولكن الانجليز واليابانيين وحلفائهم تدخلوا بقواتهم فى حرب وحشية ضد الثوار استمرت ٣ أيام .. أعلن بعدها الانتصار على الثوار .. وكان لامبسون من مشجعى تدخل بريطانيا وحلفائها لمصلحة شيانج كاى شيك !

* * *

ورأى لامبسون مولد الجيش الشيوعى الصينى .. والزحف الطويل الذى قاده ماوتسى تونج .

وجال لامبسون فى كل مدن الصين الكبيرة ، وكان يبعث — من كل مدينة — برسالة طويلة الى وزارة الخارجية البريطانية .. وقد أذيعت نصوص الرسائل بعد المدة القانونية .. وكلها تكشف أن مايلز لامبسون يحاول باستمرار أن يرسم لحكومته صورة كاملة للموقف من جميع نواحيه .

.. ومن المؤكد أن الرجل نجح فى الصين فدامت الأحوال لبريطانيا هناك .. حتى أن السير أوستن تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا لم يتمالك نفسه مرة فبعث اليه ببرقية من كلمتين :

« برافو .. لامبسون » .

وسئل عنه تشمبرلين فقال :

— هذا رجل !

* * *

ولكن لامبسون فى الصين ، لم يفطن الى أهمية التيارات السياسية الجديدة .. والوعى الشعبى .. والنضوج السياسى للهيئات والجماعات .. فضاعت الصين من بريطانيا الى الأبد خلال السنوات السبع التى عاشها لامبسون هناك ..

.. نبتت أسباب ومظاهر « الضياع » أثناء وجود لامبسون فى الصين .. الا أنها لم تطف على السطح .. الا بعد ذلك بسنوات .

* * *

واذا كانت تجربة الصين قد أفادت لامبسون الا أنه عانى من عقدة ضخمة هناك .

. .لقد نجح فى أن يجعل الصين وبريطانيا توقعان معاهدة لتسوية الخلافات بينهما ، وهذه العقدة .. عقدة النجاح هى التى جعلته يحرص — بعد وصوله الى مصر — على أن يجمع بين مصر وبريطانيا فى معاهدة ١٩٣٦ .

* * *

.. تعلم لامبسون فى الصين شيئين احدهما سياسى والاخر شخصى ..

الأول أن يتدخل باستمرار لقمع التيار الشعبى أو شرائه بكل الطرق .

والثانى أهمية الطعام الصينى بالنسبة للصحة ولذلك جاء معه — من الصين — بطباخ خاص !!

وبكل هذا الحصاد الضخم .. يصل لامبسون الى مصر .

.. رجل ضخم الجثة فى الرابعة والخمسين من عمره .. ماتت زوجته فى الصين ، ويلتقى فى مصر بشابة ايطالية حسناء تجىء مع ابنة شقيقه .. وتنزل فى دار السفارة .. وتتكرر القصة الخالدة .. كلام .. فسلام .. فحب .. وزواج فى لندن وشهر عسل يمتد ١٢ سنة فى القاهرة !

ويكون فارق السن بين الزوجين ٣٥ عاما .

.. وتصبح هذه الزوجة الشابة الحسناء احدى « عقــد » لامبسون أيضا فهى بريطانية الجنسية .. ولدت فى سيلان ، ولكن أباها ايطالى من خبراء طب المناطق الحارة الذين تعاونوا مع الجيش فى حرب الحبشة .

.. ان لامبسون يريد أن يبهر الزوجة الشابة بنفوذه .. وفى نفس الوقت ، لا يريد أن يرتفع صوت ضد زوجته — ايطاليــة الأصل — ولذلك يفرط فى المطالبة باتخاذ اجراءات ضد الايطاليين فى مصر .. أثناء الحرب !

ولا يمكن أن نحكم على موقف لامبسون فى مصر .. الا اذا تعقبناه فى خطواته منذ اللحظة الأولى التى وصل فيها .. وعرضنا للظروف السياسية فى مصر والعالم فى تلك الايام .

.. وصل السير مايلز لامبسون الى مصر يوم ٧ يناير عـــام ١٩٣٤ .. كان هتلر قد تولى الحكم فى ألمـــانيا .

وكان موسولينى يفكر فى الطريق الى الحبشة فى قلب أفريقيا . ويدخل الحبشة فعلا .. بعد عام .

وكان العالم كله يخرج من الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى هزته .. ويتطلع الى عهد جديد أطلق عليه فترة السلام بين حربين فان نذر الحرب العالمية الثانة كانت فى الأفق ونشبت بعد ذلك بخمس سنوات .

وكان موقف مصر .. مؤثرا فى هذه الحرب .. فهى قلب الطريق بين بريطانيا والهند .. وبين بريطانيا وأكبر مصدر للبترول فى المنطقة .. الخليج !.

.. ومنذ اللحظة الأولى حددت المهمة الأولى للامبسون فى القاهرة .. أن يضمن ولاء مصر أيام الحرب .. وأن يؤمن مؤخرة القوات البريطانية التى ستحارب فى الصحراء الغربية .. فى ليبيا .. وفى شمال أفريقيا كلها .

ومن سوء الحظ أن أحدا من زعماء مصر لم يفطن الى تلك الحقيقية .. فى ذلك الحين !

***

وصل لامبسون من الصين بطريق البحر ..

وعندما دخلت السفينة ــ التى يستقلها ــ المياه المصرية ظلت ٧ قاذفات للقنابل تحلق فوق السفينة ١٥ دقيقة .

وعلى رصيف ميناء بورسعيد كان محافظ المدينة ينتظره .. وحرس شرف يتألف من ٢٠٠ جندى بريطانى .

ومن الميناء الى المدينة اصطف جنود البوليس على جانبى الطريق .. وتقدمت موكبه سيارتان .. وأحاط به راكبو الموتوسيكلات من كونستبلات البوليس .

وذهل مايلز لامبسون من روعة الاستقبال حتى أنه كتب فى مذكراته يقارن بين روعة استقباله فى مصر .. وبساطة المعاملة فى الصين !

ورغم هذه الكلمات التى خطها فى مذكراته فانه أحب هـذا الاستقبال الرائع وتمسك به طوال وجوده فى مصر .

* * *

. .من بورسعيد أقله الى القاهرة قطار خاص .

وفى محطة السكة الحديد .. وجد على الرصيف ـ رصيف المحطة ـ رئيس وزراء مصر عبد الفتاح يحيى باشا .. وهو فى نفس الوقت وزير الخارجية .. ثم كبير أمناء الملك .. ومحافظ القاهرة وعشرات من المسئولين .

واستغرق الاستقبال نصف ساعة وانتهى بحرس شرف !

* * *

والتقاليد السائدة فى ذلك الحين .. أن يكون وزير خارجية مصر فى استقبال المندوب السامى .. ولكن المندوب السامى يجب أن يقوم بالزيارة الأولى لرئيس الوزراء .

وحدثت أزمة « بروتوكول » فى اليوم الثالث لوصول لامبسون . .. المندوب السامى يرفض أن يقوم بالزيارة الأولى لرئيس وزراء مصر .. ويقول ان عبد الفتاح يحيى باشا يجب أن يزورنى أولا بصفته وزيرا للخارجية !

ويرد يحيى باشا بأنه كان فى استقبال لامبسون فى محطة سكة حديد القاهرة بصفته رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية فى نفس

الوقت . ويجب على السفير أن يرد لى الزيارة فى مقر رئاسة مجلس الوزراء .

ويتعقد الموقف نتيجة لاصرار كل من المندوب السامى ورئيس الوزراء على موقفيهما .

ولكن الملك فؤاد لا ينتظر ..

انه يستقبل المندوب السامى فى اليوم التالى لوصوله !

ويؤجل لامبسون زيارة رئيس الوزراء خمسة أسابيع يسافر خلالها الى لندن للتشاور .

.. وعندما يعود يزوره رئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى .. ويرد له لامبسون الزيارة بعد نصف ساعة .

* * *

ولقد بقيت تقاليد استقبال لامبسون كما هى طوال الـ ١٢ عاما.

يفتح له الباب الملكى فى محطة السكة الحديد .

وتفرش له البسط الحمراء فى أى مكان يحل به ه

وعندما تنتقل الحكومة فى الصيف الى الاسكندرية فان اثنين فقط يسافران بقطار خاص .. أحدهما الملك والثانى السير مايلز لامبسون .. بل انه لا يسافر — فى أى وقت — الى الاسكندرية .. الا بقطار خاص !

* * *

وتصل درجة الترحيب بالمندوب السامى الى مستوى غير معقول.

انه حريص على أن يزور كل مكان فى مصر .. الصحراء .. الواحات .. الصعيد .. الخ .

.. وصل يوما بالطائرة الى الواحة البحرية فوجد المحافظ ـــ المدير ـــ فى انتظاره ..

وكان مقررا أن يسافر لامبسون ـــ فى الصباح التالى ـــ الى الواحة الداخلة فطلب من المحافظ أن يطير معه .. ولكن المحافظ اصر على أن يستقل السيارة ليلا .. ليكون فى انتظار لامبسون مع شروق الشمس .. وليطمئن الى أن كل الاستعدادات قد استكملت لراحة الضيف الكبير .

وعرف أهالى الصحراء أن الرجل يعادل الملك نفوذا ـــ ان لم يفقه ـــ فتقدموا اليه بالعرائض يطلبون اقامة مدرسة فى الواحات !

* * *

وينطلق لامبسون الى تحقيق أهدافه واحدا وراء الآخر ..

فى أول لقاء له مع عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزراء .. والوثيقة البريطانية هى المصدر وتاريخها ١٩ فبراير ١٩٣٤ .. أى بعد ٤٠ يوما تقريبا من وصوله .. يطلب لامبسون أن يسافر ولى العهد الأمير فاروق الى انجلترا ليتلقى تعليمه هناك .

يرد رئيس الوزراء قائلا :

ـــ اللغة هى العقبة . الملك فؤاد تعلم اللغة الايطالية فى صباه ولذلك لم يتقن اللغة التركية .. وجلالته مصمم على أن يتعلم ولده .. هذه اللغة .. التركية !

والسؤال هو : كيف يتقن الأمير اللغة التركية فى لندن .

يقول لامبسون :

ـــ هذه المشكلة يمكن حلها اذا تمت الموافقة على سفر الأمير الى لندن .

ويلح :

— ان ولى العهد يجب أن يسافر فورا الى لندن ، ولا ينتظر حتى يبلغ السادسة عشرة من عمره كما يرجو الملك .

.. ومعنى هذا الحديث أن كل ما يطلبه الملك ، من السفير البريطانى ، تأجيل ارسال ولى عهده الى لندن عامين !

ومن هذه النقطة نستطيع أن نعرف طبيعة العلاقة بين المندوب السامى من ناحية ، وبينه وبين الملك وولى العهد ، ورئيس الوزراء من ناحية أخرى .

من هذه البداية نعرف .. من كان يحكم مصر ؟ !

* * *

وتفاصيل اللقاء الأول بين لامبسون والمسئولين المصريين تكشف طريقة المندوب السامى فى التصرف .

.. كيف ينطلق الى هدفه .. وأسلوبه الى ذلك .. ورد فعل الآخرين .

أول لقاء بين لامبسون وفاروق يتم بعد ٦ أسابيع من وصول المندوب السامى .

يكتب لامبسون الى حكومته يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٤ قائلا :

« فاروق طفل لم يدلل .. بدا لى أكبر من سنه » !

وكان فاروق يومها فى الرابعة عشرة من عمره .

.. ويسافر فاروق الى لندن .. تماما كما أراد لامبسون .. ويسافر معه رجلان لعبا أدوارا كثيرة فى الأحداث .. أحمد حسنين معلم فاروق وأمينه الأول ورئيس ديوانه فيما بعد والفريق عزيز المصرى رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، والرجل الذى حاول أن يهرب الى الألمان ، والذى أعتقله الانجليز .. وعزيز المصرى يضيق بتصرفات فاروق وحسنين فى لندن فيعود غاضبا الى مصر .

ويرجع فاروق من لندن بعد وفاة أبيه ينتظر حتى يجلس على العرش عندما يبلغ السن القانونية .

* * *

لامبسون يحيط الملك الجديد بعدد من الاشخاص يجمعون عن فاروق كل شيء ، ويبلغون به لامبسون أولا بأول .

.. وايامها كان فى مصر ٦٠٠ موظف بريطانى منهم مائتان فى المناصب الكبيرة .. وكلهم عيون على الدولة ورجالها .. حتى الملك ! ..

.. يستدعى لامبسون صيدلى فاروق وهو رجل بريطانى اسمه ترينجتون ليسأله عن حقيقة الأحوال فى القصر الملكى وتأثير المدة التى عاشها فاروق فى انجلترا ..

قال ترينجتون :

— علمت من مسز نايلور مربية الملك أن فاروق عاد من لندن يهزأ بالأسرة المالكة البريطانية .

انه يقول عن ادوار الثامن — دوق وندسور — وكان ملكا على عرش بريطانيا فى ذلك الحين — انه لا يجد شيئا يقوله !

ويقول فاروق عن الدوق كنت — ابن عم الملك — انه مجرد فتاة !

أما الدوق جلوستر فرأى فاروق أنه لا يساوى شيئا !

ويطلب فاروق من مسز موراى التى تتولى تدريس الموسيقى لشقيقاته . أن تتوقف عن التدريس .

ويصر فاروق على أن تتوقف مدرسة الرسم البريطانية لشقيقاته .. لأنه لا يريد كل هذا النفوذ الانجليزى حول شقيقاته .

ويخشى لامبسون أن تكون هذه وقيعة من المربية مسز تايلور أو أنها دردشة خدم .. فيرد الصيدلى :

— ان مسز نايلور موثوق فيها .. خدمت القصر ١٣ سنة .. وهى من عائلة طيبة .. وكانت تعمل فى مستشفى كبير فى لندن قبل حضورها الى مصر .

ويقول الصيدلى :

— ان مسز نايلور تحزم الآن حقائبها استعدادا للرحيل .

ويفزع لامبسون من أن تكون صورة الأسرة المالكة البريطانية فى رأس فاروق على هذا النحو .. ويخشى من عـــودة المربين البريطانيين الى لندن .. ولذلك يسارع بكتابة نص هذا الحديث فى مذكراته ويبعث به الى لندن .. برقيا !

* * *

« يتسلح » لامبسون بهذه المعلومات قبل أن يجتمع بالملك الذى لم يجلس على العرش بعد .

قال لامبسون :

— انى أعرف ثقل المسئولية عليك فى هذه السن . ولا أريد احراجك ولكن .. لأن مصير مصر يهم بريطانيا فانى آمل اذا أحسست بالعبء أو بأية مشكلة .. ان تعتمد على .. اننـــا أصدقاؤك الأمناء !

وهذا الاستهلال فيه عبارة تدل على الهدف الحقيقى « ان مصير مصر يهم بريطانيا » !

أجاب فاروق :

— انى أدرك المتاعب والأخطار أمامى . وقد قررت ان أمضى ببطء شديد وأن أتحسس موقع أقدامى بحذر :

فيذكره لامبسون بشعار أبيه .. أحمد فؤاد :

— الصبر .

ويبدأ سؤاله بعد ذلك عن مسز نايلور .

ويعترف فاروق أنه مدين لها بالكثير .. وليست هناك نية للاستغناء عنها .

ويحاول لامبسون أن يعرف أفكار الملك عن المستقبل ولكن فاروق يقول أنه لا توجد لديه فكرة عن خططه او كيفية علاج الأمور .

وبالنسبة لأوصياء العرش يرى فاروق أنه أحسن اختيارهم ..

أحدهم هو الأمير محمد على .. ابن عمه .

والثانى عزيز عزت زوج احدى الاميرات .

والثالث خاله شريف صبرى .

وبحذر شديد — كما يعترف لامبسون فى برقيته الى وزارة الخارجية يوم ٩ مايو ١٩٣٦ — ينتهز الفرصة ويطلب الى فاروق التخلص من الحاشية الايطالية .

أما تعليق ورأى لامبسون فى هذا الاجتماع الذى استغرق ساعة كاملة .

« ان فاروق صبى لطيف صريح » .

وفى نفس الوقت يحس غموضا فى لهجة هذا الصبى — الملك — ويتساءل فى مذكراته :

« هل تحمل الرياح شيئا جديدا » ؟ !

* * *

وتتابع لقاءات لامبسون وفاروق .

ومن الضرورى أن نتابع هذه الاجتماعات حتى نصل الى قمة الصراع الذى جرى بينهما مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ .. تماما كما يحدث فى الروايات المسرحية .

ومن سوء الحظ ان أحداث الرواية واقعية .. وأن كل الفصول جرت على أرض مصر !

* * *

يريد السفير أن يخرج للصيد فيقدم له الملك عزبة المنصورية ليصيد فيها .

وعندما يشكر السفير الملك .. ينتهز الفرصة — كما تقول الوثائق — ليعطى فاروق محاضرة جادة لأنه لا يزال يأخذ الأمور بخفة وبساطة ..

ويقول له : ؟

— آمل الا تضيق بى اذا ألقيت عليك محاضرة قصيرة .

لا أحد يلومك اذا رغبت فى قضاء وقت ممتع .. فى سنك كانت لنا جميعا نفس المشاعر والرغبات . ولكن يجب أن تذكر أن الوقت قصير وأنك ستتولى مسئولياتك .

وهناك من يقول انك يجب أن تستغل الوقت الباقى أمامك لتحسين عقلك ، والاستعداد للمسئولية .. بدلا من المتعة .

ان السبب الذى يدعونى لذلك هو ما علمته من أنك لم تر الاستاذ فورد — مساعد السكرتير الخاص لملك بريطانيا جورج السادس ، والذى جاء به لامبسون ليكون معلما لفاروق — الا مرة واحدة ولخمس دقائق فقط ، وهو ما يعطى تأثيرا سيئا عنك .

.. فورد لم يشك لى .. ولكن هناك احساسا بذلك فى الخارج. لهذا . .ولمصلحتك أيضا يجب أن تبدأ العمل .

ما هو سلوك فاروق ازاء هذه المحاضرة ؟

الجواب من برقية لامبسون لوزارة الخارجية :

« تلقى الملك كل هذه المحاضرة برشاقة .. وقال انه تحقق من ذلك .

واعتذر فاروق قائلا :

ـ بدأت أضع جدولا منظما للعمل .. وسيجد الناس دائما ما يدعو للنقد . ولكن ـ من الآن ـ سأتجنب كل ما من شأنه اثارة المتاعب .

ويؤكد لامبسون للملك :

ـ ان دار المندوب السامى والحكومة البريطانية تساندانك بحزم ولكن يجب أن تثبت أنك تفعل ما هو أفضل لنفسك » .

وفى برقيته لوزارة الخارجية قال لامبسون :

« عندما تقرأون هذه الكلمات سأبدو لكم كمربية للملك .. ولكن الأمر لم يكن كذلك .

.. أخذ الشاب الصغير المسألة بروح سمحة .. وهو يظهر تعقلا .. وسرعة فى الفهم .. وهو شاب مناسب » .

* * *

ويجلس فاروق على العرش .. ويلتقى مع لامبسون .. فى احدى الحفلات :

قال فاروق :

ـ ان فيروتشى كبير مهندسى القصر .. صديقك القديم .

ويعترض لامبسون ويقاطعه فورا قائلا :

ـ انه ليس صديقى .. ولم تنطق ـ باسمه ـ شفتاى قط .. ولم يكن موضوعا للحديث بينى وبينك .. انه كلب قذر .

وعقب وصول لامبسون الى دار السفارة يتصل به سـعيد ذو الفقار باشا ـ كبير الأمناء ـ قائلا :

ـ لدى رسالة لك .

ولا يجد السفير ما يقوله سوى :

ـ احضر حالا .

ويصل كبير الأمناء ليتكلم :

ـ هناك مسألة شخصية بين الملك وبينك .

ـ .. ما هى ؟

ـ لقد وصفت فيروتشى بأنه كلب قذر .. وهذا التعبير لا يجوز أن يطلق على أحد موظفى القصر .

ـ لا أذكر ذلك .. ومع هذا فانى مستعد للقول بأن فيروتشى كلب لطيف .. أو أنه أى نوع آخر من الكلاب يفضله صاحب الجلالة .

ولأن لامبسون يبرق بكل شىء لحكومته فى لندن .. فانت يبعث بنص هذا الحديث أيضا ويقول :

ـ لقد ذكرت للباشا كلاما كثيرا معناه لا تكونوا أطفالا !

ومع هذا كله فان لامبسون يهتم بأن يبرق لحكومته بكل هذا العبث !

.. وأجد هذا أمامى فى مركز الوثائق العامة !

***

ولقد حاول محمد محمود باشا عندما كان رئيسا للوزارة أن يبعد فيروتشى بعد تعيينه مباشرة من منصب كبير المهندسين .

.. وبين محمد محمود باشا وبين السفير البريطانى دار هذا الحديث .

قال محمد محمود :

ـــ ان الملك يبدو متشددا وهو غلام صعب .. لقد قلت للملك أنى وعدتك ـــ أى وعدت السفير ـــ بأن تعيين فيروتشى هو اجراء مؤقت .. وليس تعيينا دائما .

وقلت .. والحديث مستمر على لسان محمد محمود عما دار بينه وبين الملك :

ـــ لن يكون أمرا محترما ان يضغط الانجليز لاخراج هذا الرجل الخطر من منصبه .

وأضاف محمد محمود :

ـــ لقد آثار حسين سرى باشا زوج خالة الملكة فريدة موضوع فيروتشى فى حيدث له مع فاروق وقال له :

ـــ ان تعيين فيروتشى يعتبر فضيحة .. فهو سيىء السمعة ، وليس أمينا .

وقال محمد محمود أنه نبه الملك الى أن فيروتشى ذو ماض ملوث كما تقول الاشاعات .. وأنه قواد .

وقد سألنى فاروق :

ـــ قواد لمن ؟

ولكنى لم أستطع أن أقول له تلك الكلمة الحاسمة :

ـــ قواد لأبيك .. الملك فؤاد !

* * *

.. فى أول الأمر كان السفير يحسن الظن بالملك ، أو يثق فى قدرته على ترويضه ! ..

ولكن الصراع يشتد ..

وينتصر لامبسون فى نهاية الأمر .. لأنه ــ كما أطلق عليه فى لندن ــ كان آخر الفراعنة .. أو آخر فرعون بريطانى فى مصر .

.. ومعنى ذلك أن كلمة الرجل فى مصر .. لا ترد !

الوصية

دعاهم جميعا الى دار المندوب السامى .. بعد شهرين من حضوره .

.. لم يتخلف واحد من زعماء الأحزاب السياسية المصرية عن حضور الحفل الذى أقامه السير مايلز لامبسون بقصر الدوبارة .

واذا كانت السياسة قد فرقت هؤلاء القادة وباعدت فيما بينهم فان حفل المندوب السامى ضمهم جميعا .. ولامبسون ينفرد — على حدة — بكل رئيس سابق للوزارة ليستطلع الرأى .. أو ليختبر مدى الاستعداد للتعاون معه .

.. كان النحاس أيامها — عام ١٩٣٤ — فى المعارضة .. الانجليز ضده .. والقصر ضده والأحزاب الأخرى ضده .. وغالبية الشعب معه .. !

* * *

وصف لامبسون أول لقاء له بالنحاس فقال :

« كان النحاس منعزلا فى ذلك الوقت .. وهو أغرب شخص فى مصر . بدا لى منتفخ الصدر وكأنه يتحدى العالم . وقد تطرق

الحديث الى موضوع تدريس اللغة الانجليزية فشكا لي من العجز والنقص فى تدريسها . ولم نتناول المسائل السياسية » .

وتتعدد لقاءات السفير بالنحاس .. وبغير النحاس .

* * *

.. وفى عامين يجتمع زعماء مصر — عـدا بهى الدين بركات وحافظ رمضان — فى جبهة وطنية واحدة برئاسة مصطفى النحاس للمطالبة بتعديل المعاهدة .

ولا يمكن أن يقال أن لامبسون صاحب الفضل الوحيد أو أنه العامل الأساسى فى تشكيل هذه الجبهة .. ان الزعمـاء كانوا يطالبون دائما بمعـاهدة .. ومن البداية فان لامبسون رجـل المعاهدات وتاريخه فى الصين معروف .. وغايته الأولى أن يركب التيـار .. وفى تلك الأيام كانت المعاهدة هى التيـار السائد فى مصر .. تظاهر الطلبة يطالبون بها وطافوا بالزعماء يكتلونهم ، أو يدعونهم الى التكتل فى جبهة وطنية .

* * *

ولم يكن الوصول الى المعاهدة مهمة سهلة بالنسبة للمصريين أو بالنسبة للانجليز .

.. كانت هناك مشاكل وعقبات كثيرة .. واستمرت مفاوضاتها ستة شهور .

ويعترف توينبى بأن الفضل للامبسون فى تذليل العقبات أمام مشروع المعاهدة .

* * *

سافر لامبسون الى لندن ليحضر اجتماع مجلس الوزراء الذى ناقش المشروع .. ووافق عليه بعد أن استمع الى حديث طويل من المندوب السامى البريطانى فى القاهرة .

.. وفى لندن اجتمع لامبسون بأنتونى ايدن الذى قال له :

ــ الا ترى أن الحل الجذرى هو ضم مصر لبريطانيا ؟

.. وهى نفس الفكرة التى اقترحها الجنرال وينجت باشا عام ١٩١٧ .. أى قبل ١٩ سنة .

ويرد لامبسون .. كما تقول مذكراته :

ــ كان هذا السؤال فى خاطرى منذ وصلت الى مصر . وقد كتبت ذلك فى تقرير رسمى وقلت ان ذلك هو الحل الوحيد .. ولكن لا يمكن تحقيق ذلك فى الظروف الحاضرة لأن الرأى العام المصرى والبريطانى غير مستعدين لقبول ذلك . ويجب أن نسعى بالتدريج لزيادة الروابط والمصالح المادية بين البلدين .

.. وقد أدى بنا هذا الى اختيار حافظ عفيفى ليكون ممثلا لمصر فى بريطانيا .

.. وهذه الصفحة من المذكرات فيها اعتراف صريح بأن الرجل فكر فى ضم مصر لبريطانيا .. وأنه ساهم فى تعيين حافظ عفيفى فى منصبه . .ولعل هذا يفسر فيما بعد سر اختيار حافظ عفيفى رئيسا لديوان فاروق فى أواخر عهده !

***

ولقد جرت مفاوضات المعاهدة فى عهد أحمد فؤاد ، ولكن التوقيع عليها تم فى عهد مجلس الوصاية ، بعد وفاة فؤاد ، وقبل جلوس فاروق على العرش .

ولقد اعتبر توقيع تلك المعاهدة نجاحا كبيرا للامبسون الذى كان يعرف أن المعاهدة ستكون ذريعة لكل تدخل فى شئون مصر .. وستكون وسيلة لفرض شروط بريطانيا على مصر .. وربطها بانجلترا .. واستغلال كل موارد مصر لحساب الجيوش البريطانية أثناء الحرب .

ان لامبسون بقى حريصا على المعاهدة .. وهذا الحرص هو الذى جعله يقساوم كل محاولة مصرية لتعديل المعاهدة بعد انتهاء الحرب .

.. ويشاء القدر .. أو تشاء الظروف السياسية أن يكون مصطفى النحاس الرجل الذى كان أول من وقع من المصريين على المعاهدة فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ هو نفسه الذى أعلن الغاءها .

* * *

.. ومن مفاوضات المعاهدة فى القاهرة ولندن نلتقط اسما لأحد السياسيين المصريين .

.. عند هذا الاسم يجب أن نتوقف فان صاحبه لعب أدوارا كبيرة وخطيرة فى تاريخ مصر السياسى لا تقل عما يقوم به المندوب السامى .. ممثل بريطانيا فى القاهرة .

ان كل زعماء مصر .. وقفوا أمام القضاء يؤدون اليمين القانونية ثم يدلون بشهادتهم بشأن هذا الرجل .. فقد كان على صلة طيبة بالجميع .. كان مثل المندوب السامى لبريطانيا .. كلهم يتعاملون معه !

فى مفاوضات المعاهدة نجد لأول مرة اسم أمين عثمان .

* * *

مصرى خريج كلية فيكتوريا بالاسكندرية ويعمل وكيلا لوزارة المالية وسكرتيرا لهيئة المفاوضات .

وقف على ماهر يشهد أمام المستشار عبد اللطيف محمد رئيس محكمة الجنايات التى حاكمت المتهمين باغتيال أمين عثمان .

وكان هدف الدفاع أن يثبت « خيانة » أمين عثمان .. وأن المتهمين المعترفين بالقتل .. لهم عذرهم .. !

وتكلم على ماهر ليشرح الظروف التى أحاطت بمفاوضات المعاهدة وحكاية أمين عثمان .

قال على ماهر يروى قصة الـ ٤ شهور التى تولى فيها رئاسة الوزارة عام ١٩٣٦ فى أواخر حكم الملك فؤاد :

وأنا هنا أنقل كلمات على ماهر :

« كنت أتولى رئاسة الوزارة ، وكنت وزيرا للداخلية والخارجية أيضا . وألقيت على مسئولية التمهيد للمفاوضات .. وازالة كل المعقبات ..

.. كان الانجليز يرغبون فى أن تجرى المفاوضات فى دار السفارة فتوصلت الى اجرائها فى قصر الزعفران .

وكانوا يعارضون اشتراك أخى أحمد ماهر باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا فى أعضاء هيئة المفاوضات .. واستطعت اقناع الانجليز بقبولهما .. وعدم الاعتراض عليهما .. وكان السبب اتهام ماهر والنقراشى فى قضية اغتيال السيردار السيرلى ستاك.

وقدم الانجليز ما يشبه الانذار بأنه فى حالة فشل المفاوضات فانهم يستردون كامل حريتهم .. أى أنه يمكنهم الغاء تصريح ٢٨ فبراير .. الذى أخذت مصر بموجبه الاستقلال .. فسحب الانذار ..

ومات أحمد فؤاد ..

وكانت الطلبات البريطانية كثيرة .

استدعيت لامبسون وسألته ان كان يريد حقيقة أن يصل الى حل للقضية أو يريد أن يفشل العمل ؟

فأجاب أنه بالطبع يريد الوصول الى نتيجة .

بينت له أن طلباتهم غير معقولة .. وفيها اضاعة للوقت .. وأن هذا لا يحتمل .

أجاب بأن الذنب ليس ذنبه لأن أمين عثمان أفهمه أن النحاس يساوم كثيرا ويريد دائما أن ينقص ٥٠ ٪ من طلبات الانجليز .

ونصحه أمين باشا أن يطلبوا ٢٠٠ ٪ حتى ينزلوا ١٠٠ ٪ .

وقد عملوا بهذه النصيحة وقدموا طلبات مبالغ فيها !

.. ومصطفى النحاس لم يكن ينزل الـ ٥٠ ٪ بل كان ينزل ٢٥ ٪ » .. !

وتنتهى شهادة على ماهر .

ويكمل هذه الشهادة حسين سرى رئيس وزراء مصر السابق.

قال :

« فى مفاوضات عام ١٩٣٦ فى الجزء الخاص بالثكنات ذهب عبد الحميد بدوى باشا الى وزارة الخارجية البريطانية ليتفق على النقطة القانونية فدهش اذ وجد أمين عثمان فى وزارة الخارجية ، وكانت المفاوضات أيامها فى لندن .

وقد رد محمد محمود باشا على عبد الحميد بدوى باشا فقال له :

ـ أمين عثمان على علاقة طيبة برجال وزارة الخارجية البريطانية ويمكنه المساعدة لتسهيل مأمورية بدوى باشا اذا كان هناك خلاف فى النصوص » .

ويضيف حسين سرى قائلا :

« كانت دهشتى عندما علمت بعد ذلك أن أمين عثمان هو المدافع عن وجهة النظر البريطانية من ناحية النصوص .. ولم أهضم ذلك » ! .

* * *

بعد أن تم التوقيع على المعاهدة .. كان من المنتظر ـ طبقـا للتقاليد الدبلوماسية ـ أن ينقل لامبسون من مصر ليحل محـله سفير بريطانى ـ بدلا من المندوب السامى ـ ليتفاهم مع الدولة المستقلة التى ستتعامل مع بريطانيا على قاعدة المساواة .

.. ولكن بريطانيا وجدت أن المعاهدة مجرد مقـدمة .. وأن الظروف الدولية تنبىء بحرب قادمة .. ولابد أن تطبق المعاهدة. والرجل الذى وقعها يستطيع أن يتعامل ويتفاهم مع كل حـكام مصر .. وزعمائها وقادتها .. !

.. يعود لامبسون من لندن كأول سفير بريطانى لمصر ..

ويستقبل السفير فى محطة القاهرة .. تماما كما كان يستقبل المندوب السامى ..

.. ان لامبسون يجد معظم المسئولين فى مصر..على رصيف القطـار .. !

* * *

ويلتقى لامبسون يوم ٦ نوفمبر ١٩٣٦ بأعضاء مجلس الوصاية بعد ٣ شهور من توقيع المعاهدة . ويكتب الى أنتونى ايدن وزير الخارجية يصف موقفه .. ويبين أن نفوذه لم يتضاءل بعد توقيع المعـاهدة .

قـال :

رأيت من المفيد أن أنقل لهم نظرة عامة عن تصورى الشخصى حول مستقبل العلاقات بين الحكومة المصرية والسفارة الجديدة.

لقد كان هناك حديث منتشر يدور فى القاهرة حول أن نفوذنا قد تضاءل . وهذا هراء بحت لا يمكن أن يحدث حتى لو كنا نريد. ونحن لا نريد . واعتقـد انه على العـكس من ذلك فان نفوذنا سوف يزداد .

حقيقة سيكون نفوذنا من نوع آخر لأنه لن يكون هناك عامل الاملاء بل عامل النصيحة المساعدة والصديقة .

وبالفعل فأننا فى السنوات الأخيرة حاولنا بكافة الأساليب أن تكون طلباتنا ووجهات نظرنا معروفة كما حاولنا بعناية أن نتجنب على قدر المستطاع كافة أنواع التوسل المباشر حول التحفظات الأربعـــة .

والآن .. وهذه النقاط على وشك التصفية عن طريق المعاهدة سوف يختلف موقفنا الحالى .. ولكن دورنا فى حماية مصر لن يختلف بل ان المعاهدة زادته قوة وشرعية .

.. كنت متفائلا الى حد أن أهميتنا فى دور الموجه والنـــاصح والصديق سيزداد من سنة الى أخرى نتيجة للظروف الجديدة .

اختفى عامل الاملاء المستتر وسنكون فى موقف الأخوين الأكبر والأصغر ، أو الشريكين فى مصنع . ولو أن طبيعة الأشـــياء ستجعل نفوذنا أكثر قوة فى الشئون الدولية .

وبالاضافة الى ذلك فمن الأمور الواضحة أننا لا نستطيع عزل أنفسنا عن رفاهية وسلامة مصر حتى لو أردنا تلك العزلة .

***

ويضيف لامبسون لأعضاء مجلس الوصاية .. وهو يحدثهم.. كما يخاطب فاروق تماما .. !

قال لهم :

« على الرغم من أن اسم دار المعتمـــد سيتحول فى المستقبل الى سفارة .

وعلى الرغم من أن الصوت الذى ســـيرتفع لن يكون صوت المندوب السامى ، ولكن صوت السفير .. فأنى أرجو من ناحيـــة المبدأ أن يسمع لهذا الصوت أكثر مما كان يحدث من قبل .

ان السفير الذى كان مندوبا ساميا سيكون صوت صديق أكثر منه صوت سفير وسيسرع فى السعى لتحقيق المصالح الحقيقية للدولتين .. ويتعذر على أن أرى أية حكومة مصرية تتجاهل بشكل مستمر نصحنا وتبقى كثيرا فى الحكم » .

ولقد أنصت الأوصياء الثلاثة — كما قال لامبسون — انصاتا كاملا .. وأعتقد أنه لم يكن شيئا سيئا أن يحدث هذا ، ولكن كان من الواجب أن أكلمهم فى حديثى الأول بهذه الطريقة ذلك أن هناك مناخا يمكن وصفه « بالانهزامية » فى الدوائر البريطانية والأجنبية هنا .. وعندى ثقة بأنه فى الامكان أن ننتصر على هذا المناخ لو لعبنا بمهارة .

وكان شريف صبرى — وهو أكثر الأوصياء ذكاء والمعروف لدينا بعلاقاته الودية بالوفد — شديد الاهتمام بما قلت ولم يعترض على الاطلاق بل تطوع بعد مناقشة بالاعتراف بأن هذا انذار .

* * *

وهذا الحديث يبين فى صراحة أن شيئا لم يتغير فى مصر .. بعد المعاهدة ..

لا يزال السفير ينذر .. وأعضاء مجلس الوصاية يستجيبون للانذار ..

بل ان السفير يكتب لحكومته بعد ٣ أيام قائلا :

« ان تغير الوضع لا يعني تغير دورنا . وأنا لا أعتزم فى المستقبل أن أغير السياسة الموجودة وذلك بالاتصال مباشرة برئيس الوزراء فى كافة المسائل الكبرى .. أما المسائل الروتينية الصغيرة فيجرى الاتصال بشأنها مع وزير الخارجية » ! .

* * *

وقعت المعاهدة يوم ٢٦ اغسطس ١٩٣٦ .

وكان عمر فاروق أقــل من ١٨ سنة هجرية !! و ١٦ ســـنة ميــلادية ..

وكان مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر ورئيس الوفد المصرى فى المفاوضات أيضــا فى السابعة والخمسين من عمــره ويتولى الوزارة منذ ٩ مايو عام ١٩٣٦ .

ويعين الملك ـــ بعد جلوسه على العرش ـــ على ماهر باشا رئيسا للديوان دون استشارة الحكومة .. ورغما عنها..وكانت الحكومة تفكر فى تعيين عبد الفتاح الطويل لهذا المنصب .

وبعد سبعين يوما فقط من تعيين على ماهر .

وبعد ٣ شهور فقط من توقيع المعاهدة تقوم أزمة ضخمة بين الملك ورئيس وزرائه .. وفى نفس الوقت يتجمع رأى عام ضد حكومة الوفد نتيجة كثير من تصرفاتها .

ولم تكن الأزمة مفاجئة .. بل كانت لها مقــدماتها .. التى شرحتها رسالة جامعية عن حزب الوفد نال عليها مقدمها محمد فريد عبد المجيد حشيش درجة الماجستير :

● .. أراد فاروق أن يكون تتويجه فى حفل يقام بالقلعة .. يقلده فيه شيخ الأزهر سيف جــده محمد على ويحضرها الأمراء بملابس خاصة فاعترض النحاس الذى طلب أن يكون حلف اليمين أمام البرلمان مجتمعا فى مؤتمر وطنى فقال فاروق :

ـــ شيوخ ايه .. نواب ايه .. !

فقد كان الملك يرغب فى حفل للتتويج !

وانتصر رأى الوفد .. ولكن قامت هوة بينه وبين الملك زادها اتساعا الذين حول الملك من خصوم الوفد .. أمثال على ماهر رئيس الديوان .

● رفض الملك تعيين يوسف الجندى وزيرا للداخلية . وكان يوسف الجندى هو الذى تزعم ثورة ١٩١٩ فى بلدته زفتى وأعلن استقلالها .

● أحزاب الأقلية سعت الى اقناع فاروق بأن الوفد يعتدى على سلطاته .. وأن هذه الأحزاب تريد تقوية سلطة الملك فيدعوها الى الحكم .

● رفضت وزارة الوفد أن يعين الملك مهندسا انجليزيا للباخرة المحروسة .. ورفض الملك أن تتدخل الوزارة فى شئون موظفى القصر ..

ويذهب النحاس للملك يقول له :

ــ ان على ماهر أصدر قانونا ينظم قواعد استخدام الموظفين الاجانب .

فيرد فاروق :

ــ أنا سألت على ماهر فقال لى أنه حين أصدر هذا القانون لم يخطر بباله موظفو السراى .

ويدرك النحاس ساعتها أن على ماهر وراء الستار !

● اتبعت وزارة الوفد سياسة حزبية بعد المعاهدة وكان يجب أن يطبق النحاس نداءه عند تأليف الوزارة (لا حزبية بعد اليوم) فاستفحلت المحسوبية الحزبية والعائلية فى كل النواحى حتى فى الانعام بالرتب والنياشين . ووصل الأمر الى حد أن جريدة البلاغ الوفدية نشرت مقالات لصاحبها عبد القادر حمزة تحدث فيها عن (الوزارة ومعنى الحكم) فقال الوزارة ليست ايثارا للاقارب والأصهار .

واستحدثت حكومة الوفد اسلوبا جديدا لتدعيم أركان الدكتاتورية البرلمانية وصبغ الجو السياسى بنوع من الارهاب فشكلت فرقا خاصة أطلقت عليها (فرق القمصان الزرقاء) ردا

من حكومة الوفد على قيام الاخوان ومصر الفتاة بانشاء منظمات شبه عسكرية بتأييد القصر وعلى ماهر .. وبالذات مصر الفتاة التى أنشأت فرق القمصان الخضر .

وكان أفراد القمصان الزرقاء يقتحمون الدواوين ويملون ارادتهم على الرؤساء والموظفين ويعتدون على أشخاص المعارضين والصحف المعارضة تحت سمع البوليس وبصره .

● حاول الوفد اقحام الطلبة فى النشاط السياسى الحزبى .. وغضب لرسوب فرق من انصاره ودعاته فى الجامعة – كما تقول الدكتورة بنت الشاطىء – فاستصدرت الوزارة قانونا من البرلمان يهبط بنسبة درجات النجاح فى امتحانات الجامعة من ٦٠٪ الى ٥٠٪ على أن يسرى ذلك القانون بأثر رجعى .. فنقلت الحكومة بقوة القانون الطلاب الحزبيين من الراسبين الى صف الناجحين .

● اعتقالات الصحفيين .

ولم يكن الملك فى كل هذه الشئون نصيرا للحريات .. أو ضد مآخذ الوزارة .. بل ان أزمة الملك مع الوفد نشأت وتطورت وتضخمت نتيجة الخلافات الدستورية .

.. تمسك الوفد بحقه فى تعيين مجلس الشيوخ وأصر القصر على أن الحكمة فى التعيين هو استكمال الكفايات التى لم تفز فى الانتخابات .

وأرسلت الوزارة عدة مراسيم للسراى فرفضت توقيعها بحجة أن الوزارة لم تأخذ فيها الرأى مقدما .

وبهذه الطريقة اصبح عمل الوزارة مشلولا .

وتمادى على ماهر رئيس الديوان الملكى فطلب أن تكون الوزارة هى المرجع النهائى فى تعيين كبار الموظفين واحالتهم الى المعاش وتقديم مشروعات القوانين الى البرلمان .. الخ .

ورفضت الحكومة هذه الطلبات .. واذا كان على ماهر عنيدا فان النحاس كان أكثر وأشد عنادا .

وقد طلب القصر أن يحتكم هو والوزارة الى هيئة محايدة ولكن النحاس رفض فكرة التحكيم .

* * *

نشر فى ذلك الحين فى الصحف المصرية نفسها أن السفير البريطانى السير مايلز لامبسون تدخل بين القصر والوفد لتضييق شقة الخلاف وأنه زار كلا من الملك والنحاس فى النصف الثانى من ديسمبر لهذا الغرض .

وقيل — أيامها — أن الحكومة أو السفارة البريطانية مصممة على أن يبقى الوفد فى الحكم لأنه الحزب الذى فاوض وعقد المعاهدة .. ولأن العلاقات بين رئيس الوزراء والسفير البريطانى قوية .

وقد أذاعت حكومة الوفد بيانا رسميا نفت فيه أنها لجأت الى السفارة طالبة منها التدخل فى أزمة السلطات الدستورية بينها وبين الملك ..

* * *

هذا هو ما يقوله محمد حشيش فى رسالته الجامعية عن حزب الوفد .

ولكن أين الحقيقة ؟

هل تدخل السفير البريطانى فى الخلاف بين القصر والوفد ؟ .

وهل أراد السفير البريطانى ابقاء الوفد فى الحكم لأن الوفد كان أغلبية فى هيئة المفاوضات المصرية وكان النحاس هو رئيس هذه الهيئة فضلا عن البرلمان الوفدى هو الذى أقر هذه المعاهدة؟

أم أن السفير البريطانى رغب فى المحافظة على صورة الحكم الديموقراطي فى مصر .

ان الوثائق البريطانية تكشف لأول مرة .. وبالدليل .. دور لامبسون فى محاولة التدخل لصالح مصطفى النحاس .. لا فى النصف الثانى من ديسمبر كما نشر فى مصر عام ١٩٣٧ .. بل قبل ذلك بشهر كامل .. فى النصف الثانى من نومفبر ..

- فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٧ يكتب لامبسون لحكومته :

« ان فاروق مصمم على عزل النحاس .. وستكون مسألة قاتلة اذا اعتقد هذا الصبى — يعنى الملك — أنه لا يقهر .

أما بالنسبة لى شخصيا فقد أحببته دائما .. فذكاؤه .. وشجاعته واضحان .. وان كنت أخشى شجاعته ، وآمل أن يستطيع على ماهر التأثير عليه .. والا فان أوقاتا عصيبة تنتظرنا.

وهكذا نجد ميلا من السفير للتمسك بحزب الوفد الحاكم الذى يعتمد على الأغلبية الشعبية .

ونجد من السفير أنه رغم كل شىء .. لا يزال يحسن الظن بالملك ويعتقد انه لا يزال يمسك بالزمام .

ولكن السفير فى ذلك الوقت لم يفرض رأيه .. كما فعل نائبه موريس بيترسون الذى عزل عبد الفتاح يحيى .

ان السفير فى تلك الايام كان مترددا أين يتجه .. أنه مع الملك .. ومع الوفد .. ويريد أن يجمعهما معا .. فاذا قدر له أن يختار فورا .. فانه حائر .. وبالاضافة الى ذلك فانه كان يأمل خيرا فى على ماهر .

ولا يستطيع لامبسون حل الأزمة ولكنه يقنع كلا من الملك والنحاس بتأجيل المشكلة شهرا .. ويرفع — فى نفس الوقت — الأمر الى وزارة الخارجية ويتلقى تعليمات محددة .. واضحة !

***

وفى ٢٠ ديسمبر من نفس العام يكتب لامبسون لوزارة الخارجية من جـــديد .

« أبلغت تعليماتكم لعلى ماهـــر .. وقـــرأت له الأوامر التى سأقوم بتنفيـــذها .. وبالذات الفقرات التى كتبت بلهجة حادة وعنيفـــة .

.. أشرت له الى تأييد بريطانيا المستمر للملك فاروق .

قلت :

ــ سيكون شيئا مؤسفا اذا عرف فى لندن أن فاروق يعانى من نفس الضعف الذى كان لأبيه .. أى الرغبة فى الانفراد بالحكم .

وقلت :

ــ عندما أقابل فاروق سأوجه له كلمات أعنف ، ولذلك فضلت أن التقى برفعته ــ أى على ماهر ــ نظـــرا لصداقتنا الطويلة وتعاوننا فى الماضى !

انى أعرف حالة الضيق التى يعانى منها الملك والتحدى الذى يوجـــه له .. ولكنى ضد اقالة رئيس للوزراء يتمتـــع بالأغلبية البرلمانية مما سيؤدى فى النهاية الى تدمير الملك وأسرته .

.. هناك خطر خارجى يتزايد .

وهناك حالة مصر المحزنة بعد الاستقلال .

وقد طلب منى على ماهر أن أكون عنيفا وخشنا مع الملك عندما ألقاه فى مساء نفس اليوم .

وأضاف على ماهر :

ــ لا تنس أنه لا يزال صبيا .

قلت لعلى ماهر :

— انى تكلمت مع الملك برقة فى آخر لقاء .. ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ :

١ — ان الملك يعتبر انى البروفسور لامبسون يحاضر تلميذه — أى فاروق — !

٢ — لندن تعتبرنى رقيقا جدا مع الملك .

.. انى سأكون حريصا فى اختيار كلماتى مع الملك ، ولكن تطور الأمور ، كما تراه بريطانيا يهدد العرش » .

***

ويروى لامبسون لحكومته قصة وتفاصيل اجتماعه الذى دام ساعة ونصف بالملك .. فقال :

« قلت للملك :

— ان الأحداث تتطور وتتجه الى منحنى خطر . ولا يمكن أن نعفيك من اللوم . أن تأييدنا الذى نقدمه متطوعين — عند الحاجة — سيتأثر بالسياسة التى تنتهجها .

وحذرته عدة مرات من اقالة رئيس وزراء له اغلبية ساحقة فى البرلمان .. فان هذا خطر على العرش ..

وأضفت :

— ان جلالتك يجب أن تتفق مع الوفد وتجعل الأمور تأخذ مجراها الدستورى .

ان جلالتك يجب أن تنظر أبعد من أى سياسى ..

والتعليمات التى لدى تقضى أن أخاطبك فى لهجة عنيفة وحادة.

ضحك فاروق وقال :

— انى أفهم اللغة الانجليزية جيدا .

واضــــاف :

ــ على ماهر سيجد حلا .

وبدا فاروق حاضر النكتة .. لطيفا .. ولكنه لم يلتزم بشىء وقــــال :

ــ سأتمسك بالصبر فترة أطول .. فاذا اتفقت معى الحكومة الوفدية فى المسائل الأساسية فسأدفن المــاضى .. وأبدأ بداية جــديدة .

سألتــــه :

ــ هل هذا وعد نهائى ؟

فرد جلالته بالايجاب على أن اجتمع بالطرف الآخر ــ النحاس ــ لقبول نفس الشروط ..

انى ــ والكلام هنــا موجه من السفير لحــكومته ــ مستعد للمساعدة فى الوصول الى الهدف المشترك ، ولكنى أرى الحق مع النحاس ما دامت له الأغلبية فى البرلمان .

وقد قال لى فاروق أن على ماهر سيجتمع بمكرم .. مرة أخرى .. غـــدا .

وهكذا أصبح الســـفير البريطانى وسيطا بـــين ملك مصر .. ورئيس وزراء مصر الذى يرأس الحزب الشعبى فى البلاد .

ولكن هذه الوساطة لم تسفر عن تقارب أو تفاهم بين فاروق والنحاس .. فقد كان فاروق بدوره فى مفترق الطرق ..

كان يريد أن يحكم وبسلطة مطلقة .. دون اهتمام بالبرلمان .. والدستور ..

* * *

.. قبل اقالة النحاس بيوم واحد .. يكتب السفير الى لندن:

ـــ لا يخامرنى شك فى أن على ماهر مصمم على انهاء الأزمة، ولكن المسألة أعمق .

لا توجد اى فرصة ، أو أمل حقيقى فى أن يتم التفاهم بين الملك والنحاس .. وبقى أن نعرف ماذا سيحدث .

.. ستجىء حكومة أقلية تحل البرلمان وتجرى انتخابات جديدة ..

ان محمد محمود رجل شجاع وجرىء .. ولكن على المدى الطويل فان العرش وعلى ماهر سيندمان على تحدى حزب الأغلبية .

ولكن يجب أن نذكر أن مصر ليست انجلترا .. وغريزتى تقول: العملية كلها خطأ » .

❊ ❊ ❊

وهذا التقرير من السفير لحكومته يوضح مسائل كثيرة أهمها أن السفير كان أول من يعلم بالأزمة بين الملك والوفد .. وأول من يقر اسم رئيس الوزراء الجديد .

ولم تبق وزارة النحاس فى بداية عهد فاروق سوى ٥ شهور فى الحكم .

.. وفى اليوم التالى للقاء لامبسون بالملك يقال النحاس . ويكتب فاروق فى خطاب الاقالة :

« نظرا لما اجتمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ، وأنه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور، وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها ، وتعذر ايجاد سبيل لاستصلاح الأمور على يد الوزارة التى ترأسونها ، لم يكن بد من اقالتها تمهيدا لاقامة حكم صالح » .

ويعلق السفير على هذا الخطاب فى برقية عاجلة الى حكومته قائـــلا :

« لم أقرأ فى حياتى خطاب اقالة أكثر عنفا ، أو وثيقة أكثر .. قلة أدب .. من هذا الخطاب » .

لقد شكل محمد محمود الوزارة .. وبمراجعة أسماء الوزراء لا أستطيع الا أن أردد المثل القديم الذى يقول :

« ان الذين يرغب الله فى تدميرهم .. يصيبهم أولا بالجنون »!

وفى شهادة على ماهر أمام القضاء ـــ فى قضية اغتيال أمين عثمان أيضا ـــ اعترف بأن السفير البريطانى تدخل لمنـــع اقالة النحاس .. فقال له على ماهر :

ـــ بأى حق تكلمنى .. وانتم وقعتم على المعاهدة ؟

فقـــال :

ـــ انى أتكلم كصديق .

رد على ماهر :

ـــ مادمت تتكلم كصديق .. تفضل .

أجاب السفير :

ـــ أرجو الا تكون الاقالة ليلا ..

قال على ماهر :

ـــ سأستأذن جلالة الملك وأرد عليك .

واستطرد على ماهر يقول :

ـــ كان من المتفق عليه أن تكون الاقالة فى اليوم التالى ولذلك اتصلت بالسفير وقلت له :

ـ لن يحدث شيء فى هذه الليلة .

وقال على ماهر للمحـكمة أنه ـ من باب المداعبـة ـ قال للسـفير :

ـ أنت مسئول عن الأمن فى البلاد .. الليلة .

وقال على ماهر أنه انتقل بعـد ذلك من قصر القبة حيث تم الاتصال بينه وبين السفير الى قصر عابدين حيث التقى بمـكرم عبيد .. وأمين عثمان ..

* * *

وهكذا كسب السفير ليلة ليكتب لحكومته .

ولقد سئل مصطفى النحاس فى قضية اغتيال أمين عثمان عن تدخل السفير البريطانى .

سأله الدفاع :

ـ عقب اقالة حكومتك عام ١٩٣٧ هل حضر لك السفير وزارك فى بيتك ومكث عندك ساعة و ٥٠ دقيقة يوم ٣١ ديسمبر أو أول يناير ١٩٣٨

(جواب الاقالة بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧)

فلم يجد النحاس الا جوابا واحدا .

قـال :

ـ يجوز .. !

ـ وهـل دار حديث بينكما اعتبرتموه أنتم الاثنـين مساسا بحقـكما .. ؟

ـ لم أكلم السفير بشيء خاص به ، ولكن بمعلومات .

ـ هل قلت ان الحكومة التى جاءت بعدك دعا اليها الانجليز؟

ـ قلت ولا زلت أقول أن العهد كله مؤامرة بين رجال العهد والانجليز .

* * *

تولى محمد محمود الوزارة بعد النحاس .

وضمت الوزارة اسماعيل صدقى ، وعبد الفتاح يحيى وأحمد خشبه ومحمد حلمى عيسى وأحمد لطفى السيد وحسن صبرى وحسين سرى ومراد وهبه وأحمد كامل ومحمد حسين هيكل ورشوان محفوظ والشيخ مصطفى عبد الرازق .. وهى الأسماء التى قرأها السفير البريطانى ثم اتهم الملك ـ على أثر قراءتها بالجنون .. !

.. ومع أن السفير البريطانى كان يرى ضرورة استمرار الوزارة الوفدية .. فاننا نجد أن وزارة محمد محمود بقيت فى الحكم فترة طويلة فى عمر الوزارات المصرية .. عاشت الوزارة ٢٠ شهرا .. !

* * *

فى الفترة الأخيرة من عمر الوزارة بدأت طبول الحرب تدق فى أوربا .. وأخذت العلاقات تسوء بين الملك ورئيس وزرائه لأسباب كثيرة ..

قال الدكتور محمد حسين هيكل باشا أن محمد محمود كان يتمتع بتقدير الانجليز واحترامهم فى الوقت الذى ساءت فيه العلاقات بين الملك والسفير البريطانى .

وكان فاروق يشعر أن محمد محمود ينظر اليه لا على أنه الملك بل نظرة الأب لابنه الشاب ولم يرض فاروق عن هذه النظرة لأنه صاحب العرش وأكبر رجل فى الدولة رغم سنه .

ولا يوجـد ما يعبر عن تدهور العـلاقة بين الملك والسفير فى أواخر أيام وزارة محمد محمود أكثر من هذه القصة .

أقام الدكتور على ابراهيم مأدبة عشاء تكريما للاطباء الانجليز القادمين من لندن دعى اليها السفير البريطانى .

وبعد العشاء وقف السفير يتحدث مع الدكتور نجيب محفوظ فأشار الطبيب المصرى الى الملك وعلمه ! فرد السير مايلز قائلا فى حضور وزير المعارف المصرى :

ـ ولكن فاروق سطحى للغاية .. !

* * *

وفى الفترة الأخيرة من عمر الوزارة بدأت طبول الحرب تدق فى أوربا ..

وينتهز فاروق سفر لامبسون الى لندن لقضاء أجازته السنوية فبعث بكبير الأمنـاء سعيد باشا ذو الفقـار الى فندق وندسور بالاسكندرية ليلتقى بمحمد محمود باشا ويقول له :

ـ الملك فاروق يريدك أن تستقيل .

ويستقيل محمد محمود بسبب سوء حالته الصحية .. !

وسنجد بعد ذلك .. ان أهم التعديلات الوزارية تتم أثنـاء غياب السفير البريطانى خارج القاهرة حينا .. وخارج مصر كلها حينا آخر .

* * *

هل اختفى محمد محمود من مسرح السياسة بعـد استقالته التى تشبه الاقالة ؟ .

ان محمد محمود اختفى من مسرح الوزارة المصرية فقط ..

أما صلته بالسفير البريطانى فبقيت كما هى ..

ان الرجل يتمسك حتى آخر لحظة من حياته بالتعاون مع السفير البريطانى ..

وعندما تقترب أيامه الأخيرة لا يجد سوى السفير البريطانى السير مايلز لامبسون ليعهد اليه بوصيته كما تقول هذه البرقية :

* * *

برقية رقم ١٥٧

بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٤٠

من السيد مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

سرى

١ ــ ظل محمد محمود باشا يعانى مرضا خطيرا خلال الفترة الأخيرة .. ولأول مرة منذ عام تقريبا رأيته هذا المساء بناء على دعوته لى .

٢ ــ بدا لى كرجل يموت ولكن عقله وحديثه بقيا واضحين .

٣ ــ ظهر لى منذ اللحظة الأولى أن لديه شيئا خاصا يريد أن يقوله لى .

وبعد حديث قصير أشار فيه الى السياسة الداخلية ومحاولته أن يجعل السعديين يؤيدون حسين سرى ــ وهى محاولة فشلت بعد نجاح قصير ــ قال محمد محمود أنه على ثقة من أننا تحققنا الآن بألا أمل لمصر ولا لعلاقاتنا مع مصر ما بقى الملك جالسا على العرش .

ان جلالته فاسد الى أعماقه . ونخطىء خطأ كبيرا اذا آمنا بغير ذلك . ويبذل حسين سرى جهده لعلاج هذا الفساد الذى صنعه على ماهر ولكن لا أمل فى اصلاح الملك فاروق .

لقد أصبح معروفا الان أن ايطاليا هزمت ، ولكن الملك فاروق يعتقد أن الألمان سيهزموننا ــ أى الانجليز ــ وبالاضافة الى ذلك سيبقى الملك فاروق خطرا علينا وعلى بلاده . اننا فقدنا فرصة التخلص منه فى الأزمة السابقة . واذا كنا قد تراجعنا باعتبار أننا سنجد رد فعل معاديا لابعاده فاننا مخطئون . ان البلاد كانت ستتنفس الصعداء فى راحــة وهى مستعدة أن تفعل ذلك اذا أبعدناه غدا .

ان محمد محمود يأمل أن تساعدنا الحرب على ذلك ــ أى على التخلص من فاروق ــ ويجب الا نتردد فى ذلك مرة أخرى .

ولا يجب أن يصيبنا القلق بحثا عمن يخلف الملك فاروق فان الأمير محمد على موجود . وسيكون من الأفضل لمصر بعد وفاة الامير محمد على أن تذهب الاسرة المالكة كلها كمجموعة عفنة فاسدة .

٤ ــ لأنى أعرف محمد محمود جيدا فقد أفضيت اليه بأن الملك فاروق قد أنقذ فى أزمة الصيف الماضى بتعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة . وقد نجح صبرى باشا فى أن يجعل الأمور تنطلق من بداية أفضل .

والان ــ ولدينا حسين سرى رئيسا للوزارة ــ فانى أعرف أنه يأمل الاستمرار فى العمل على نفس أسلوب الحكومة الماضية . ولكنى لم أستطع اخفاء سوء ظنى الذى تكون على مر السنين وهو أنه ما دام الملك فاروق يجلس على العرش فانه لن يكون عاملا فى تحسين العلاقات .

وفى نفس الوقت يجب أن نكون واقعيين . اننا لا نريد أن نضيف الى مشاكلنا الحالية أزمة خطيرة فى مصر .

ان سياستنا فى الوقت الحاضر تأييد الحكومة الحالية ، وبذل كل جهد ممكن لمساعدة رئيس الوزراء على اصلاح شخصية الملك. ولكن يجب أن أعترف أنى شخصيا غير واثق من النجاح . وقد عبرت لكم عن هذا الرأى — يا سيدى — عند زيارتكم الأخيرة لمصر .

٥ — رأيت أن أسجل هذا الحديث تفصيليا — لا لحاجة الى التصرف العاجل ، ولكن لانى أحسست أن محمد محمود كان حريصا على أن يعلن آراءه وهو بعد فى حالة يستطيع خلالها أن يعبر عن هذه الآراء بوضوح ، ولأنه أحد المصريين القلائل الذى أثق فى حكمه الصائب وتقديره الواقعى لمصالح بلاده الحقيقية ومصالحنا .

ولقد شعرت شخصيا ومنذ فترة طويلة أن علاقاتنا مع مصر لن تستقر ما دام فاروق على العرش .

ومهما يكن الأمر فانى لا أقترح تحولا عن خطنا السياسى الحالى، ولكن اذا استشارنا فى المرة القادمة فأعتقد انه يجب أن نتصرف فى حزم .

* * *

وحاول محمد صبيح أن يدافع عن محمد محمود باشا فكتب يقول أن محمد محمود بعد أن وقع المعاهدة .. دخل حجرة وحده ليبكى .

ولكن عندما مات محمد محمود بعث لامبسون الى حكومته يطلب من ملك بريطانيا أن يبعث ببرقية عزاء الى أرملة محمد محمود لأن دوره فى توقيع المعاهدة لا ينسى ! ولتعاونه الطويلة معنا .. أى مع انجلترا على حد تعبير السفير !!!

* * *

يعين فاروق رئيس ديوانه على ماهر رئيسا لوزراء مصر يوم ١٨ أغسطس ١٩٣٩ قبل اعلان الحرب العالمية الثانية بأسبوعين.

ويكون الأمر مفاجأة للسفير البريطانى الذى يعود الى القاهرة بسرعة فى أول سبتمبر .. قبل ٤٨ ساعة من اعلان بريطانيا الحرب .

ويسرع السفير الى الاسكندرية يوم وصوله ليقابل فاروق الذى يقول له وكأنه يعتذر عن التغيير الوزارى :

ــ انى مستعد للمساعدة .. ان محمد محمود باشا كان مريضا حقيقة .. ولم يكن هناك بديل لعلى ماهر .. وستجد أن التعامل معه سهل فهو صريح .. وواضح .

ويضيف فاروق :

ــ لقد طلبت من القائم بالاعمال البريطانى ــ أثناء غيابك ارسال مزيد من القوات البريطانية الى مصر .

* * *

ويقبل الأمير محمد على ــ ولى العهد ــ على دار السفارة . ويبقى دهرا على حد تعبير السفير .. وكل حديثه يدور حول نقطة واحدة وهى أهمية ارسال مزيد من القوات البريطانية الى مصر .. ففى الحرب العالمية الاولى كان فى مصر ١٠٠ الف جندى جندى بريطانى ..

وهكذا نجد أن الملك وولى عهده يتنافسان على طلب استدعاء قوات بريطانية الى مصر !!

ويقدم السفير ــ يوم عودته ــ رسالة تأييد ودية من حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا .. الى على ماهر باشا رئيس وزراء مصر .

* * *

وتعلن بريطانيا الحرب ضد ألمانيا بعد يومين .. فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

وتبدأ الأزمة الكبرى بين على ماهر والسفير البريطانى .

أبطال الرواية

كان ثلاثة يحكمون مصر عندما قامت الحــرب فى أوروبا فى سبتمبر ١٩٣٩ .

الملك فاروق يجلس على العرش .

وعلى ماهر يتولى رئاسة الوزارة .

والسير مايلز لامبسون هو سفير صاحب الجلالة ملك بريطانيا .. فى مصر !

* * *

الملك يعتقد أن ألمانيا ستنتصر فى الحرب .. وأمه الملكة نازلى تؤمن أن النصر سيكون للانجليز لا للالمـــان .

عندما سقطت مدينة البردية ــ آخر المدن الليبية على حدود مصر ــ فى يد الانجليز .. سجل أحد رجال بوليس القصر الملكى ــ وهو من أصدقاء الملكة نازلى المقربين ! ــ مكالمة تليفونية بين الملكة نازلى ومراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية . وسلم صديق الملكة نص التسجيل الى السفير البريطانى الذى بعث به فورا الى أنتونى ايدن وزير الخارجية .

قالت الملكة نازلى :

ــ هل ترى كيف ينتصر الانجليز فى الحرب . الم أقل لكم انهم سينتصرون . انى كنت واثقة من ذلك ولكن فاروق ــ لسوء الحظ ــ لا يثق بى .

قلت له اترك نسبة ولو ١٠٪ فقط لانتصار الانجليز ولا تظهر عداءك لهم .. ولكنه لا يستمع لى .

انى لا أفهم هذا الولد . انه عنيد .. يستمع ــ فقط ــ لسائق سيارته وللايطاليين من حوله .

اجاب مراد محسن :

ــ انه لا يزال صغيرا !

* * *

.. وكانت معرفة الانجليز بهذه الخلافات عاملا ساعدهم على التفرقة بين صاحبة الجلالة الملكة الأم .. وابنها الجالس على العرش .. وقد نجح الانجليز فى هذا الشأن بالاضافة الى أسباب أخرى الى التفرقة نهائيا بين الملك وأمه !

والانجليز يعرفون أن فاروق يتصل بالألمان .

عندما توغلت قوات الألمان داخل الاراضى المصرية .. بعث السير مايلز لامبسون بهذه البرقية الى وزارة الخارجية فى لندن .

الخارجية فى لندن .

برقية رقم ٢٠٩٨

بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٤٢

هام

سرى

١ ــ وصلت الى معلومات سرية ليلة أمس من قائد الأسطول أن غواصة للعدو اقتربت ليلة ٢٥ أغسطس من الساحل عند قصر المنتزه فى الاسكندرية وأن الملك فاروق يحتمل أن يكون قد هرب .

٢ ــ استطعت بتحقيق محلى سريع أن أعرف أن الملك فاروق كان فى القاهرة منذ ليلة ٢٥ أغسطس وأن هذا الجانب من الرواية بالذات لا أساس له من الصحة .

٣ ــ ومع ذلك فان الشكوك لا تزال قائمة فى أنه حدث اتصال ، وأن هذه لم تكن المرة الأولى .

٤ ــ قبل أن أستطيع التأكد من القائد العام فى البحر المتوسط عما اذا كنت أستطيع استخدام معلوماته ،تلقيت صباح اليوم خطابا من القائد العام يبلغنى فيه أن ثمة اشتباها فى أنه حدث اتصال مع الشاطىء داخل القصر ، وأنه شوهدت أضواء ساطعة تصدر عن القصر فى اتجاه البحر فى وقت متأخر من الليل .

وسأل القائد العام عما اذا كنت أستطيع أن أجد وسيلة يمكن بها أن نقوم بدوريات فى القصر .

٥ ــ بناء على هذا استدعيت حسنين ــ أى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى ــ هذا الصباح ، وأبلغته بالتفاصيل الكاملة لخطاب القائد العام ، وأكدت خطورة هــذه الحقائق التى تم كشفها كما أكدت الأهمية العاجلة لايضاح الأمر .

وأضفت قائلا :

ــ ان هذه ليست المرة الأولى التى تثور فيها شكوك مماثلة . ومن الأفضل لمصلحة جلالته أن يسمح فورا بقيام ورديات على شواطىء القصر .

٦ ــ أعلن حسنين أنه مقتنع بأن شكوكنا عن حدوث اتصال مع الشاطىء لا أساس لها من الصحة . ومع ذلك فانه سيتحقق من الأمر على الفور .

وفيما يتعلق بالزعم الخاص بصدور أنوار ساطعة فى اتجاه البحر من نوافذ القصر ، فان هذا قد يكون صحيحا لأن الملك فاروق والملكة فريدة كانا يقيمان حفلا فى وقت متأخر فى احدى الليالى .

وعلقت على ذلك بأنه يعد أقصى درجات الحماقة التى تستوجب اللوم العنيف السماح بمثل هذا الانتهاك لحالة الاظلام .

وقالت الوثائق التى ضبطت بعد الحرب .. وقالت مذكرات شيانو وزير خارجية ايطاليا أثناء الحرب أن السفير المصرى فى طهران ـ يوسف باشا ذو الفقار والد الملكة فريدة ـ أجرى اتصالات مع السفير الايطالى فى طهران لمعرفة موقف ايطاليا اذا أصرت مصر على الحياد . وقال شيانو أن الوزير المصرى المفوض فى برلين اجتمع بالسفير الايطالى ليبدى الود لايطاليا .. من وراء ظهر انجلترا .. دون علمها .. وقد عرف جانب من هذا كله .. فى حينه .. مما جعل الانجليز يؤمنون بأن فاروق وعلى ماهر .. فى الجانب الآخر أى مع الألمان والايطاليين .

* * *

وفى مذكرات الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين السابق قال انه التقى عقب حملة روميل بالهر فون روبنتروب وزير خارجية ألمانيا فى برلين الذى قال له :

ــ ان هناك أمرا مهما وسرا مكتوما نرجو أن نقف على رأيكم فيه وفى كيفية تنفيذه ، وهو أن بيننا وبين الملك فاروق صلات وثيقة ، وقد كتب الينا أنه مستعد للقيام بمغامرة خطيرة ، وهى أن يخرج من القاهرة الى الصحراء الغربية حين يقترب الجيش الالمانى من مصر ، وأن يتعاون معنا ، وهو يطلب منا أن نضع له الخطة ونعين موعد التنفيذ .

وسألنى روبنتروب عما اذا كان لدينا شخص معتمد لحمل الرسالة وايصالها الى فاروق وقال :

— ان التفاهم مع الملك فاروق على خطة خروجه واستقباله ميسور ، وليكن الموعد بواسطة الاذاعة الالمانية بعبارات رمزية يتم الاتفاق عليها .

وعلى هذا تم الاتفاق مع روبنتروب ووقع اختيارى على الدكتور مصطفى الوكيل لحمل الرسالة .. وقد سافر الى استانبول وسلمها الى صديقه القنصل العام السيد أمين زكى الذى سافر من فوره الى القاهرة وسلمها يدا بيد الى الملك فاروق .

أما الموعد فقد تم الاتفاق على أن يحدد برسالة رمزية تذاع من الاذاعة الالمانية فى برلين ثلاث مرات ، بين كل اذاعة واخرى فترة من الزمن .

وكانت الأولى لاعلام الملك فاروق أن الوقت قد أزف.

والثانية لاعلامه بوجوب الاستعداد للخروج من القاهرة .

والمرة الثالثة كانت لتحديد موعد خروجه بطائرة خاصة .

* * *

ونعود الى أبطال الرواية فى مصر فى سبتمبر ١٩٣٩ .

على ماهر رئيس الوزراء فان السفير سبق له التعاون معه .

ولكن كل ما يخشاه السفير عبر عنه فى هذه البرقية لحكومته . قال :

« التقارير الأخيرة تبين أنه حتى على ماهر بدأ يفقد القلة الباقية من نفوذه على فاروق .. ولا يستطيع وقفه عند حده .. وهذه مشكلة ضخمة » .



وحول فاروق وعلى ماهر ومايلز لامبسون توجد أسماء أخرى كثيرة ومتعددة وضعتها الظروف فى مناصب حساسة او مؤثرة قرب هؤلاء الثلاثة .

حول الملك نجد أحمد حسنين الأمين الأول ، وعبد الوهاب طلعت وكيل الديوان الملكى وهو من رجال على ماهر واسماعيل تيمور كبير الأمناء .. من المصريين .

وحول الملك نجد أيضـــا مجموعة من الايطاليين .. بوللى الكهربائى .. وجارو الحلاق ، وبترو مساعد الحلاق .. وكانوتشي مدرب الكلاب .. وهناك ايطاليون آخرون ميلانيزى رئيس فرقة موسيقى القصر وفيروتشى كبير المهندسين ..

ويخطىء من يعتقد أن مناصب هؤلاء – وبالذات بوللى وجارو وبترو وكانوتشى – تافهة يجب ألا تذكر فى كتاب عن تاريخ مصر .. ان هؤلاء كانوا موضع عشرات من البرقيات من السفارة البريطانية ووزراء الخارجية فى لندن .. وجرت بشأن هـــؤلاء اجتماعات عديدة اشترك فيها فى وقت من الأوقات الســـفير البريطانى وأربعة من رؤساء الوزارة فى مصر .. فان انجلترا كانت تؤمن أن تأثير هؤلاء الايطاليين على الملك فاروق كبير لدرجة مدهشة وأنهم من العوامل التى جعلت فاروق يتعاطف مع ايطاليا ضـــد الانجليز .

* * *

ولم يكن فاروق وعلى ماهر ولامبسون هم وحدهم أبطال الرواية التى تمثل على المسرح السياسى المصرى فى تلك الايام من عام ١٩٣٩ .

.. حول السفير البريطانى يوجد مستر بيتمان الوزير المفوض . ثم خلفه بعد ذلك فى منصبه مستر شون .

وهناك والتر سمارت السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية الذى رقى بعد ذلك مستشارا شرقيا للسفارة .

وسمارت تولى منصبه فى مصر عام ١٩٢٦ .. يتكلم اللغة العربية بطلاقة عجيبة .. ويعرف الهيروغليفية .. ومتزوج من ابنة فارس نمر باشا صاحب جريدة المقطم الناطقة باسم الاحتلال البريطانى فى مصر رغم أنها تصدر بالعربية .

وسمارت بقى فى منصبه فى القاهرة ٢٢ سنة .. أطول من أى دبلوماسى بريطانى آخر عاش فى السفارة البريطانية باستثناء اللورد كرومر الشهير !

* * *

وكان ينبغى أن أتوقف عند كل هذه الاسماء.. فكثرة الشخصيات ترهق عقل القارىء الذى يريد أحداثا سريعة متتابعة فيها اثارة .. ولكن لابد مما ليس منه بد كما يقول المثل القديم .. لابد من أن نذكر أن رئيس مجلس النواب ــ أحمد ماهر ــ هو شقيق رئيس الوزراء على ماهر .. وأحمد ماهر متحمس للدفاع عن انجلترا .. يطالب بدخول مصر الحرب الى جانبها ــ أى الى جانب انجلترا ــ وعندما أصر على تحقيق ذلك عام ٤٥ بعد أن انتهت الحرب فى أوربا دفع ــ أحمد ماهر ــ حياته ثمنا لذلك فقتل داخل البرلمان .. وكانت هذه أول جريمة سياسية هزت مصر بعد الحرب .

ولكن لا داعى لأن نسبق الحوادث .

ان بين الأسماء أيضا محمد محمود خليل باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وهو من رجال القصر ، متزوج من سيدة فرنسية اعتاد أن يقضى نصف السنة فى فرنسا ونصفها الآخر فى مصر ، حصل من فرنسا على الوسام الأكبر من اللجيون دونير .. أى وسام الشرف الفرنسى .. وفى نفس الوقت له ميول ايطالية . وكان

رئيسا وعضوا فى مجالس ادارات عدة شركات أجنبية بلغ عددها عام ٤٧ خمسا وعشرين شركة .

ولا يجب أن ننسى نجما آخر دوره ثانوى ، ولكنه كان ملكا جاهزا .. مستعدا لتولى العرش فى أى وقت ومستعد لتحقيق كل رغبات الإنجليز .اذا وضعوه على العرش أعنى الأمير محمد على ولى العهد .

.. فى سرادق العزاء الذى أقيم يوم وفاة الملك أحمد فؤاد .. اقترب الأمير محمد على من لامبسون ـ قبل أن يتم دفن الجثمان ـ ليقول له أنه يجب أن يكون وحده الوصى على عرش مصر .

ولم يخذله السفير .. ولم يؤيده .. ولكنه لم يصده .

وبعد قيام الحرب .. أقام الأمير حفلا لاظهار ولائه للانجليز .. حضره فاروق وبيعت الكتب بالمزاد لصالح الحلفاء .. فاشترى فاروق كمية من هذه الكتب تملقا للانجليز !

وعندما زار أنتونى ايدن ـ وكان وزيرا للحربية ـ القاهرة ليكون فى استقبال أول دفعة من الجنود النيوزيلنديين والاستراليين ـ تصل الى مصر ـ اجتمع بالأمير محمد على وسمعه يقول له :

ـ ان المصريين يحتاجون الى الحزم .. والا أفلت الموقف من أيديكم .

وأخذ محمد على يعدد لايدن تصرفات فاروق الغريبة .. وقال

ـ ان على ماهر رجل لا يوثق به .. وأن أخاه ـ أحمد ماهر ـ يردد ذلك أيضا .

ويكتفى ايدن بالاستماع والصمت .. ويشكر الأمير على تأييده .. وهداياه السخية للصليب الأحمر البريطانى .

.. وأجد هذا الحديث مسجلا ، على الورق فى الارشيف الحكومى البريطانى .. ولقد حرصت على أن أقدمه حتى تكتمل صورة المسئولين الاساسيين .. والمسئولين الثانويين فى الصراع الذى

دار حول مصر .. وكانت الحرب من مقدمات هذا الصراع أو سببه الرئيسى .

* * *

.. قبل أن تعلن بريطانيا الحرب على ألمانيا بعثت الي سفرائها — فى الدول التى تتبعها — تطلب أن تعلن هذه الدول الحرب أيضا على ألمانيا . وأن يجىء توقيت هذا الاعلان مع لندن .. أى يوم ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

وتعلن كل من بريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا الحرب على ألمانيا فى نفس اليوم ٣ سبتمبر .

وتعلن جنوب أفريقيا الحرب يوم ٦ سبتمبر .

وكندا يوم ١٠ سبتمبر .

وكان لامبسون يتوقع موافقة على ماهر على أن تعلن مصر الحرب .. بل انه كان متفقا مع محمد محمود على تفاصيل أخرى .. تكميلية !

ولكن السفير .. كما يقول .. يجد على ماهر عنيدا ..!

قال له على ماهر :

— ليس من الضرورى لمصر أن تكون فى حالة حرب .. وانى مستعد لعمل أى شىء دون اعلان الحرب .. وأريد اجماعا من زملائى فى الوزارة .

.. ومعنى ذلك أن على ماهر مصمم على موافقة وزرائه جميعا على هذا القرار .

ومع ذلك فان على ماهر أعلن الأحكام العرفية فورا وكذلك قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع ألمانيا وبقيت مسألة اعلان الحرب على ألمانيا .

ماذا جرى فى مصر فى تلك الفترة الدقيقة .

هناك عدة روايات نبدؤها بشهادة على ماهر فى قضية اغتيال أمين عثمان أيضا . .ففى هذه القضية أثير تاريخ مصر السياسى كله .

قال على ماهر :

ــ بدأ الخلاف مع الانجليز بمجرد اعلان المانيا الحرب .. ثم رأينا لمصلحة مصر الا تدخل الحرب . واكتفينا بقطع العلاقات السياسية .. وتفصيلات ذلك لا محل لها . والمسألة مسألة ظروف دخول الحرب .. وعدم الدخول فيما يتعلق بالاستعداد خصوصا وانه سئل السفير البريطانى :

ــ ما هو موقف مصر فى نهــاية الحرب .. وهل تستكمل استقلالها .

فقال :

ــ لا يمكننا أن نعد بشىء وكفانا وعد بلفور فى قضية فلسطين .. أثناء الحرب الاولى .

وأشار على ماهر الى الانقسام داخل مجلس الوزراء فقال ان اللورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت صرح بأن بعض وزراء مصر يريدون اعلان الحرب .

وفى مؤتمر فلسطين من نفس العام قال لى لورد هاليفاكس :

ــ بحق الصداقة تتخلى عن الحكم دون أن تثير متاعب لأن بعض الوزراء يميلون الى دخول الحرب .

وروى على ماهر ما حدث بينه وبين السفير البريطانى .. ومداولات مجلس الوزراء فى تلك الأيام .. للــكاتب الصحفى الاستاذ محمد صبيح .. وقد نشرهــا فى كتــابه عن « عزيز المصرى » .

قال على ماهر .

كان رأيى أن اعلان الحرب على ألمانيا مسألة يبحثها مجلس الوزراء أولا قبل أن أبدى رأيى فيها .

وعندما عرضت الأمر على المجلس تبين أن هناك ٣ آراء :

١ — تيار ضد الحرب .

٢ — تيار مع اعلان الحرب .

٣ — وتيار متردد لم يتخذ بعد رأيا .

ورأيت أن اكسب الى جانبى الفريق المتردد .. وكان هـذا الفريق يسأل :

— هل سنكسب من انجلترا اذا دخلنا معها الحرب .

ودعوت السير لامبسون وسألته :

— هل أنتم على استعداد لالغاء معاهدة ١٩٣٦ وانشاء علاقة جديدة مع مصر ؟

قال السفير :

— أية علاقة جديدة تعنى ؟

قلت :

— علاقة الدول غير المقيدة بأى قيد .

دهش السفير وقال :

— سأرجع الى حكومتى .

وبعد يومين عاد السفير برد لندن وهو أنها لا تستطيع أن تعد بشىء مقابل دخول مصر الحرب .

وجمعت المترددين وأخبرتهم بما دار بينى وبين السفير فاذا بهم ينضمون الى فريق المعارضة فى دخول الحرب .

ويقول الكاتب أنه علم أن الوزيرين صالح حرب ومصطفى الشوربجى كانا يتزعمان فكرة الامتناع عن دخول الحرب .

ويضيف أن عبد الرحمن عزام كان يرى التفاهم للحصول على مكاسب من الانجليز !

أما الوزيران اللذان كانا يريان أن الاشتراك فى الحرب ضرورة فهما محمود فهمى النقراشى باشا ـ عن الحزب السعدى ـ والمهندس حسين سرى .

* * *

وهناك رواية أخرى مختلفة تماما عن مداولات مجلس الوزراء ذكرها عبد الرحمن عزام باشـا وزير الاوقاف ووزير الشئون الاجتماعية فى وزارة على ماهر وأمين عام الجامعة العربية لعدة سنوات .

وقد نشر عزام روايته عام ١٩٧٣ ..

قال عزام باشا :

« يوم وصوله من لندن قام السفير البريطانى بالسفر الى الاسكندرية ـ أى أول سبتمبر ١٩٣٩ ـ فان الوزارة كانت لاتزال فى الاسكندرية بمناسبة الصيف ، وتعقد اجتماعاتها فى بولكلى .

.. وقال السفير لعلى ماهر :

ـ ان الحكومة البريطانية يهمها أن تبادر مصر باعلان الحرب رسميا على المانيا بمجرد أن تعلنها الحكومة البريطانية تنفيذا لبنود المعاهدة الانجليزية المصرية .

ولم يكن طلب السفير مفاجأة لرئس الوزراء ، فقد سبق له أن تلقى تبليغا شبيها من بيتمان القائم بأعمـــال السفير قبل عودة لامبسـون من لندن .

وكان السفير يحمل طلبين :

الأول انه مما يسعد الحكومة البريطانية ـــ بصفة خاصة ـــ أن تعلن مصر أنها فى حالة حرب مع المانيا .

والثانى أن تقوم السلطات المصرية باعتقال الرعايا الالمـــان واحتجازهم فى معسكر للاعتقال باعتبارهم أسرى حرب .

وتقرر عقد جلسة طارئة لمجلس الوزراء لمناقشة هذا الموضوع الخطير .

وبعث على ماهر الى عبد الحميد بدوى فقيه مصر الدولىورئيس قضايا الحكومة ـــ فى ذلك الوقت ـــ يطلب الفتوى فى تفســير بنود المعاهدة .

وجاء عبد الحميد بدوى الى مجلس الوزراء يقول :

ـــ ان بنود المعاهدة تلزمنا بدخول الحرب الى جانب الانجليز .

وكانت جلسة مجلس الوزراء عاصفة استغرقت ٤ ساعات .

رأى الوزراء الســعديون أن تعلن مصر الحـــرب فورا حتى يتسنى لها أن تصبح قوة عسكرية وأن يكون لها جيش وطنى .. لتفرض ارادتها على الانجليز وعلى مجتمع الصلح بعد الحرب .

وكانت وزارة على ماهر مؤلفة من السعديين والمستقلين أما الاحرار الدستوريون فلم يشتركوا فيها .

* * *

أيد صالح حرب وزير الدفاع اتجاه اعلان الحرب لأن مصر لم تشترك فى آية حروب منذ سنوات طويلة ، واشتراكها فى الحرب الى جانب الانجليز يمـــكن أن يثير روح التربية العسكرية بـــين الشباب فضلا عما سيعود على مصر من فائدة عندما يصبح لها جيش وطنى قوى .

ويدأ عزام يعارض اعلان الحرب لأن المعاهدة لا تلزمنا الا فى حالة وقوع اعتداء على بريطانيا .. وهذه الحرب ستدوم خمس أو ست سنوات وبريطانيا تريد أن تقاتل بآخر جندى مصرى حتى يتم لها الاستعداد للحرب التى أخذتها على غرة !

وحاول بعض الوزراء أن يعارض هذا الرأى .. فقال عزام باشا :

ــ لو كان هناك مقابل لاتخاذ مثل هذا القرار الخطير كوعد بالجلاء أو تعويض عن كل ما يحتمل أن يحيق ببلادنا من خسائر .. بعد الحرب .. لكان هناك مبرر .. أما وأن بريطانيا تريد منا اتخاذ هذه الخطوة بلا مقابل فهذا مالا أوافق عليه .

ولم يتكلم على ماهر أو يشارك فى المناقشة وهو يتابع محاولات عزام لاقناع الوزراء بوجهة نظره .

وفجأة .. قرر على ماهر أن يحسم الموقف بالتصويت على القرار .

وامتنع على ماهر عن التصويت مفضلا عدم ابداء رأيه .

وتتابع الوزراء يدلون بأصواتهم .

وكان ١٤ وزيرا مع اعلان الحرب .

ووزير واحد يعارض هو عبد الرحمن عزام وزير الاوقاف .

ولم يتمالك عزام نفسه وبادر بسحب ورقة صغيرة وكتب عليها استقالته من الوزارة .. وانصرف .

وأثار هذا الموقف ارتباكا فى مجلس الوزراء .

وبادر على ماهر بفض الاجتمـــاع .. وقام من مكانه ليلحق بوزير الاوقاف فى حجرته بفندق سان استفانو .. وكانت مناقشة حامية استمرت من العاشرة والنصف مساء حتى الواحدة صباحا.

وطلب على ماهر من عزام أن يقوم بمحاولة اقناع المسئولين فى السفارة البريطانية حتى يكفوا عن التمسك بطلب اشتراك مصر فى الحرب .

.. وعرف السفير البريطانى بما حدث فى اجتمـــاع مجلس الوزراء من كامل سليم سكرتير عام المجلس ــ كما يروى عزام ــ فلم يرحب بمقابلته وطلب أن يكون الاتصال مع الرجل الثانى فى السفارة مستر بيتمان .

واستمرت الاتصالات بين عزام وبيتمان والجنرال ويلسون عدة أيام .. واعلن وزير الخارجية البريطانية فى لندن :

ــ ان الحكومة البريطانية ليست على استعداد للمساومة فى هذه الظروف . وتفسير هذا أن بريطانيا لم تغير موقفها من ضرورة اعلان مصر الحرب .

وبعث على ماهر يوم ٩ سبتمبر مذكرة الى السفير البريطانى يتراجع فيها عن قراره اعلان الحرب بحجة أن المانيا لم تعلن الحرب على مصر ، وأن تطورات الموقف لم تعد تستدعى اتخاذ هذا القرار .

ووقف على ماهر يخطب فى مجلس الشيوخ ويقول انه التزم بسياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » .

وهذه الرواية تختلف عن الأخرى فى شىء واحد وهو دور عزام باشا نفسه فى مداولات مجلس الوزراء ! .

هل كان عزام باشا هو المسئول عن رفض مجلس الوزراء لدخول الحرب ..

أم أن دوره كان مع المترددين ..

وفى رأيى أن على ماهر لو كان راغبا فى دخول الحرب فما كان يعبأ باستقالة وزير الأوقاف عبد الرحمن عزام .. انه كان يهتم أولا بوزراء الحزب السعدى الذين يشكلون قوة فى البرلمان .. وعلى ماهر لا يعتمد على حزب خاص به .. كما أن الدستوريين الذين يشكلون قوة ثانية فى البرلمان لم يكونوا مشتركين فى الوزارة.

وكان السعديون يرغبون فى اعلان الحرب .

وأما السبب فى رفض على ماهر لاعلان الحرب ضد الألمان فيرجع الى ميول الملك ضد الانجليز وايمان فاروق بانتصار ألمانيا .. وعلى ماهر كان رجل الملك .. وان كان فى تلك الفترة قد بدأ يفقد نفوذه عليه كما قال السفير البريطانى !

وعلى أية حال فان عزام وصالح حرب ومصطفى الشوربجى بعد ذلك كانوا ضد اعلان الحرب !

***

ولم تكن هذه هى الأزمة الوحيدة بين على ماهر والسفير البريطانى .. وان كانت هذه أخطر الأزمات .

فى أول أو ثان اجتماع لمجلس الوزراء قرر المجلس احالة أمين عثمان وكيل وزارة المالية الى المعاش .. وعينه على ماهر عضوا فى مجلس ادارة البنك الاهلى .. وكانت صدمة للسفير البريطانى الذى عرف بالقرار من رئيس الوزراء نفسه .

وتتابعت الأزمات بين على ماهر .. والسفير البريطانى ..

قال على ماهر فى شهادته أمام القضاء ..

« أعلنا الأحكام العرفية فقالوا ان لهم اتفاقا سابقا وهو أن يكون الحكام العسكريون من الانجليز . وحددوا فعلا أسماء الحكام

العسكريون من الانجليز . وحددوا فعلا أسماء الحكام العسكريين للصحراء وقناة السويس والاسكندرية وطلبوا أن يقوم بحارة من الأسطول البريطانى بمراقبة السفن التى تعبر قناة السويس .

وقد علمت منهم أن أمين عثمـــان وافق على الطلب الأخير .. بصفته وكيلا لوزارة المـــالية .

.. وطلبت أوراق هذا الاتفاق فقال لى السفير :

ــ ان الاتفاق شفوى مع رئيس الوزراء السابق محمد محمود باشا وانهم ــ الانجليز ــ اشترطوا الا يتركوا ســـلامة الجيش البريطانى فى الصحراء الغربية فى يد أخرى غير القواد البريطانيين وكانت أجابتى أن الصحراء الغـــربية أرض مصرية ولا يمكن أن يتولى الأمر فيها الا مصر .

ولقد طلب الانجليز منى دخول مصر الحرب ٣ مرات :

الأولى : عند اعلان المـــانيا الحرب .

والثانية : عند دخول ايطاليا الحرب .

والثالثة : بعد خروجى من الوزارة .

وفى هذه المرة الأخيرة طلب منى سياسى كبير من قبل بريطانيا دخول الحـــرب لأن بريطانيا طلبت من تركيا أن تدخل الحـــرب فاشترطت دخول مصر .

وقد ارادت بريطانيا ــ وبالذات بعد هزيمة فرنسا ــ ان يدخل ٦٠ مليونا من المسلمين الحرب .. اى مصر وتركيا والعراق ..

وطلب منى أن أتولى الحكم وأعلن الحرب فكان ردى أن الظروف لم تتغير .

* * *

وشهادة على ماهر فى هذه النقطة تفسر شيئا واحـــدا وهو أن

عداء بريطانيا لعلى ماهر .. ينتهى اذا وافق على ماهر على دخول الحرب .. وان بريطانيا لا يهمها من يحكم مصر وانما الذى يعنيها هو أن يكون رئيس وزراء مصر منفذا لأوامر بريطانيا ورغباتها فحسب .

وعداء بريطانيا لأى زعيم مصرى .. يتوقف على عداء هذا الزعيم للمطالب البريطانية .

* * *

ولقد حاول الانجليز بكل الطرق أن تدخل مصر الحرب .

قال على ماهر فى شهادته :

ـ القيت قنابل فوق الباخرة المصرية « فوزية » واثبت الطبيب الشرعى انهذهالقنابل انجليزية وانهم القوها لاستعداء مصر لتدخل الحرب .. وبعد تقرير الطبيب الشرعى منعوه من فحص اية قنابل ..

وطلبوا ان تنقل الباخرة فوزية مياها الى قواتهم فى الصحراء.. على الساحل .. وكان هدفهم أن يعتدى على الباخرة فتكون مبررا لدخول الحرب ، ولكنى قلت ان السكة الحديد تقوم بنقل المياه ..

* * *

ولقد فرض على ماهر على الانجليز سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب .. بالامتناع عن اعلان الحرب رسميا .. وان حقق لهم معظم مطالبهم .

طلب الانجليز من على ماهر عزل الفريق عزيز المصرى من منصبه كرئيس لأركان حرب الجيش المصرى .

فاقترح على ماهر حلا وسطا وهو اعطاء على ماهر أجازة .

وذهب الصحفى محمد صبيح الى على ماهر يقول له :

ــ هل ستسلم فى عزيز المصرى ؟

فأجاب على ماهر :

ــ انه لا يساوى أزمة مع الانجليز !!

وفى فبراير يقيل على ماهر .. عزيز المصرى .. !

* * *

وفى فبراير ١٩٤٠ جدت أزمة أخرى بين على ماهر والسفير..

والحديث مرة أخرى على لسان على ماهر فى محكمة الجنايات.

« أردت زيارة السودان فقال لى السفير :

ــ تذهب كسائح .

قلت :

ــ هل اذا رغب تشرشل فى زيارة اسكوتلندا فانه يذهب كسائح .. أنى سأزور السودان كرئيس لوزراء مصر والسودان.

ولذلك فلم أنب أحدا عنى فى رئاسة مجلس الوزراء .. وكان معى أيضا وزير الدفاع صالح حرب .. ووزير الأشغال عبد القوى أحمد ، ولم ينب أحد منهما وزيرا آخر .. وكانت الأوراق تصل الينا بالطائرة .

* * *

وفى ابريل هز النحاس حكم على ماهر .. وان لم يسقطه ..

فى أول ابريل قدم النحاس الى السفير البريطانى مذكرة يطلب فيها من الحكومة البريطانية الغاء الأحكام العرفية .

.. والنجاس يعرف أن حكومة مصر هى التى أعلنت الأحكام العرفية .. ولكنه يعرف تماما أن بريطانيا هى المسئولة عن اعلان هذه الأحكام .

ويطلب النحاس انسحاب بريطانيا بعد الحرب .. ويطلب مفاوضات جديدة بعد الصلح تحصل مصر على حقها الكامل فى السودان .

ويعلن هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا أن هذه محاولة مقصودة من النحاس للعب دور فى السياسة الداخلية المصرية ! .

* * *

وفي يونيو تجيء العاصفة التى تطيح بوزارة على ماهر ..

.. ان الموقف الدولى — من الوجهة الحربية — تغير تماما لصالح المانيا خلال وزارة على ماهر التى استمرت ١٠ شهور و ٧ أيام .

فى أبريل غزا هتلر كلا من الدانيمرك والنرويج .

وفى ١٥ مايو استسلمت هولندا .

وبعد ١٢ يوما استسلمت بلجيكا .

ويوم ٢٨ مايو انسحبت القوات البريطانية والفرنسية من دانكرك .

ودخلت ايطاليا الحرب ضد انجلترا وفرنسا يوم ١٠ يونيو .

* * *

ومن شهادة على ماهر نفسه نعرف ما قدمته حكومته من خدمات للانجليز ..

ونعرف تطورات العلاقة بينه وبينهم ..

وأخيرا أسباب الاطاحة به فى نهاية المطاف .

قال على ماهر :

« قبل دخول ايطاليا الحرب بـ ٦ أسابيع أحضرت السفير البريطانى والجنرال ولسون قائد القوات البريطانية فى مصر — والذى أصبح بعد ذلك قائدا للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط كله عندما وقعت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ — .. وأخبرتهما أن لدينا معلومات دقيقة بأن ايطاليا ستدخل الحرب .. فقالوا :

— المعلومات التى عندنا من السير برسى لورين — المندوب السامى السابق فى مصر — والسفير البريطانى فى روما فى ذلك الوقت .. تنفى ذلك .

فقلت لهما :

— ابلغوا ذلك لوزارة الخارجية فى لندن .

وقلت للسفير :

— لقد عرضت على الملك أن يغادر فيروتشى بك كبير مهندسى القصور الملكية مصر لأنه ايطالى .. وسنضطر عند دخول ايطاليا الحرب لاعتقال كل الايطاليين .. وليس من المناسب أن يعتقل فيروتشى وهو فى السراى .

فجاء فيروتشى وقابلنى .. وقال لى :

— لن تعلن ايطاليا الحرب .

قلت له :

— اذهب الى ماتزولينى وزير ايطاليا المفوض .. فاذا أكد لك عدم اشتراك بلاده فى الحرب ابق هنا .. واذا لم يضمن هذا تعال ، وأنا أعطيك جواز سفر فى نصف ساعة .

وفى اليوم التالى حضر وطلب جواز السفر فاستدعيت السفير والجنرال وأخبرتهم بما حدث .. وكان عملى معهم بمنتهى الصراحة ..

فقال السفير :

ـ كيف تعطيه جواز السفر ربما يعود « براشوتست » .
قلت له :

ـ فيروتشى عمره ٧٠ سنة .. !

* * *

ويوالى على ماهر كشف أسرار تلك الأيام .. بعد أن أدى اليمين القانونية .. أمام القضاء :

« فتش البوليس المصرى بيت قاضى المانى بالمحكمة المختلطة فوجد أوراقا تدل على أنه كان يقابل هتلر .

ووجدنا أوراقا تدل على المعاهدة بين المانيا وروسيا .. ولم تكن هذه المعاهدة قد وقعت بعد .. وفيها أن روسيا والمانيا ستقتسمان بولندا .. ومحددة مناطق التقسيم فى خريطة .

وقد استدعيت السفير البريطانى وأطلعته عليها فأبلغ وزارة الخارجية البريطانية التى طلبت الأوراق فأعطيتها له .. على سبيل الأمانة ..!

* * *

وفى يوم دخل ماتزولينى وزير ايطاليا المفوض فى مصر .. الى مكتبى بوزارة الخارجية .. وكان هذا يوم الزيارة .. أى الدخول بدون مواعيد .

ولما دخل قال :

ــ نحن دائما فى جانب السلام .

.. تصنعت الغضب وطرقت مكتبى بشدة وقلت :

ــ انى اعجب لوزير مفوض يدلى أمامى بواقعة يعلم أنهـا غير صحيحة .

فانفعل ماتزولينى وقال :

ــ نحن خاضعون لالمانيا ولا نتصرف الا بمشيئتها .

فاستدعيت السفير والجنرال ولسون وأخبرتهم بذلك .

وبعد أسبوع زارنى ماتزولينى وقال :

ــ كلفنى شيانو وزير خارجية ايطاليا أن أسألك : هـل اذا هاجمتكم ايطاليا تهاجمونها .

قلت :

ــ لا ..

وأخبرت السفير البريطانى وولسون فقال السفير :

ــ كيف تقول لا .. ؟

سألت ولسون :

ــ هل اذا كنت تزمع الهجوم تذكر ذلك .

فأجاب ولسون :

ــ لا ..

قلت :

ــ على أى الحالين فانى لا أنوى مهاجمة ايطاليا .

وقد سمعها السفير « وبلعها » .. وهذه هى نفس الكلمة التى استعملها على ماهر .. !

***

وطلب السفير من على ماهر اعتقال اسماعيل صدقى رئيس وزراء مصر السابق .. وتوفيق دوس الوزير السابق ، وأحمد كامل مدير بلدية الاسكندرية وأحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة .

وقال السفير ان الثلاثة الأوائل أعضاء فى مجالس ادارات شركات المانية . أما الرابع — أحمد حسين — فمنسوب له أنه صدر منه هتاف عدائى أثناء مقابلة مع السفير البريطانى .

وكان رد على ماهر أنه لا يستبعد أن يكون هناك بريطانيون فى مجالس مثل هذه الشركات لأن المانيا قبل الحرب كانت دولة صديقة .

***

.. وحدث أن مر بعض القناصل الالمان فى قناة السويس على ظهر سفينة انجليزية قادمة من الهند .. فأوقفنا السفينة وأنزلنا القناصل الالمان ليكونوا رهينة مقابل المصريين الذين اعتقلهم الالمان ..

وجاءنى خطاب شخصى عن طريق السفير البريطانى يقول :

— اننا نتبادل هؤلاء القناصل الالمان بقناصل انجليز معتقلين فى المانيا .. وهم من عائلات كبيرة .

وقال السفير :

— هذه خدمة نقدرها .. اذا تركنا لهم القناصل الالمان ..

.. وفعلا سلمناهم للسلطة البريطانية .

ويختم على ماهر شهادته عن كل ما جرى قبل اعلان ايطاليا الحرب بأن المعاملة بين مصر وبريطانيا كانت معاملة اخلاص وصراحة لدرجة كبيرة .

* * *

ولكن ايطاليا أعلنت الحرب يوم ١٠ يونيو .. ودخلتها فى اليوم التالى ..

وبعد أسبوع فقط من هذا الاعلان كان السفير يطلب من فاروق رسميا عزل على ماهر .. ويوجه اليه انذارا قريب الشبه بانذار ٤ فبراير ..

ولقد استسلم الملك فى الحالين ..

عشرة أيام حافلة

قدم السفير البريطانى السير مايلز لامبسون انذارا الى فاروق بعزل على ماهر يوم ١٧ يونيو .

واستقال على ماهر فعلا يوم ٢٣ يونيو .

ولم يقبل فاروق الاستقالة الا يوم ٢٧ يونيو .

وكانت عشرة أيام حافلة .

قال على ماهر يشرح مقدمات الأحداث .. أمام القضاء أيضا. فلا مصدر مصرى لنا .. الا أقوال الزعماء أمام القضاء بعد حلف اليمين :

.. أعلنت ايطاليا الحرب فاستدعيت السفير البريطانى وقلت له :

— سأعلن تصريحا بمجلس النواب .. وعرضت عليه صورة التصريح ، وهو أن مصر لن تدخل الحرب الا اذا هوجمت المدن المصرية ، أو مواقع جنودنا ، أو وقع عليها اعتداء بدون استفزاز من جانبنا .

قال السفير :

— واذا هاجم الجنود الايطاليون .. الجنود البريطانيين ؟ .

قلت :

— لا شأن لنا بذلك .

وكانت القوات البريطانية — والحديث مستمر على لسان على ماهر — ضعيفة فى مصر .

كل ما عندهم ٢٨ مدفعا مضادا للطائرات .. منها ٢٠ مدفعا فى الاسكندرية لحماية الأسطول .. و ٨ لحماية الورش ، ولايوجد فى باقى القطر شىء يحميه .

وكان يوجد ٧٠ ألف ايطالى بمصر منهم ١٢ ألفا فى سن الجندية ، ولا يمكن للبوليس العادى أن يعتقلهم جميعا . ولا أريد الاستعانة بالجيش البريطانى .

لذلك قلت للسفير أنى سأصدر أمرا بنزع السلاح الموجود فى يد جميع السكان . ويجب أن يشمل هذا الأمر البريطانيين والفرنسيين والايطاليين . ومن الواجب أن أعلن أنه سيحدث تفتيش والا كان الأمر بلا نتيجة .

وكان يجب أن أفتش فعلا بيوت انجليز . .الخ . وقد فتشنا حتى القنصليات الايطالية . وضبطنا أسلحة عند الايطاليين .. وكان الانجليز ممتنين لذلك .

* * *

وقد قدم السفير البريطانى عدة طلبات .

الأول : اعتقال الوزير الايطالى المفوض .

الثانى : تفتيش المفوضية .

الثالث : تفتيش أوراق الدبلوماسيين الايطاليين وجيوبهم وقت السـفر ..

الرابع : الا أسمح لايطالى بالسفر .. عـدا السفير وموظفى المفوضـية .

قلت للسفير البريطانى :

ــ اذا اعتقلتم الكونت جراندى سفير ايطاليا فى لندن .. فانى أطبق نفس المعاملة فى مصر .

أما التفتيش فأرفضه ..

واذا فتشتم أنتم الدبلوماسيين الايطاليين .. فلن احتج .

ولكن يجب أن أعرف موقف المصريين فى روما .

وقد طلب ماتزولينى الوزير الايطالى المفوض سفر ٣٥ ايطاليا غير الدبلوماسيين ، فلم أجب بنعم .. أو لا ..

وتلقى لامبسون تعليمات من لنـدن بأن يسافر من مصر ٨٠ ايطاليا وفعلا سافروا بقطار خاص الى حـدود ليبيا .. وعومل المصريون فى روما نفس المعاملة » .

* * *

.. نشطت الدعاية الالمانية والايطالية قبل الحرب لاكتساب صداقة الشعب المصرى .

.. فى بنغازى تسلم موسولينى « سيف الاسلام » .. وأعلن أن ايطاليا ستحمى الاسلام فى العالم !

وزار الماريشال بالبو مصر مرتين .. وفى كل مرة أعلن تأييده لاستقلال مصر ..

ووصل رئيس الغرفة التجارية المصرية الى برلين فاحتفى بـه هتلر نفسه .. وأقام حفلا لتكريمه .. ومنحه وساما .

فلما قامت الحرب واشتركت فيهـا المانيا وايطاليا ، أعلنت محطات الاذاعة الالمانية تقديرها لموقف مصر الخاص .. ولم تعتبر ما تقدمه لانجلترا من معاونة ــ فى حدود المعاهدة ــ عملا عدائيا لأن مصر لا تملك الامتناع عن تقديمه .. وجنود انجلترا منتشرون فى بلادها .

.. وفى هذا ما فيه من تأييد ضمنى للحكومة المصرية وتشجيع لها على عدم المضى أكثر من ذلك فى مساعدة بريطانيا .

***

.. وعبر الدكتور محمـد حسين هيكل باشا فى مذكراته عن موقف حكومة على ماهر من انتصارات الالمان فقال :

« كان الانجليز الرسميون ، وغير الرسميين ، فى مصر يشعرون ــ فى أعماق أنفسهم ــ بهول ما يصيب أبناء وطنهم فى ميـادين القتال .. ويسمعون أن عبد الرحمن عزام .. الذى أصبح وزيرا للشئون الاجتماعية ، وصالح حرب وزير الدفاع يتحدثان فى كل مجلس عن انتصارات الالمان ، وهزائم الانجليز ، فلا عجب أن تمتلىء نفوس السفير البريطانى ، وأعوانه فى السفارة والمشيرين من الانجليز المقيمين فى مصر ، حفيظة على الوزارة التى رفضت مجاراتهم فى اعلان الحرب .. وأصرت على الرفض » .

واجتمع هيكل باشا بالسير سيسيل كامبل مدير شركة ماركونى ورئيس الجالية البريطانية فى مصر .. فكان كامبل صريحا فى أن وزارة على ماهر تنفذ المعاهدة بسخاء ، ولكنها تنفذها تنفيذالكاره الساخط ، لا الصديق الحريص على معاونة صديقه .

***

وعلى هذا الأساس ، كما يرى هيكل باشا : « كانت الحالة النفسية القائمة بين الوزارة ، وبين السلطات البريطانية مشوبة بقدر عظيم من عدم الثقة ، وعدم الاطمئنان الى المستقبل .

وكان السفير البريطانى من أشد البريطانيين تأثرا بهذه الحال النفسـية .

ولم يكن يخفى فى أحاديثه لأصدقائه ، ومعارفه ، من المصريين ما يخالج نفسه من هذا الشعور . كما أنه لم يكن يقف فى حديثه عن موقف مصر — من انجلترا — عند الوزارة .. بل كان يتخطى الوزارة الى العرش وصاحبه ، ويذكر أن فاروق المـانى الهوى يسر لانتصارات النازية ، ولهزائم انجلترا » .

* * *

واتهم الانجليز صالح حرب باشا وزير الدفاع بأنه سلم للالمان خطط الانجليز الحـربية للـدفاع عن مصر . وقال الانجليز انهم اكتشفوا ذلك عندما عثروا على وثائق عند هجومهم فى الصحراء. على القوات الألمـانية .

.. وعندما نشرت مجلة « آخر ساعة » نبأ اكتشاف هــذه الخطة فصل الانجليز الدكتور محمد عوض محمد من منصبه فى الرقابة على الصحف .

ولخص السير مايلز لامبسون رأيه فى على ماهر فى عبارة واحدة بعث بها الى وزارة الخارجية البريطانية أثناء الحرب .

قال :

« ان سر مصائبنا فى مصر يرجع الى على ماهر » .

* * *

.. قبـــل شـهر واحد من اعلان ايطاليا الحرب تولى تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية .

وتشرشل يتخذ قرارات حاسمة ، على العكس من تشمبرلين. مما أعطى للامبسون صلاحيات أكبر .

.. وتجد القوات البريطانية أضواءً — كما ذكر من قبل — تنبعث من قصر المنتزه فتعتبر أنها اشارة لغواصات الأعداء .. مما يضاعف هوة الخلاف بين السفير وفاروق .

ويتضاعف اللوم فوق رأس لامبسون عندما يجتمع به الجنرال ويفل القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، ويلومه — أى يلوم السفير — لأنه لم يكن حازما مع على ماهر ولم يرغمه على اعلان الحرب ضد ايطاليا .

وتزداد الهوى اتساعا بـــين السفير والحكومة لأن على ماهر جمع البرلمان فى جلسة سرية بعد ٤٨ ساعة من دخول ايطاليـــا الحرب ليقول :

« ان سياستنا كما هى .. تجنيب مصر ويلات الحرب ، مع الوفاء بتعهداتنا .. وتقديم أكبر معونة ممكنة للحليفة » .

ويوافق على ماهر على قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا ، واعتقال رعاياها ، عدا رجال القصر الملكى من الايطاليين .

.. ورغم أن على ماهر وافق على كل الاجراءات والاعتقالات التى طلبتها بريطانيا بالنسبةللالمان والايطاليين الا أن السفير وحكومته يضيقان بالنقاش وطول المباحثات ، والتردد ، والمناورة .. كمـــا أن السفير يشك فى ميول على ماهر مع المانيا وايطاليا لذلك يبرق — السفير — لحكومته — ويحصل منها على تفويض فيسافر الى الاسكندرية ويتجه الى قصر المنتزه .. بعد أسبوع — على وجه التحديد ١٧ يونيو — ليقرأ لفاروق مذكرة مكتوبة .

« فى هذا الوقت بالذات .. فاننا لسنا مستعدين ، لا نحن ولا جلالتك ، لبقاء رجل فى عجلة القيادة ، لا نثق فيه ، لا نحن ، ولا الشعب المصرى .

ان على ماهر يجب أن يخرج ، ويخرج بسرعة » .

أجاب فاروق :

— لا أستطيع الالتزام بشىء واطلب اعطائى مهلة للتفكير .

ثم سأل فاروق السفير :

— ما هى الحكومة البديلة التى تنصح بها ؟

أجاب لامبسون :

— من الواضح أنى لست الذى أقول لك .. ولكن العقل .. وكذلك رغباتنا .. تمليان أنه يجب أن يرأس الحكومة شخص مخلص .. ينفذ المعاهدة نصا وروحا ..

ومن الضرورى أن تستند الحكومة الجديدة الى تأييد الشعب.

وأضـــاف :

— من المؤكد أننا لا نرغب فى أن نجعل اعلان مصر الحرب .. شرطا لتشكيل الحكومة .

ولكن بما أن جلالتك تطلب رأيى فانى لا اقترح أسماء .

والطريق السليم هو أن تستدعى جلالتـــك للاستشارة زعيم المعارضة محمد محمود باشا . .وزعيم حزب الأغلبية مصطفي النحاس باشا .

وكرر لامبسون ذلك ٣ مرات .

قال فاروق :

— من الصواب لتغيير الحكومة أن أستشير زعيم المعارضة.. أما النحاس فقد أهانني ، وهو يجلس في نفس الكرسي الذي تجلس عليـــه الآن .

يشير فاروق بذلك الى الخلافات المتعددة والصراع الدستوري بينه وبين النحاس .

رد لامبسون :

— لا أحد .. وبالتأكيد لسنا نحن ، الذين نصر على أن يشكل النحاس الوزارة .. فنحن نعرف صعوبة وصول جلالتكم الى هذا المـــدى .. ولكن ما اقترحه أقـــل من ذلك وهو لصالح البـــلاد والعـــرش .

.. وهذه الكلمات تدل على أن الانجليز في ذلك الوقت لم يصروا على تكليف النحاس بتولي الوزارة .. فان الموقف العسكري لم يكن قد تدهور بعد .

.. حاول فاروق أن يلجأ الى التهويش .. على حد تعبـــير لامبسون لحكومته .. ولكن السفير قال :

— اننا جادون للغاية في أن يتولى الوزارة : صـــديق .. وحكومة مخلصة تقف معنا .. وتتعاون فيما نريـــد .. وليس شرطا أن تعلن الحرب ..

.. وكانت الاستراتيجية البريطانية قد تغيرت ووجدت بريطانيا أن من مصلحتها ألا تعلن مصر الحرب لأن ذلك يجنبها الغـــارات وتبقى — مصر — قاعدة حربية آمنة لبريطانيا !

وأشار السفير — تلميحا — الى أن الجنرال ويفل ينتظر — في قلق — عودته ليعرف مدى استعداد جلالته لتنفيذ الخطوط المتفق عليها بين السفير وحكومته .. ورجاه ألا « يلعب بالنار » بل

يعجل باصدار قراره ولا يجعل العناصر الخطرة تضلله ، وكذلك على ماهر « الملتوى » .. !

وكرر السفير أنه جاد .

قال الملك :

— انى واثق من ذلك ، وأنا جاد أيضا .. ولا أخفى ذلك .

ولكن الملك يفاجىء السفير بأنه كملك مصر ، فان واجبه يحتم عليه أن يبقى شعبه بعيدا عن الجانب الخاسر !

وكانت هذه المرة الأولى التى يواجه فيها فاروق السفير البريطانى صراحة بآرائه وميوله الألمانية .. ففى تلك اللحظة لم يكن السفير يعرف أن فرنسا قد استسلمت .. بينما بدا من لهجة فاروق وأسلوبه .. أنه يعلم .

أجاب لامبسون :

— مصر .. معنا .. تسبح أو تغرق .. ولذلك فمن الأفضل أن نسبح جيدا وننتصر فى النهاية .

يجب أن تعود الى القاهرة فهناك حاجة اليك هناك .. وآمل أن أسمع منك قريبا أنك اتبعت نصيحتى ..

* * *

تجنب السفير استعمال التهديد المباشر .. ولم يقدم انذارا صريحا .. ولكنه طالب الملك — علنا — بتشكيل حكومة صديقة للانجليز .

وخلال الاجتماع لم يستطع السفير أن يضغط على فاروق اكثر من ذلك .. كما أن سلوك فاروق كان وديا .

وبعد انتهاء الاجتماع ، أبلغ السفير حسنين بمضمون الحديث وطلب منه تحذير الملك .

.. الح حسنين فى اعطاء على ماهر فرصـــة أخرى .. وكان رد السفير كلمة واحدة :

ـــ مستحيل .. !

***

.. يخشى السفير أن يتشبث فاروق بموقفه فيعود الى القاهرة ويجتمع بأعضاء سفارته والجنرال ويفل لبحث الخطوة التالية اذا رفض الملك أن يعين حكومة صديقة للانجليز :

.. هنا يصاب السفير بالدهشة من موقف الجنرال ويفل ..

.. لقد وجده مترددا فى اتخاذ خطوة حاسمة ضد الملك فيكتب ـــ لامبسون ـــ فى مذكراته :

« مهما كان الرجل العسكرى بارزا فانك ـــ معه ـــ لا تعرف أيـــن .. ؟

انهم ـــ العسكريون ـــ ينفشـــون الرعد فى لحظة ، وعنـــدما يستجيب لهم الانسان يجدهم ، وقد غيروا آراءهم .!

وعندما تبدأ تظهر نتائج العمل القوى الذى دعو اليه فانهم اما أن يغيروا آراءهم تماما ، أو يدخلون تعديلا عليها .

أن ويفل كان معنا ـــ مع وزارة الخارجية البريطانية ـــ قلبـــا وقالبا .. ولكنه يتراجع الآن وينصحنا :

ـــ من الأفضل أن نأخذ ما هو ممكن .

أن ويفل ـــ كما يقول السفير ـــ لا يفهم الموقف الســـياسى الداخلى فى مصر .

والحقيقة ان ويفل تعلم درسا خالدا وهو يكتب تاريخ حياة اللنبى .. أن وزارة الخارجية البريطانية فى سنة ١٩٢٤ وجهت اللوم الى اللنبى بسبب ما جاء فى انذاره الى سعد زغلول .. وكان هذا اللوم مقدمة لاستقالة اللنبى !!

***

وتنتشر فى القاهرة اشاعة بأن فاروق يفكر فى الهرب .

ويهـــرع ويفل الى السفير البريطانى ليبلغـــه فيكون جواب السفير :

ـــ ان تعليمات وزارة الخارجية لى هى منع « الغلام » من الهرب الى ايطاليا .

قال ويفل :

ـــ من الأفضل أن نتركه يهرب ونتهمه بخيانة بلاده .

أجاب السفير :

ـــ اذا هرب فسيطالب بعرش مصر .. !

* * *

ورغم أن على ماهـــر سياسى قديم يعرف أصول لعبة تغيـــير الوزارات فى مصر .. الا أنه يكتب فى خطاب استقالته لفاروق :

« أصبح الاستمرار فى الحكم متعذرا لأسباب قاهرة خارجـــة من ارادتنا ، وارادة الشعب المصرى » .

.. يشير بذلك الى تدخل الانجليز .. !

وتنشر جريدة المصرى خبرا يشير الى أن الانجليز لم يتدخلوا ضد على ماهر .. ويعلق مصطفى النحاس على ما نشرته المصرى فيتوجه على ماهر الى مجلس الشيوخ ، ويلقى بيانا يطعن فيـــه طعنـــا جارحا فى الانجليز وموقفهم من مصر ، وتصرف الســـفير الاستبدادى مع الوزارة المصرية يقول فيه :

« توخيت اجابة طلبات الحليفة ـــ بريطانيا ـــ ما دامت لا تجر مصر الى حالة الحرب . ولكن الحكومة رأت فى بعض الطلبـــات أنها تؤدى بذاتها ـــ أو بمجموعها ـــ الى حالة الحرب » !

وتظل استقالة الوزارة معلقة ٤ أيام .

وفاروق حائر ..

لم يهرب .. كما ظن الماريشال ويفل .. بل هو حائر يفكر ..

قلبه مع الالمان والايطاليين .

وحكومته تنفذ رغبات الانجليز دون أن تسعى لاكتساب عداوة الالمان أو الايطاليين .. اعتقادا بأن النصر لهما .

ان فاروق أمام الانذارات البريطانية ، العلنية والمقنعة أو السافرة .. لا يستدعى زعيم المعارضة ، وزعيم الأغلبية ، ولا يتصرف وحده بسرعة ، بل يستدعى — عادة — كبار الزعماء السياسيين للتشاور .. محاولا اقناعهم بالموافقة على رأيه وتنفيذ أغراضه .. !

ولكن فاروق يمضى فى الاستجابة لتهديد السفير البريطانى فيدعو للمشاورات مصطفى النحاس باشا .

.. ولكن زعماء مصر لا يتفقون ..

اقترحوا فكرة وزارة ائتلافية .. اقتداء ببريطانيا .. فان تشرشل شكل وزارة ائتلافية .

ولكن النحاس يرفض فكرة الوزارة الائتلافية .

واثيرت فكرة تشكيل وزارة محايدة فقال النحاس :

— لا توجد وزارة محايدة .. وان وجدت فلن تحصل على تأييد الأحزاب .

واختلف الجميع ..

ولم يتفقوا على تأليف وزارة ائتلافية تضم الوفد والأحزاب الاخرى .. ابدا .. أبدا .. !

هذه هى وجهة نظر الانجليز فيما جرى وذلك من خلال وثائقهم.
ولكن ما هى وجهة نظر المصريين .. ؟

ان عبد الوهاب طلعت رئيس ديوان فاروق بالنيابة ووكيل الديوان السابق شهد كل هذه الأحداث ، وسجلها فى محاضر رسمية .. وقد نشر محاضر اجتماعات لامبسون بفاروق .. والملك بالزعماء .. ومداولات ومناقشات هؤلاء الزعماء .. ونقاط اتفاقهم القليلة .. واختلافاتهم الكثيرة التى لم تنته الا بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. وحل الأحزاب كلها .. !

ان عبد الوهاب طلعت يعترف بأن السفير البريطانى السير مايلز لامبسون طلب رسميا اقالة على ماهر .

قال عبد الوهاب طلعت :

« فى منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ بقصر المنتزه ، وجه السفير البريطانى الى الملك — شفاهة — تبليغا من اللورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية . فطلب اليه الملك تدوين هذا التبليغ كتابة .. فانتحى السفير ركنا فى غرفة الملك . وكتب بالقلم الرصاص ما يلى :

« من الواضح أن على ماهر لا يجرؤ على مواجهة الصعاب والأخطار التى تنطوى عليها حتما الحالة الحاضرة بالنسبة لمصر.

.. وحتى اذا أجابنا الى مطالبنا فانه لا يخفى أن ذلك مخالف لارادته ورأيه .

ولا يمكن أن يستمر الحال على ذلك .

وبناء عليه فان تعليماتى إليكم هى :

« أن تخبروا الملك فاروق أن أسوأ سياسة فى وقت الحرب ، انما هى سياسة الشك .

ان موقف على ماهر لا يتفق مع روح المعاهدة . ولا هو يمثل شعور مصر ، والشعب المصرى ، بل ولا يخدم مصالح مصر العليا .

ومن الضرور والحالة هذه تأليف حكومة أخرى » .

* * *

وعلى اثر ذلك .. وصاحب هذه الرواية هو عبد الوهاب طلعت أيضا عاد الملك الى قصر عابدين . ووجهت — أى طلعت — دعوة للاجتماع بالقصر فى ٢٢ يونيو ١٩٤٠ — للمداولة فى الموقف المذكور .. الى على ماهر ، مصطفى النحاس ، أحمد زيور ، اسماعيل صدقى ، عبد الفتاح يحيى ، محمد محمود خليل ، أحمد ماهر ، محمد صالح حرب ، محمد توفيق رفعت ، محمد حلمى عيسى ، محمود بسيونى ، محمد بهى الدين بركات ، محمد حافظ رمضان ، الشيخ مصطفى عبد الرازق و عبد الحميد بدوى .

وكان من بين الحاضرين — بطبيعة الحال — عبد الوهاب طلعت ..

وحضر الملك فاروق الى قاعة الاجتماع ، وخاطبهم قائلا أنه « دعاهم ليقف على آرائهم فيما طلبته الحكومة البريطانية بلسان سفيرها من تغيير حكومة على ماهر ، بصفتهم زعماء ، لهم من التجارب ما يسمح لهم بابداء الرأى فى هذه المسألة ، وانه يترك لهم حرية البحث .

وناشدهم أن يضعوا مصلحة البلاد العليا نصب أعينهم ، والا يفرطوا فى كرامة مصر ، وتضحية كل شىء فى سبيل صيانة هذه الكرامة . وأنه يدع ذلك فى أعناقهم ، ويرغب اليهم الا يتفرقوا الا وهم متفقون على رأى .

* * *

وبعد أن غادر الملك قاعة الاجتماع بدأ على ماهر يشرح موقفه من طلبات الانجليز . وانتهى الى القول بأن كل ما طلبوه تقريبا قد أجيب .

وأثر مناقشات طويلة دونها عبد الوهاب طلعت فى ١٢ صفحة انتهوا الى القرار التالى :

عــرض أمر التبليغ البريطانى على الهيئــة ، فأبدى مصطفى النحاس رأيه فيه بأنه ــ من غير شك ــ ليس لدولة أجنبية أى حق فى التدخل فى تعيين وزارة فى بلد مستقل كمصر .

ان المعاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تقضى من الطرفين أن ينفذاها بالروح التى وضعت بها .

وفيما يختص بالوزارة المصرية فانى أعلم ان رغبــة الشعب المصرى متجهة الى تعيين وزارة جديدة محايدة يرضى عنها جميع الأحزاب ويؤيدونها وتجرى انتخابات جديدة حرة فى الوقت الذى تسمح به الظروف .

وهذا الحل الذى يكتل . فى رأيى ورأى اخوانى أعضاء الوفد المصرى تضافر الأمة المصرية لمصلحة البلاد فى الظروف الخطيرة التى تجتازها » .

ورأى بقية الأعضاء أن الخطة التى انتهجتها الوزارة فى تنفيذ المعاهدة تتفق مع روحها التى أشار اليها مصطفى النحاس . وقد لقيت فوق ذلك تأييد جميع هيئات الأمة وطبقاتها .

كما يرون انه تلقاء تصميم على ماهر على الاستقالة أن يترك الأمر الى حكمة الملك فاروق ، واثقين أنه سيوجه مصائر البلاد الى خيرها وسعادتها .

***

وبعد يومين - اى فى ٢٤ يونيو - دعى لمقابلة فاروق بقصر عابدين .. مصطفى النحاس ومحمد محمود خليل وأحمد ماهر وعبد الفتاح يحيى ، ومحمد حلمى عيسى ومحمد حافظ رمضان والشيخ مصطفى عبد الرازق .

وقال لهم الملك :

- ان على ماهر رفع استقالته . وقد قبلتها وكلفته الاستمرار فى العمل الى أن تؤلف وزارة جديدة .

وقد استدعيتكم اليوم لأتعرف رأيكم فيمن يرشح لتأليف وزارة ممثلة لجميع الأحزاب - بقدر الامكان - وتحوز تأييد البرلمان .

واود أن تجتمعوا الآن مع بعضكم للمداولة فى ذلك ، وارجو أن تصلوا الى اتفاق تتحقق به مصلحة البلاد .

وبعد أن خرج عقدوا اجتماعا حضره عبد الوهاب طلعت الذى سجل كل المناقشات .. وهو راويها :

تكلم مصطفى النحاس فقال :

- ان النطق الملكى بهذا الشكل لا يمكن به الوصول الى اتفاق اذا بقينا عند الأسس التى وضعت : وزارة تمثل جميع الأحزاب . هذه يمكن تحقيقها بالطريقة التى وضعتها فى اقتراحى منذ يومين .. وهى وزارة محايدة تحوز رضاء جميع الأحزاب . ويكون لنا جميعا رأى فى تكوينها ، ولا يمكن أن نتحكم فى أشخاصها . يجب أن تتوفر فيها فكرة تمثيل الاحزاب . وأن الأحزاب تؤيدها . ولأجل أن تؤيدها الأحزاب يجب أن يكون لنا رأى فى اختيار رئيسها وأشخاصها لتحقيق فكرة رضاء الجميع .

كلمة « بقدر الامكان » التى جاءت فى حديث الملك نحاول أن نحققها .

ولكن كلمة « يؤيدها البرلمان » هذه لا يمكن قبولها لأنى كما قلت

من قبل لا يمكن أن أرضى عن اى وزارة ، أو أوافق على وزارة تستند الى مجلس النـــواب الحالى . بل الوزارة المحايدة تعلن حل مجلس النواب بمجرد تشكيلها لأن الوفد غير ممثل فى مجلس النواب تمثيلا صحيحا .

وأما الشيخ مصطفى عبد الرازق فقال :

ــ ان الظروف خطيرة ، ولابد من مواجهتها مجتمعين .

ونقطة الخلاف هى :

ــ هل نواجهها بوزارة محايدة تؤيدها الأحزاب ، أو بوزارة قوميـــة .

وأول ما يتجه اليه النظر تأليف وزارة قومية .

وسأل مصطفى النحاس عما اذا كان له اعتراض على ذلك ؟

فقال مصطفى النحاس :

ــ الوزارة القومية دلت التجارب على أنها وزارة ضارة وغير منتجة . ونحن فى ظروف خطيرة . فلا يصح أن نعيد التجربة .

وقال الدكتور أحمد ماهر :

ــ ان أحسن مخرج للحالة هو ما جاء بالنطق الملكى وتأليف وزارة تمثل جميع الأحزاب بقـــدر الامكان ويؤيدها البرلمـــان . ولا أوافق على حكم البلاد من غير رقابة برلمانية .

حاول الحاضرون اثناء النحاس عن موقفه وقبول وزارة قومية برئاسته فقال :

ــ هذا محال ..

وأخذ يعدد الأسباب التى تجعله يتمسك برأيه .

وانتهى الاجتماع الى غير اتفاق .

ويستمر عبد الوهاب طلعت فى رواية التفاصيل :

« عرضت آراء الزعماء على الملك ، ثم أبلغتهم أن رغبة الملك تتجه الى حل الموقف بطريقة دستورية . وأنى سأتلقى أوامر الملك وأتصل بهم .

وللوصول الى حل تحمد عاقبته .. ظللت أوالى الاتصال بزعماء الأحزاب ــ المستقلين ٣ أيام . وكان محددا لمقابلة مصطفى النحاس يوم ٢٦ يونيو فى كفر عشما ــ محافظة المنوفية .

* * *

واستدعى السفير البريطانى أحمد حسنين الأمين الأول للملك الى دار السفارة فى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم نفسه ــ ٢٦ يونيو ــ وأملى عليه التبليغ الآتى :

« ان السفارة على بينة من نشاط على ماهر منذ تقديم استقالته مما يسبب ارتباكا فى الحالة .

يجب أن يكون عمل على ماهر اداريا محضا الى أن تؤلف الوزارة الجديدة » .

يجب على الملك دعوة مصطفى النحاس فى الحال وقبول نصيحته : أى بتشكيل وزارة حسب مشورته . ووجهات نظر النحاس معروفة من قبل وهى تأليف وزارة محايدة .

ان تنفيذ المعاهدة تنفيذا يتفق مع نصها وروحها يقتضى فى الظروف الحاضرة ان أكبر هيئة شعبية ــ وهى الوفد ــ يجب أن يكون مساندا للحكومة . فاذا ثبت استحالة قيام وزارة محايدة فلا مفر من وزارة وفدية خالصة . وفى كلتا الحالتين فان مسئولية تنفيذ المعاهدة يكون على عاتق رئيس الوفد المصرى الذى فاوض فى المعاهدة » .

* * *

ويتوجه عبد الوهاب طلعت الى النحاس فى الثانية والنصف من بعد ظهر الأربعاء ٢٦ يونيو ١٩٤٠ .. أى بعد ساعة ونصف من التبليغ البريطانى .

ولعل أغرب ما بدأ به اجتماع طلعت بالنحاس ـ حسب رواية طلعت هو اتفاقهما على أن يدون كل منهما محضرا بكل ما يجرى من حديث .. !

سأل عبد الوهاب طلعت النحاس عن اقتراحاته من الوجهة العملية فأجاب :

اذا أخذ بفكرة الوزارة المحايدة يكون العمل كما يأتى :

١ ـ تتألف الوزارة رئيسا وأعضاء من محايدين .

٢ ـ هذه الوزارة يرضى عنها جميع الأحزاب ، أو من يرغب فيها من الأحزاب .

٣ ـ يساند هذه الوزارة من يرغب فيها من الأحزاب ، ويداومون الاجتماع لمساعدتها فى تصريف الأمور ، وفى مراقبتها .

٤ ـ تمهد الوزارة للانتخابات الحرة . ولا بأس من ترك البرلمان فى عطلة من غير اجتماع الى الوقت الذى يرغب فيه .. فى اجتماع البرلمان فيحل مجلس النواب عندئذ ، وقبل اجتماع البرلمان . وعلى أى حال يتم الحل قبل بداية الدورة البرلمانية بشهرين .

٥ ـ الوزارة المحايدة وكيف تشكل :

رئيس الوزراء : يصلح أن يكون سيف الله يسرى باشا لأنه قد يرضى على ما أعلم بعض الأحزاب .

ويسأله عبد الوهاب طلعت : اذا رئى تكليفكم بتأليف الوزارة فما رأيكم ؟ .

أجاب النحاس :

— مع شكرى الوافر على هذه الثقة فأنى أسمح لنفسى بالاعتذار عنها للاسباب الآتية :

أولا : لأنى اقصد حقيقة الى وحدة الأمة فى هذه الظروف الدقيقة . ولا يتيسر الوصول الى هذا الغرض بكونى أتولى الوزارة .. لأن فى هذا اغضابا للبعض الآخرين من الأحزاب ، ان لم يكن جميعهم .

ثانيا : لأنى لا أستطيع العمل فى الظروف الحاضرة مع أدوات الحكم .. المقصود الموظفون الذين ركزت ادارة الحكم فيهم أثناء هذا الانقلاب من وقت اقالتى الى الآن فى جميع المصالح العمومية — برفت كل من كان يعتبر أن ميوله وفدية ، أو أنه يمت الى بصلة قرابة أو نسب أو مصاهرة ، أو بمبدأ وفدى ، واحلال غيرهم محلهم ، أو بترقية الآخرين ترقية استثنائية وثابتة لكسب معونتهم لمن خلفونا فى الحكم وبغضهم لنا ، أو بركن الآخرين من الفريق المقول بأنه منسوب لنا واحتضان غيرهم ، أو بنقل الفريق الأول من المراكز الهامة واحلال غيرهم محلهم .. الخ .

وفى هذه الظروف تكون مهمة الحكم غير مجدية ولا أريد كما قلت فى اجتماع قصر عابدين أن أحدث انقلابا فى الظروف الحاضرة، حتى أستطيع الحكم مع رجال يخلصون لى وللملك وللوطن .. لأنى ان أقدمت على هذا الانقلاب أبعدت عنى جميع الأحزاب تقريبا فضلا عن أن حالة الحرب التى هى على الأبواب لا تتطلب ذلك .

فمن الحكمة اذن أن تتولى الأمر وزارة محايدة وهى تستطيع أن تعمل مع أداة الحكم الحالية بقدر الامكان .. الا من تأخذ عليه الاخلال بوظيفته فى عمل هذه الوزارة المحايدة معهم ، وبذلك يكون الجميع مطمئنين الى العمل معها لمصلحة البلاد .

ويطلب عبد الوهاب طلعت معرفة موقف النحاس اذا رأى الملك الا مندوحة من تكليفه الوزارة .

يرد النحاس :

ـ اذا كنت سأوافق سأستميحه فى عمل كل التغييرات .

* * *

ان المحاضر كما سجلها عبد الوهاب طلعت لا تختلف الا فى بعض تفاصيل ثانوية عن تلك التى وردت فى مذكرات كيلرن أو وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

والظاهرة التى تلفت النظر فى كل ما جرى .. ان هذه الاجتماعات .. وهذه الدعوة لتأليف وزارة ائتلافية هى التى تكررت بعد ذلك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ .

الاختلاف الوحيد هو أنه فى ٤ فبراير كان هناك اصرار من الانجليز على أن يؤلف النحاس الوزارة .

ولكن فى يونيو ١٩٤٠ كان الانجليز مترددين .. لم يحسموا امرهم على التفاهم مع الوفد .. وبالاضافة الى ذلك فان اللورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا ـ فى يونيو ١٩٤٠ ـ كان هو الذى ندد بتصرف النحاس .. ومذكرته الشهيرة للسفارة .

ان النحاس تولى الوزارة عام ٣٦ عندما كان ايدن وزيرا للخارجية والسير مايلز لامبسون سفيرا لبريطانيا فى القاهرة .

والنحاس يتولى الوزارة عام ١٩٤٢ عندما يعود ايدن لوزارة الخارجية فى حكومة تشرشل .. !

* * *

ومن هنا يجتمع فاروق بعبد اللطيف طلعت .. ويستشير أحمد ماهر رئيس مجلس النواب ، ومحمد محمود خليل رئيس الشيوخ، ومحمود حسن باشا كبير المستشارين الملكيين .. ثم يختار حسن صبرى باشا رئيسا لوزراء مصر .. !

ويلتقى فاروق بالسفير البريطانى ويبلغه تعيين حسن صبرى باشا ويقول :

ـ ستتخذ الحكومة الجديدة كل الاجراءات المطلوبة .

وستنفذ هذه الحكومة معاهدة ١٩٣٦ نصـا وروحا وبالذات المـادة الخامسة .

وهذه المادة تنص على الا يتبنى أى طرف سـياسة خارجية تتعارض مع المعاهدة .. أو يعقد اتفاقات سياسية تتعارض مع اجراءات ونصوص المعاهدة .

ويقول فاروق :

ـ لقد وافقت على أن تسعى الحكومة الى تعبئة الراى العام معها لتنفيذ هذه السياسة .. وأعد بأن يساند القصر ـ باخلاص هذه الحكومة .

قال السفير :

ـ ستكون النتائج خطيرة .. اذا فشلت هذه التجربة .
رد الملك :

ـ أكد لفخامة اللـورد .. يعنى هاليفاكس وزيـر خارجية بريطانيا أن الاتهامات بأنى ضد بريطانيا كاذبة .. !

ان النحاس طلب أن أتولى بنفسى ـ أى الملك ـ رئاسـة الوزارة .

ويوالى فاروق شرح مضمون ـ ان لم يكن نص الحديث ـ بينه وبـين رئيس وزرائـه مصطفى النحاس .. فان كل الأحاديث الرسمية فى ذلك العهد كان السفير البرطانى طرفا فيها .. حتى ولو كان غائبا عنها .

وكان كل مسئول يمثـل الأذن الثالثة للسفير البريطانى .. يستمع بالنيابة عنه .. ويقدم له التقرير الشامل .

قال الملك :

ـــ لقد أخبرت النحاس باشـــا أن تأليف الوزارة ليس من مسئولياتى .. ونظرا لموقف النحاس السلبى .. فقد اخترت الرجل الوحيد الذى أعرف أنه يتمتع بثقتكم كاملة ـــ أى ثقـــة الانجليز ـــ وكلفته بتشكيل الوزارة ، من أعضاء يؤيدون الانجليز .

وأضاف فاروق :

ـــ انى أخشى شيئا واحدا وهو أن الحكومة ليست قوية ، ولكنها ـــ بغير شك ـــ تؤيدكم .. أى تؤيد الانجليز !!

وتعلن أسماء الوزراء .. عبد الحميد سليمان ، محمد حلمى عيسى ، محمود فهمى النقراشى ، صليب سامى ، حافظ رمضان ، محمد حسين هيكل ، ابراهيم عبد الهادى .. أعضاء الوزارة التى رأى ملك مصر أنها ليست قوية .. وأن ميول أعضائها بريطانية !

ان اثنين من هؤلاء الوزراء يتولون فيما بعد رئاسة الوزارة : وهما ابراهيم عبد الهادى والنقراشى ..

.. والنقراشى كان متهما بالتحريض على اغتيال السيردار السير لى ستـــاك .. وعارض الانجليز عام ١٩٣٦ أثناء اشـــتراكه فى مفاوضات المعاهدة !!

واحد هؤلاء الوزراء رئيس الحزب الوطنى ـــ حافظ رمضان .. صاحب مبدأ « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ، والرجل الذى قبل الوزارة لأول مرة فى عهد محمد محمود وقال ان السبب هو رغبته فى أن يجعل الناس يفهمون مبادىء الحزب الوطنى .

وواحد من بين الوزراء يصبح رئيسا لحزب الاحرار الدستوريين وهو الدكتور محمد حسين هيكل باشا .

* * *

وهنا نتوقف ..

ان على ماهر فى معظم اجتماعاته بالسفير كان يدعو لحضور الجنرال ولسون ليكون أشبه بالشاهد .. على تعاونه — تعاون على ماهر — مع الانجليز .

وقال على ماهر أن السبب فى ذلك هو انه لا يثق فى السفير ويخشى تحريف أحاديثه !!

وهذا اعتراف يدين على ماهر .. ولا يحميه !

يوم قبول استقالة على ماهر يبعث اليه ولسون بخطاب يشكره فيه على مساعداته للقوات البريطانية أثناء توليه الوزارة .

وعلى ماهر يقدم صورة من هذا الخطاب الى محكمة الجنايات أثناء شهادته فى قضية أمين عثمان عام ١٩٤٧ .

ولكن السفير البريطانى عام ١٩٤٠ يصرخ — فى برقية — لحكومته قائلا : « ان ولسون فى نوبة كرم خاطئة .. كتب خطابا الى على ماهر يشكره ..

ان ولسون بعث بهذا الخطاب دون استشارتنا — أى السفارة .. وهذه حركة خاطئة ، ولكنها مقصودة بعناية .

ان على ماهر ينشر الان فى كل مكان أن العسكريين البريطانيين يؤيدونه .. والسفارة البريطانية هى وحدها التى تخذله » !

لماذا تربطون أنفسكم بجثة ؟

قبل أن يشكل حسن صبرى باشا وزارته .. اتفق مع أحمد ماهر ومحمد محمود على تأليف الوزارة ، ثم ذهب — حسن صبرى — الى السفير البريطانى ، وطلب عدم وضع العقبات فى سبيله .. فطمأنه السفير .. وشكل الوزارة يوم ٢٧ يونيو ١٩٤٠

وفى مذكرات السفير أنه وافق على تشكيل وزارة حسن صبرى لأن الملك كان يعلم صداقة السفير بحسن صبرى منذ توليه وزارة المالية فى حكومة عبد الفتاح يحيى !

***

وتبدأ الحكومة فى اظهار تعاونها مع الانجليز .

فى أول اجتماع لمجلس الوزراء يقرر المجلس دخول الحرب .. اذا وصلت القوات الايطالية الى مرسى مطروح .. أول وأكبر ميناء مصرى فى الصحراء الغربية .

ويصمم وزراء الحزب السعدى على دخول الحرب فورا ويهددون بالاستقالة اذا لم تعلن مصر الحرب من أول جلسة !

ويذهل وزراء الحزب السعدى عندما يقبل رئيس الوزراء استقالتهم .

وتزداد دهشتهم عندما يوافق السفير البريطانى على ذلك .. فان السفير فى ذلك الوقت تلقى تعليمات لندن بأنه من المصلحة عدم دخول مصر الحرب .. وكان رئيس الوزراء يعرف هـذه التعليمات .. والسفير يعرف .. والسعديون لا يعلمون !

وبعد ٤ شهور من تشكيل الوزارة تغزو القوات الايطالية الحدود المصرية وتغير على المدن .

ويصل انتونى ايدن — وزير الحربية فى ذلك الوقت — الى القاهرة ويستقبله فاروق بحضور السفير .

وأثناء الحديث « يغمز » ايدن بعينه للسفير وكأنه يقول له :

— أنظر ماذا يفعل الملك .

وبعد انتهاء المقابلة يقول ايدن للسفير :

— يا صبرك ! لأنك تتعامل مع هذا الغلام .. لابد أن ذلك يرهقك

وكلمة « الغمز » و « الصبر » هى الكلمات الرسمية المستعملة فى لغة الحوار والبرقيات بين السفير ووزارة الخارجية فى لندن .. أثناء الحرب !!

* * *

ويقيم السفير حفلا كبيرا لايدن يدعو اليه زعماء مصر .. بما فيهم على ماهر .

ولقد تردد مايلز فى دعوة على ماهر .. فقبل ٤ شهور أصر على عزله من رئاسة الوزارة .

.. ان السفير يسأل أعضاء سفارته .. فيقولون له :

— يجب دعوة على ماهر ..

ويعترض السفير خشية أن يتهم بالضعف .. اذا دعاه !

ولكن رجال السفارة يصرون على دعوته ويوافق لامبسون مضطرا من ناحية حرفية البروتوكول .. ولأن بريطانيا ، ورجالها فى مصر، يحرصون على ابقاء خيط رفيع متصل بينهم ، وبين كل زعماء مصر.

وعلى ماهر أيضا يحرص على بقاء هذا الخيط الرفيع ..

انه لا يحضر الحفل حتى لا يتهم بالنفاق امام الجميع .. ولكنه — سرا — يكتب رسالة اعتذار لا يقرؤها الا السفير .. وتطل كلمات هذه الرسالة من مذكرات السفير .

قال على ماهر انه مريض ..

ولمس السفير حرارة الاعتذار فكتب فى مذكراته يقول انه أحس بصدق الاعتذار وأنه ليس مصطنعا و « أخشى أن نتهم بالضعف .. ولكن « معلهش » .

وفى برقية لوزارة الخارجية كتب السفير كلمة معلهش بالحروف اللاتينية !!

***

وفى حفل ايدن .. يحرص لامبسون على أن يجعل ايدن ينفرد بالنحاس أطول فترة ممكنة .

ورأى السفير أن ذلك يعتبر عملا كبيرا فى حد ذاته .. وان لم يسفر عن نتائج محددة .

ويبرق السفير الى لندن .

« ان اجتماع كل الزعماء المتصارعين تحت سقف صديق ومحايد .. لا يعتبر عملا سيئا بحال .. وهو مثل على أن الأمور يجب أن تسير على هذا النحو ..

.. وبهذه العبارة يكشف لامبسون عن سياسته .. أو خطة عمل بريطانيا فى تلك الفترة .. أن يجتمع زعماء مصر تحت

« السقف » البريطانى .. أو فى ظل العلم البريطانى الذى يرفرف فوق دار السفارة .

.. وعندما لم يتحقق ذلك للانجليز فانهم ــ بعد حين ــ يريدون الهيئة الشعبية أو أغلبية الشعب .. لا أغلبية الزعماء !

* * *

ولم ينفرد ايدن بالنحاس .. وحده .

انه انفرد أيضا بكل زعماء مصر ..

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى التقى فيها بهم .. فقد سبق أن جاء الى مصر ــ كما تقدم ــ وذلك فى زيارة سرية خلال شهر فبراير .. أى قبل ٨ شهور .

ان السفير يقول فى برقية سرية الى حكومته :

ان ايدن ــ وزير الحربية ــ قال له ان كل زعماء مصر واحدا بعد الآخر .. وبغير استثناء على الاطلاق .. أبلغوه أن الملك هو سبب كل المشاكل فى مصر .

قال ايدن :

ــ فى فبراير الماضى كان الزعماء أكثر حرصا .. أما فى اكتوبر فان اتهامهم للملك كان مباشرا .

وقد وصل ايدن الى نتيجة واحدة وهى :

ــ الحل .. هو طرد .. الولد .. فاروق !

أجاب السفير :

ــ معظمنا وصل الى هذه النتيجة من قبل .. ولكن هذه مشكلة .. فكلما فكرنا فى تنفيذها ــ طرد فاروق ــ نشأ سبب أو آخر يمنعنا من المضى فى خطتنا .

وفى الآونة الأخيرة لم نطلق النار .. أى لم نعزل الملك ــ لأن حزب الوفد يرفض وكذلك قادة القوات البريطانية .

.. وكان الوفد قد تقدم بمذكرة للسفارة اعتبرتها الحكومة البريطانية عملا عدائيا .

ويضيف لامبسون :

ــ فى رأيى أنه ما دام هذا الغلام جالسا على العرش فاننا لن نلقى تعاونا حقيقيا .. وسيبقى لدينا الاحساس بأنه متى ساءت الأحوال فاننا سنطعن من الخلف .

***

ويطلب ايدن من لامبسون أن يجتمع بقادة القوات البريطانية .. الجيش والبحرية والطيران ، ويبلغهم أن ايدن وصل الى رأى نهائى وهو أن هذا الولد ــ فاروق ــ يجب أن يذهب . وعندما كان فى فلسطين سمع من المندوب السامى هناك كيف أن سياستنا وتساهلنا مع فاروق أديا الى الاساءة لسمعتنا .

وقال السفير :

ــ لقد سافر ايدن الى الصحراء ، وقد طلب منى أن أسألكم الرأى ليتقدم توصية بذلك عندما يعود الى لندن .

انى عملت مع فاروق منذ جلس على العرش ، ووجدت أنه ــ فاروق ــ فقد صلته بالشعب وقبضته عليه بسبب تصرفاته غير المسئولة وأوهامه .. وهذايمكن الا نعيره اهتماما وقت السلم .. أما فى زمن الحرب .. ونحن نقاتل دفاعا عن حياتنا .. فاننا نخشى أن تجرفنا الظروف .. فلا نستطيع احتمال أية لدغة !

اننا نتوقع أن تسير الأمور فى حرب الصحراء على غير هوانا ، ونخشى أن نغامر بأن يكون فى مؤخرة قواتنا ملك يقوم بلعبة غير

مخلصة لنا .. وفى كل مشكلة نواجه بما اسميه اليد الخفية التى تظهر بكل طريقة ..

ان هناك امثلة تظهر كل يوم ، وآخرها رفض القصر أن يبّعد عن مصر ايطاليا اسمه بوجولينو .

لن يكون هناك تعاون مصرى مخلص ومن القلب .. معنا .. ما بقى هذا جالسا على العرش .

ويضيف لامبسون :

ــ ما كنت افكر فى اثارة مثل هذا الموضوع الذى يرفضه العسكريون لولا أن وزير الحرب هو الذى طلب منى بحثه معكم .

وقد اعلن الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط انه يعارض عزل الملك .

وايد قائد السلاح الجوى لونجمور وجهة نظر ويفل .

أما قائد البحرية فأعلن انه يؤيد التصرف السريع ضد الملك .
ولم يغير الجنرال ويفل رأيه .. وقال انه يخشى الا تستسلم مصر وتساءل عما سيفعله أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة .. وزملاؤه .

ولم تسفر المناقشة عن أية نتيجة .

وماتت فكرة عزل الملك لأن بريطانيا اضطرت الى سحب قواتها من مصر لمساعدة اليونان ضد الغزو الايطالى .

ولكن هذا يدل على أن فكرة عزل فاروق لم تنشأ فى ٤ فبراير ١٩٤٢ .. وانما نشأت فى أكتوبر عام ١٩٤٠ .. وكان ايدن وزير الحرب البريطانى هو أول من فكر فيها .. فى أكتوبر ١٩٤٠ .. وكان ايدن وزير الخارجية هو من ساندها وأيدها يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ .

* * *

.. خلال وزاره حسن صبرى باشا عين احمد حسنين باشا الأمين الأول للملك رئيسا لديوان فاروق .. وبذلك زاد نفوذ حسنين ..وأصبح الرجل القوى داخل القصر .. ولكن بعد بوللى .. وجارو ... الخ .

ويبقى وكيل الديوان .. ورجل على ماهر فى القصر عبد الوهاب طلعت باشا .

.. ويكون من قرارات مجلس الوزراء .. مد امتياز البنك الأهلى ٤٠ سنة .. لصالح الانجليز !!

ولا تستمر وزارة حسن صبرى باشا أكثر من ٤ شهور ونصف الشهر ..

ويموت رئيس الوزراء وهو يلقى خطبة العرش .. داخل البرلمان !!

* * *

ويجىء حسين سرى باشا رئيسا لوزراء مصر ..

مهندس مصرى ناجح .. يتمتع برضى كل الاطراف ..

دخل الوزارة لأول مرة فى أواخر عام ١٩٣٧ وزيرا للاشغال فى وزارة محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين .

وبعد عام اسند اليه محمد محمود باشا وزارة الحربية أيضا فأصبح وزيرا لوزارتين .

واختاره على ماهر باشا وزيرا للمالية عام ١٩٣٩ .

وعندما استقال على ماهر استبقاه حسن صبرى باشا ليكون وزيرا للاشغال .. فهو وزير فى ٣ عهود واجهت مقدمات الحرب وبدايتها .

* * *

بدأ حياته مهندسا بوزارة الاشغال ، ولكنه ارتفع بسرعة ليصبح وكيلا لوزارة الاشغال .. ثم وزيرا لها .. كل ذلك خلال سنوات

وكان يهمس لأصدقائه بأنه سيكون رئيسا لوزراء مصر فى أغسطس عام ١٩٣٩ بعد استقالة محمد محمود .. ولكن على ماهر اختير لرئاسة الوزارة .. وبعد على ماهر جاء حسن صبرى.

ولم يفقد حسين سرى الأمل فى رئاسة الوزارة .. أبدا ..

* * *

وأخيرا ..

ان حسين سرى رجل يمهد دائما لحكم الوفد .

.. بعد وزارته الأولى جاء النحاس ..

.. وبعد وزارته الثانية جاء النحاس أيضا .

وهو قريب للملك فاروق .. لأنه زوج خالة الملكة فريدة ..

وهو صديق لكل الدوائر الاقتصادية والمالية الغربية .. فبعد

الحرب أختير رئيسا وعضوا فى مجلس ادارة ٤٠ شركة أجنبية .. فى وقت واحد !

باختصار رجل يحظى بتأييد الوفد .. وخصوم الوفد .. الملك .. ورجال القصر .. والانجليز !

* * *

هذا هو رئيس وزراء مصر خلال ١٥ شهرا فى زمن الحرب العالمية الثانية .. حقق للانجليز كثيرا مما طلبوه .. ولكنه فشل فى طرد الايطاليين من القصر .. ومن حاشية الملك .

ولكن الانجليز يتراجعون فى الصحراء الغربية .

ويبدأون الانسحاب من ليبيا الى داخل الحدود المصرية بعد وصول روميل الى طرابلس وقيادته لقوات المحور .. وبدء هجومه الكبير على الصحراء المصرية .

.. ويسرع حسين سرى الى الجنرال ويفل يسأله عما تريده بريطانيا من الجيش المصرى فيقول ويفل :

ـــ لا شىء أكثر مما يفعله الجيش المصرى ، وهو حماية القنال، والجسور ، والاستعداد فى الدلتا لصد أية غارة .. وهناك وحدة مصرية فى سيوه ستقاوم اذا هوجمت .

ويسأل حسين سرى السفير البريطانى .

ـــ هل تريدون أن تدخل مصر الحرب .

يرد السفير :

ـــ لابد أن أسأل لندن .. ولكن رأى قائدى البحرية والطيران : أن المانيا لا تفكر فى القيام بغارات فوق مصر .. واعلان مصر الحرب قد يدفع المانيا للتعجيل بهذه الغارات .. والجنرال ويفل لا يريد تغييرا فى موقف مصر .

.. ولقد دفع أحمد ماهر حياته ثمنا لاعلان الحرب ضد المانيا رغم أن الحرب كانت قد انتهت فى أوروبا ، ولكن سرى باشا ، وهو يبدى استعداده لاعلان الحرب .. فعل ذلك بلا ضجة .. وبدون اعلان ..

.. ولو أن بريطانيا رغبت فى أن تعلن مصر الحرب فى وزارة حسين سرى .. فربما تغير التاريخ المصرى كله ..

* * *

وفى وزارة حسين سرى تقوم ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، وتحول بريطانيا ثلثى قاذفاتها من الصحراء الغربية المصرية الى العراق .. ويصبح السؤال هو :

ـــ مصر .. أو .. العراق .

والسفير البريطانى يبرق لحكومته مطالبا بالمحافظة على وضع القوات البريطانية وعدم سحبها الى العراق .. وينصح بسحق ثورة الكيلانى وعدم قبول الوساطة أو الصلح معها .. كما يقترح الجنرال ويفل .

* * *

.. ولأسباب كثيرة تأخذ لندن برأى لامبسون .

وتتعدد مطالب بريطانيا من مصر :

● الجنرال ويفل يطلب من عبد الحميد بدوى باشا وزير المالية نقل رصيد مصر من الذهب الى جنوب أفريقيا .. وبدوى باشا يتساءل :

ـــ الا يكفى نقل الذهب الى الخرطوم .

ولكن السفير يرى أن جنوب أفريقيا هى الأفضل .

● تقرر الحكومة البريطانية تعيين وزير دولة لها مقره القاهرة .. ويكون عضوا فى مجلس وزارة الحرب البريطانية .. ويختار للمنصب أوليفر ليتلتون .

● يحاول الفريق عزيز المصرى الرئيس السابق لأركان حرب الجيش المصرى الهرب من مصر .. وتسقط طائرته قرب قليوب .

وفى التحقيق يقول عزيز المصرى ان ضابطا بريطانيا طلب اليه السفر الى العراق باعتباره صديقا لعدد كبير من العراقيين .. وللوساطة بين الانجليز وثوار العراق .

ويبلغ حسين سرى نص التحقيق للسفير البريطانى .. الذى يطلب اليه حفظه لان ضابطا بريطانيا هو الكولونيل ثورن هيل زار عزيز المصرى فعلا من وراء ظهر السفير .. !

ويحفظ التحقيق .. ويعتقل عزيز المصرى !!

***

ووسط هذا كله يقيم السفير البريطانى حفلا لتعميد ابنه فيكتور .. فى الكنيسة .. ويشهد الحفل كل زعماء مصر !

.. ويعتذر على ماهر ــ كعادته ــ حتى لا يظهر علنا فى حفلات السفير .. ولكنه يرسل لفيكتور لامبسون .. ملعقة وكوز .. مع اعتذار رقيق !

وفى الحفل المسائى الراقص لنفس المناسبة نجد بين الحاضرين .. الأمير عباس حليم ، الذى اعتقله الانجليز بعد ذلك فى وزارة النحاس ، والأمير محمد على ولى العهد .. واخيرا .. الأمير عمر طوسون !

***

واذا كانت الأيام العشر الأخيرة فى وزارة على ماهر .. حافلة .. فان الأيام العشر الاخيرة فى وزارة حسين سرى كانت حبالى بالأحداث والتطورات التى لم يتوقعها أحد .. لا داخل مصر .. ولا عند الحدود المصرية !!

بل ان الموقف الحربى العالمى بدأ يتغير تماما ..

فى الصحراء الغربية ..

بدأ روميل هجومه الكبير يوم ٢١ يناير ١٩٤٢ ضد القوات البريطانية التى كانت قد وصلت الى العجيلة عند حدود طرابلس فى ليبيـــا .

ومع أن قوات روميل اقل من القوات البريطانية فان القائد الألمانى يتمكن خلال ٨ أيام من احتلال بنغازى .. ويوالى تقدمه حتى طبرق .

.. وغرقت ٣ سفن حربية بريطانية كبيرة فى البحر المتوسط .. وبذلك أصبح طريق الامدادات — عبر البحر — مفتوحا لروميل .

وفى الشرق الأقصى تقدمت القوات اليابانية فى الملايو .. ولم يبق أمامها الا أن تدخل سنغافورة .

واضطرت بريطانيا تحت ضغط استراليا الى تدعيم قواتها فى سنغافورة فسحبت من مصر جانبا من سلاح الطيران .. وبعض القوات .. ولكن سنغافورة استسلمت يوم ٨ فبراير وأخذ ٦٠ الف جندى بريطانى أسرى .

وظل مجلس العموم البريطانى يستجوب تشرشل ٣ أيام كاملة من ٢٦ الى ٢٩ يناير ١٩٤٢ حتى حصل على الثقة .. واضطر الى تعديل وزارته لتدعيمها ومواجهة هذه الهزائم .

* * *

وفى خضم الهزائم البريطانية الضخمة .. والمتتابعة نشأت أزمة تافهة فى مصر كما تقول الوثائق البريطانية !

بدأت الأزمة فى أوائل يناير ١٩٤٢ ، ولكن تطوراتها العنيفة ظهرت فى أواخر يناير .

.. قال السير مايلز لامبسون لرئيس وزراء مصر حسين سرى باشا :

— مصر يجب أن تقطع علاقاتها فورا بحكومة فيشى .

.. وحكومة فيشى ألفت لتحكم ثلث فرنسا .. وتستسلم للالمان .. وتقطع العلاقات مع انجلترا .

وقيل ان السبب هو أن اتصالات فاروق بالمان كانت تتم عن طريق بوتسى الوزير الفرنسى المفوض فى مصر .. وكذلك عن طريق مفوضية مصر .. فى فيشى .

وكانت الحكومة البريطانية تطارد الفرنسيين فى مصر وتعتقلهم باعتبارهم جواسيس لفيشي والألمان .. وآخر هؤلاء ريمون مستشار الفنون الجميلة بوزارة المعارف .

.. لم يتردد حسين سرى .. أبدا .. ازاء طلب السفير البريطانى قطع العلاقات مع فيشى .

ذهب الى اجتماع مجلس الوزراء يوم ٥ يناير يطلب قرارا بقطع العلاقات .. وكان السفير البريطانى يؤيد الجنرال كاترو المندوب العام للجنرال ديجول فى القاهرة .. بينما يساند القصر جان بوتسى الذى يمثل حكومة فيشى .. فى القاهرة أيضا .. فقد كان لفرنسا تمثيلان متعارضان فى مصر !

اعترض مصطفى عبد الرازق باشا وزير الاوقاف .. وقال :

— ان مجلس الوزراء قبل فى نفس الجلسة استقالة وزير المالية عبد الحميد بدوى باشا .. وتكفى أزمة واحدة فى الجلسة الواحدة ..

وطلب مصطفى عبد الرازق تأجيل نظر الموضوع ..

أجابه سرى باشا فى عنف :

— يجب أن نبت فى الموضوع اليوم . ومن لا يعجبه ذلك فله أن يتصرف كما يشاء .

وهذا التهديد لوزير من حزب الأحرار الدستوريين — الذى يشترك فى الوزارة — يبين أن حسين سرى لا يهتم كثيرا ببقاء الائتلاف الوزارى بقدر ما يهمه قطع العلاقات مع فيشى .

تدخل الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف . قال :

ـــ ان لمصر فى فرنسا مئات من الطلبة المصريين يدرسون هناك ويجب تأمين معاشهم .. وأن نرعى مصلحتهم .. وأن نؤمن عودتهم .. وقطع العلاقات يضر بهؤلاء الطلبة ضررا بليغا .

أجاب سرى باشا :

ـــ أطمئن وزير المعارف الى ان أبناءنا هناك لن يصيبهم مكروه. وسنرعى مصالحهم خير رعاية .

وأثيرت اعتراضات أخرى للصلة القديمة بين فرنسا ومصر ولأن بوتسى على صلة طيبة بالجميع .

وطرح سرى الموضوع للتصويت ..

.. امتنع هيكل ومصطفى عبد الرازق عن التصويت ، ووافق باقى الوزراء على قطـــع العـــلاقات مع فيشى .. رغـــم كل الاعتراضات !

وانتهى الاجتماع بقرار من مجلس الوزراء يعلن قطع العلاقات.

وأبلغ القرار للسفير البريطانى .

* * *

.. لم يكن هذا القرار مفاجأة لأحد الا للملك فاروق الذى كان فى رحلة بالبحر الأحمر ..

وخاف أحمد حسنين رئيس الديوان من أن يؤدى هذا القرار الى أزمة بين الملك والوزراء من ناحية ، وبين الملك والسفير من ناحية أخرى فاقترح ـــ كحل وسط ـــ وقف العلاقات ، لا قطع العلاقات .. وفعلا تظل العلاقات بين مصر وفرنسا ـــ حكومة فيشى ـــ موقوفة .. لا مقطوعة .

وعندما عاد فاروق من رحلته ثار وقال :

ـ أنا وحدى الذى أملك قطع العلاقات .. هذه سلطة الملك .. فالسفراء يمثلون الملك .

وطلب فاروق استقالة وزير الخارجية صليب سامى بك .. واعتكف الوزير فى بيته حتى يبت فى الاستقالة .

وأصر رئيس الوزراء على بقاء الوزير فقد كان يعلم أن بريطانيا معه .. وأن السفير البريطانى يؤيده .

قال رئيس الوزراء :

ـ سأستقيل تضامنا مع وزير الخارجية .

وكان سرى باشـــا يعلم أن الانجليز هم الذين طلبـــوا قطع العلاقات ، وأنهم سيؤيدونه حتما ضد الملك .

* * *

هنا يبرز دور حسين سرى واضحا .. صريحا ..

ان الرجل يعتمد على السفير البريطانى تماما فى أزمته ضد الملك ..

ان حسين سرى زوج خالة الملكة فريدة يبلغ السفير البريطانى بتطورات الخلاف مع الملك .. وهو يستعدى السفير على الملك فى وضوح تام .

ولقد ظل دور حسين سرى مستترا خافيا حتى اليوم .. ولكن الوثائق تفضحه ..

السفير يعرف بالأزمة يوم ٢١ يناير .. ويبلغ بها لندن .. وتكون هذه الأزمة وما تبعها هى المقدمة لأحداث ٤ فبراير .

والحقيقة أن السبب المباشر كان مسألة قطع أو وقف العلاقات مع حكومة فيشى ، ولكنها امتدت لتصبح ضرورة التخلص من

عبد الوهاب طلعت الذى اتهمه الانجليز بأنه رجل على ماهر فى القصر .. وكذلك الايطاليين من رجال الحاشية .

***

ان حسين سرى ينقل الى السفير البريطاني السير مايلز لامبسون ما جرى بينه .. أى بين رئيس الوزراء وفاروق .. ثم يقول للسفير بالحرف الواحد .

« هذا الولد ــ يعنى فاروق ــ جبان جدا .. ويجب اخافته من حين الى حين » .

وتروق الفكرة للسفير ويحاول أن يختبر رد فعلها فى لندن فيبعث لحكومته مساء ٢١ يناير ١٩٤٢ أى بعد أسبوعين من قرار قطع العلاقات قائلا :

« لم تبد لى الفكرة مشجعة . هل يجب أن نخيف الولد ــ الملك ــ على فترات . واذا كان الأمر كذلك فان صبرنا سينفذ . ألا يكفى ما حدث فى ايران لتذكير الملك بما حدث عندما يزداد الضغط على أعصابنا » .

.. يقصد حكاية عزل الشاه ونفيه .

ويقول سرى :

ــ لقد عشت لحظات كالجحيم ومررت بوقت صعب . وأريد صبرا واحتمالا ومساعدة على مهمتى !

ويرد لامبسون :

ــ الا ترى كيف صبرنا واحتملنا حتى هذه اللحظة . اننا لا نريد أن نلتقى بالمتاعب فى منتصف الطريق . ولكن اذا جاءتنا المتاعب عمدا فانى لا أتردد فى أن انصح حكومتى بالطريقة التى نواجه بها الموقف .

ويعقد السفير اجتماعا لمجلس الحرب يحضره الجنرال ستون القائد البريطانى لمنطقة الشرق الأوسط .. ورئيس البعثة العسكرية البريطانية فى الجيش المصرى .. ووزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط .. الخ .

ويطرح السفير اقتراحه ..

« ان الوقت مناسب لتلقين الملك فاروق درسا . اذا لم نتصرف بحسم فسنلقى متاعب أسوأ فى المستقبل » .

ويتساءل الجنرال ستون :

ــ ان القوات كلها مشغولة . ويجب ان نتجنب ما أمكن استخدام القوة لأننا سنحتاج الى قوات اضافية كثيرة .

ولكن ينتهى الاجتماع بالموافقة على اقتراح السفير . ويقول مجلس الحرب .

« حتى لوقامت اضطرابات، وتطلب الأمر تدخل القوة العسكرية فان المخاطرة ليست كبيرة . وسيخضع الملك فاروق .

وتطير برقية بهذا كله الى الحكومة البريطانية يوم ٢٢ يناير أيضا .. فان السفير يريد تفويضا من حكومته ليتصرف !

* * *

وفى نفس اليوم .. وعلى وجه التحديد فى الثانية والدقيقة ٤٠ بعد الظهر يبعث السفير ببرقية أخرى لحكومته . قال :

« ان على ماهر خلق لنا كل هذه الدسائس . هو الذى أوحى للملك فاروق بطرد وزير الخارجية وعزل حكومة سرى لأنها تضحى بحقوق المصريين لبريطانيا العظمى وأن قرار قطع العلاقات مع حكومة فيشى يعتبر رمزا لهذا الضعف .

ان الملك فاروق يتعرض لضغط عنيف ليستبدل سرى بحكومة

أخرى يوجهها على ماهر من وراء ستار . وشعارها سيكون « تنفيذ المعاهدة حرفيا بلا خضوع للانجليز » .. ومن الأسماء المقترحة الابراشي ومحمد محمود خليل » .

ولا يجد السفير مفرا من الاجتماع برئيس الديوان أحمد حسنين باشا . وهذه هى النتيجة :

برقية رقم ٢٩٠

بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

عاجل

١ ــ قضيت ساعة ونصفا مع حسنين الليلة ، أبلغته بخطورة الموقف ومدى تورط الملك .

٢ ــ ورواية حسنين هى كما يلى :

ان الملك من حقه طبقا للدستور أن يوافق على قطع العلاقات بأية دولة أجنبية . وقد اتخذ قرار قطع العلاقات مع فيشى أثناء غيابه ــ كان يقوم برحلة طويلة على ساحل البحر الأحمر ــ ولم تتم استشارة جلالته . ولدى عودة جلالته الى القاهرة ، قام على ماهر وأعوانه بتصوير الأمر لجلالته على أساس أن حقوقه كانت موضع تجاهل . وقد حصلت على المذكرة المكتوبة من على ماهر ومحمود خليل . وكانت هذه أشد النقاط حساسية لدى جلالتــه .

ونتيجة لذلك ، استدعى جلالته رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووجه لهما لوما شديدا لتجاهل موافقة جلالته .

ويقول حسنين أن جلالته بهذا التصرف كان على حق من الناحية الدستورية .

Minutes.

Whatever the strict letter of the constitution, the Minister treated HM with a certain lack of politeness, & they have presented him with a grievance which – if we go for him too – he will exploit by posing as a martyr. But the overriding consideration must, I think, be whether action is essential to safeguard the future & prevent the situation slipping in the present. If it is, we must risk misrepresentation. Moreover Sir M. Lampson – see his telegram No. 290, has practically committed himself & us in advance.

~~[illegible]~~

[signature]
24/1.

Discussed with Sir M. Peterson.
Ef submitted.
[initials] 24/1

Italian influence and undesirable favourites are both old stories in Egyptian Palace history. In 1926 we had to oust Nashat Pasha himself and in 1934-5 we took similar action against Ibrashi.

In this present case my personal view is that Sir Miles Lampson's methods are wrong. The practice of following each interview up with a telegram to London, which the Egyptians literally follow to the cable office and which, as they well know, gives them some days for further mischief is not the right one: and in Egypt of all countries a man on the spot who acts first and telegraphs

later/

اعتراف بريطاني بان الانجليز هم الذين طردو نشات والابراشي

ولكن حسنين أضاف يقول أنه حاول أن يجعل جلالته يدرك أن العلاقات الانجليزية المصرية مرتبطة حتما بمسألة قطع العلاقات مع فيشى بصفة خاصة . وقال انه عجز عن منع جلالته من توجيه اللوم العنيف الذى وجهه الى رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

ومن ناحية أخرى فقد كان على ماهر — ويؤمن حسنين أن يد على ماهر لها علاقة بالموضوع كله — يرى أن ثمة فرصة من الطراز الأول لاحداث شقاق بين الملك ورئيس الوزراء بأمل وقوع تغيير فى الحكومة قد يكون لصالحه . وقد دفع على ماهر الملك فى هذا الاتجاه .

وقال حسنين أنه ما دام حسين سرى أو وزير الحربية لم يخرجا من الحكومة ، فليس هناك أى خطر بالنسبة لنا ، نظرا لأن قرار قطع العلاقات مع فيشى قائم .

٣ — لم أحاول تخفيف كلماتى وقلت أنه مهما كانت الاعتبارات الدستورية — وهذه نقطة يجب أن أبحثها — وحتى اذا كان حسين سرى قد أخطأ من الناحية الفنية — وهو أمر لا أستطيع ابداء وجهة نظر فيه — فانه يتضح لأقل الناس ذكاء أن مواجهة استقالة أحد الوزراء ، أو احدى الوزارات — بسبب هذه المسألة بالذات — سوف يدفع بنا مباشرة وتلقائيا الى الصورة . وبعبارة أوضح ، فقد كان ذلك دليلا ايجابيا على أنه يقوم بخدمة الملك مستشارون لا يصلحون للقيام بمهمتهم .

وقد أثبت ذلك أيضا أن الملك نفسه لا ينهض بمسئولياته .

وحتى حسنين نفسه — باعترافه — لم يكن حاسما بدرجة كافية .

أصبح الأمر ظاهرا فى ضوء تفسيره — وهو أن هناك مراكز تأثير سيئة فى القصر يجب التخلص منها لأن هذا الوقت ليس مناسبا للمخاطرة بحدوث أعمال تهور طائشة من جانب الملك الشاب العنيد .

واستمر حسنين يتوسل باصرار قائلا أنه لم يحدث أى ضرر وأنه لا ينبغى أن ننظر الى الأمر بخطورة مبالغ فيها .

وقد رفضت أن أتراجع ، وقلت أننى أبلغت المسألة كاملة ، وأتوقع تفويضا فى أى وقت بأن أتولى الأمر وأصر على تطهير القصر من العناصر السيئة . بل أننى أمضى الى أبعد من ذلك .

أليس من المنطقى ، فى ضوء ما كشفه حسنين ، أن يشمل ذلك على ماهر حيث أنه يبدو أن جميع المؤامرات والحوادث ترجع الى نفوذه الشرير . ان هذا كما نعلم ينطوى على مصاعب خطيرة منعا من العمل فى الماضى .

٤ ــ أشرت بعد ذلك الى الأنباء التى تحدثت عن احتمال تغيير وزارى . وأوضحت أنه لا يجب مواجهتنا بأية مفاجآت . فماذا كان على ماهر وأصدقاؤه قد حاولوا استخدام مسألة فيشى لطرد حسين سرى . فقد اختاروا مسألة يجب ــ حتما ــ أن نقف فيها وراء حسين سرى . وقد اعترف حسنين بذلك . وتعهد بأنه بقدر ما يملك من سيطرة على الأمور . فانه لن يحدث أى تغيير دون موافقته .

وأضاف يقول ان كافة الشلل السياسية مجمعة على عزل سرى .. كل منها تأمل أن تحل محله . لقد حاولوا ذلك فى مسأله القطن . وحاولوا فى مسألة القمح . وهم الآن يحاولوا فى مسألة فيشى .

وعدد حسنين أسماء على ماهر ومحمود خليل ونشأت والنحاس بل وأحمد ماهر باعتبارهم الرجال الذين يتطلعون الى مقعد رئيس الوزراء » .

* * *

واذا كان مجلس الحرب قد اجتمع فى القاهرة . فان حكومة الحرب تجتمع فى لندن فى السادسة من مساء الخميس ٢٢ يناير

١٩٤٢ لبحث الموقف على ضوء برقيات السفير البريطانى ولقاءاته بالمسئولين المصريين .. ومذكرة وزير الخارجية البريطانية نفسه المقدمة الى الحكومة .

ولم يكن مجلس الوزراء البريطانى يجتمع بكامل أعضائه لمناقشة كل الأمور .. لقد اختار تشرشل رئيس الوزراء بعض الذين يتولون الوزارات الهامة وشكل منهم حكومة حرب تجتمع مرتين تقريبا كل أسبوع لاتخاذ قرارات عاجلة . وكان يحضر هذه الاجتماعات الوزراء الذين تقتضى الضرورة الاستعانة بهم .

وقد رأس اجتماع ٢٢ يناير تشرشل كما حضر ستة من وزراء حكومة الحرب و ٨ من الوزراء الآخرين والان بروك رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية .

وكان فى جدول أعمال المجلس ١١ موضوعا أولها — كالمعتاد — العمليات العسكرية ثم مشاكل الشرق الأقصى والدومينون وشمال ايرلندا وبورما . أما الموضوع رقم ٦ — فى جدول الأعمال — فهو الحالة الداخلية فى مصر .

ويقول نص محضر حكومة الحرب فى الجزء الخاص بمصر .

قال وزير الخارجية أنتونى ايدن أنه منذ فترة طلب وزير الخارجية المصرى ، بايعاز منا ، من ممثل حكومة فيشى بالقاهرة مغادرة البلاد .

ونتيجة لهذا العمل ، فقد تعرض الوزير للوم شديد من جانب الملك فاروق .

ويعتقد سير مايلز لامبسون أن هذه المسألة ينبغى اثارتها مع الملك . ويجب أن نطلب منه فى نفس الوقت طرد بعض العناصر غير المرغوب فيها من أفراد حاشيته .

وقد أوصت السلطات البريطانية فى مصر باتباع هذا الطريق لأنها تعتقد أن الملك سيوافق على طلباتنا .

وقد وافق وزير الخارجية نفسه على ذلك . ولكنه رأى تحذير مجلس الوزراء فلا يزال هناك احتمال بحدوث متاعب .

وقد قررت حكومة الحرب :

تكليف وزير الخارجية بأن يطلب من السير مايلز لامبسون أن يتصرف بالطريقة المقترحة .

* * *

وهذا القرار فيه اعتراف صريح بأن السفير البريطانى هو الذى طلب من حسين سرى قطع العلاقات .. وأن حسين سرى ومجلس وزرائه وافقوا على ذلك .. بقى بعد ذلك أن يأخذوا رأى القصر .. فلما اعترض ثارت الأزمة وتدخلت حكومة الحرب .. ولكن التفسير ليس هو كل شىء .. ان أهم ما فى هذا القرار أن السفير البريطانى أعطى السلطة ليطلب طرد الايطاليين من القصر .

* * *

وحكاية الايطاليين فى قصر فاروق .. قديمة تكشف عنها هذه البرقية :

مذكرة

مقدمة من وكيل وزارة الخارجية البريطانية المساعد موريس بيترسون

الى وزير الخارجية

بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٤٢

ان النفوذ الايطالى والمحسوبيات غير المرغوب فيها كلها قصص قديمة فى تاريخ القصر فى مصر .

وقد اضطررنا عام ٢٦ الى طرد نشأت باشا . وأقدمنا على عمل مماثل ضد الابراشى عام ١٩٣٤ — ١٩٣٥ .

ورأيي فيمـــا يتعلق بالحالة الراهنة أن أساليب ســـير مايلز لامبسون خاطئة .

ان أسلوب ارسال برقية الى لندن بعـــد كل مقابلة ـــ وهى برقيـــات يتعقبها المصريون الى مكتب التلغـــرافات ـــ ليس هو الأسلوب السليم .

ففي مصر بالذات ، من بين جميع البلاد ، يكسب الرجل الذى يوجد فى الموقع ، والذى يتصرف أولا ثم يرسل البرقيات بعد ذلك، وهذه ميزة تتمثل فى أن المصريين أنفسهم يقتنعون بأنه مطلع على تفكير حكومته.ويتمتع بثقتها دون أن يحتاج الى اجراء مشاورات.
ولكن ينبغى بطبيعة الحال أن نتصرف فى برقيات ســـير مايلز لامبسون ما دامت قد وصلت الينا .

وهنا ، وبعد الحـــديث مع مستر سكريفنر ـــ مدير الشئون المصرية فى وزارة الخارجية البريطانية ـــ فأنى أشعر أن أهم شىء هو تخليص السفير من مسألة قطـــع العلاقات الدبلوماسية مع فيشي وجعله يهتم بذلك الأمر ، غير المرغوب فيـــه ، وهو ايواء الايطاليين فى القصر ، والاحتفاظ بموظف مصرى ـــ عبد الوهاب طلعت ـــ المعتقد أنه وافق أو ســـاعد على توظيف الايطاليين ، وذلك مع استخدام مسألة فيشي لمجرد ايضاح كيف يمكن استغلال هذا الموقف لاثارة أزمة خطيرة لا يمكن احتمالها من حادث تافه نسبيا .

والواقع ، ومهما يقوله الدستور المصرى ، وأنى أشك فى أن له تأثيرا مباشرا ، فمن الواضح أن رئيس الوزراء كان مخطئا فى عدم ابلاغ الملك بقرار الحكومة قطع العلاقات مع فيشي . ولكن سير لامبسون ، ربما يشعر بأنه ليس من المناسب أن نشير سواء للملك أو لرئيس الوزراء بوجهة نظرنا فى هذه النقطة .

* * *

لا مفر أمام هذه الوثيقة من أن نقلب صفحات التاريخ بحثا فى

عهد الملك فؤاد وما كان يجرى فيه . فان مذكرة وكيل الخارجية البريطانية فيها اعتراف .. والحاح على أن ما يجــرى فى قصر فاروق يجب أن يخضع لبريطانيا تماما كما كان الحال فى عهــد الراحل .. أبيه !

ان وكيل الخارجية يعترف بصراحة لوزيره أن بريطانيا هى التى طــردت حسن نشأت باشا رئيس الديوان الملــكى بالنيابة من منصبه .. وهى التى طردت محمد زكى الابراشى باشا ناظــر الخاصة الملكية من منصبه أيضا .

وكان الناس فى عهد فؤاد يطلقون على نشــأت لقب « الملك الصغير » اشارة لأنه ظل الملك فى البلاد .. وعلى العباد .

ووصل الأمر الى الحد الذى جعل عبد العزيز فهمى باشارئيس الأحرار الدستوريين يردد فى خطبه عبارة أصبحت مشهورة .

« حنانيك يا نشأت » ..

وخطب عبد العزيز فهمى فى تلا فى نوفمبر عام ٢٥ يقول « ان حسن نشأت يساوم على الرتب ويتناول أثمانها بحجة مساعدة جمعية الحشرات » .

وفى مذكرات سعد زغلول صفحات كثيرة يتحدث فيها سعد عن نشأت الذى حارب ثروت .. وحارب سعدا وأسس ضد سعد حزبا للملك أسماه حزب « الاتحاد » .

واضطر الانجليز لتخفيف الضغط الشعبى وحتى يظهروا للامة وكأنهم ينقذونها من القصر ورجاله الى أن يطلبوا من أحمد فؤاد طرد نشأت فعينه وزيرا مفوضا فى مدريد . وكان الطرد بواسطة المندوب السامى اللورد جورج لويد .

ويشاء القــدر أن يكون نشأت فى هذا الوقت ــ أى فى يناير ٤٢ ــ سفيرا لمصر فى لندن،لا يعلم بأمر هذه البرقيات ولا المذكرات.

وسنجد فى بعض الوثائق أن النحاس يصرح للسفير البريطانى قائـــلا :

— قل لهم لا تصدقوا نشأت أبدا . انه لا يزال رجل القصر.. انه يمثل فاروق ولا يعبر عن رأيى أبدا .. !

* * *

أما محمد زكى الابراشى باشا ناظر الخاصة الملكية فى عهـــد فؤاد .. فقد ساعد على تنمية الثروة الملكية الخاصة مقابل تدعيم نفوذه فى القصر .. وتدخل فى شـــئون الحكم حتى أصبح مثـــل نشأت ولكن فى فترة أخرى من التاريخ .

والغريب فى حكاية محمد زكى الأبراشى باشا أنه قلد حسن نشأت باشا فى كل شىء .. وكان يخلفه فى المناصب التى تولاها .

كان وكيلا مساعدا لوزارة الداخلية فى عهد سعد زغلول فاتهمه الأحرار الدستوريون بأنه أدى الانتخابات لغير مصلحتهم فساعد مرشحى الوفد .. أو على الأقل لم يساعد الدستوريين .

وعندما استقال سعد انضم الابراشى الى القصر ضـــد سعد فعين ناظرا للخاصة الملكية منذ عام ٢٧ حتى عام ١٩٣٤ .

وقد خلف نشأت باشا فى وقت من الأوقات فى منصب وكيـــل وزارة الأوقاف .. وفى وقت آخـــر خلف نشأت باشـــا فى عمله كمندوب للقصر فى دوائر الوزارة للبحث عن مصادر لزيادة ثروة الملك أحمد فؤاد .

واتسع نفوذ الابراشى فتدخل فى شئون الادارة والوزارة .. حتى أصبح المستشار السياسى للملك ونفوذه على الملك لا ينازعه فيه أحـــد .

ويتدخل السير موريس بيترسون المندوب السامى بالنيابة فى أواخر عام ١٩٣٤ . أثناء سفر السير مايلز لامبسون فى أجازة —

لعزل الابراشي من منصبه كناظر للخاصة الملكية .. ولكن سوء الحالة الصحية للملك فؤاد حال دون عزله من ناحية .. وحد من نشاطه السياسى من ناحية أخرى .

فلما شفى الملك واستقالت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا وأصبح أحمد زيور رئيسا للديوان الملكى .. تدخل السير مايلز لامبسون فى أبريل عام ١٩٣٥ لعزل الابراشى فاستقال وعينه الملك فؤاد سفيرا لمصر فى بروكسل .

وفى سنة ١٩٤٠ يختاره على ماهر ليكون حارسا عاما على أموال الايطاليين .. فان للقصر رجاله لا يتخلى عنهم .. ولا يتخلون عنه ..

.. وفى عام ١٩٤٢ نجد اسم الابراشى يلمع من جديد كأحد مرشحى القصر لرئاسة الوزارة .. !

***

ولم يعترض أحمد فؤاد على عزل نشأت أو الابراشى أوغيرهما من المصريين .

أما فاروق فقد وافق على أن يعتقل الانجليز بعد ذلك على ماهر رئيس ديوانه السابق ورئيس وزرائه السابق ، وتساهل مع الانجليز فى تعيين أو عزل المصريين .. أما بالنسبة للايطاليين فنجد أنه تمسك بهم حتى النهاية ..

***

وتشتد الازمة بين الملك ورئيس وزرائه حسين سرى باشا ..

واصبح السفير البريطاني طرفا رئيسيا فى الأزمة فقد أعطى صلاحيات جديدة من حكومة الحرب ليقف فى وجه الملك ويمنع استقالة سرى وينتهز الفرصة لطرد بوللى وجارو ويحد من نفوذ

على ماهر .. ويطرد عبد الوهاب طلعت رجل على ماهر فى قصر عابدين .. !

والسفير يعرف ويتابع كل التطورات من خلال لقاءاته المتعددة برئيس الديوان وبرئيس وزراء مصر وهو ورئيس الوزراءيزمعان تهديد الملك بتوجيه تهمة الخيانة اليه لاتصاله بحكومة فيشى أو بالألمان .. !

برقية رقم ٣٦٢

بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

عاجل جدا

١ ـ اجتمعت برئيس الوزراء وموقفه واضح . أنه لن يوافق على استقالة وزير الخارجية . وما لم يعد الوزير الى ممارسة كافة مهام منصبه ، فان رئيس الوزراء سيستقيل ظهر الأربعاء ٢٨ يناير « وكان وزير الخارجية قد أوقف بايعاز من الملك عن حضور اجتماعات مجلس الوزراء خلال الأيام الثلاثة الأخيرة ».

٢ ـ قام رئيس الوزراء بتلخيص سير الأحداث كلها منذ البداية لحسنين كي ينقلها الى الملك .

.. كيف تم القضاء على وسائل اتصال القصر بالعدو الواحدة بعد الأخرى حتى لم يعد باقيا سوى مفوضية فيشى . وسيسجل رئيس الوزراء هذه الرواية فى خطاب استقالته ليوضح كيف أنه منذ توليه رئاسة الوزارة حاول جاهدا انقاذ الملك فاروق حتى لا يتهم ـ الملك ـ بالخيانة . وسيوضح رئيس الوزراء أنه لن يضحى بأحد وزرائه لأنه قام ـ بناء على تعليمات منه ـ بالقضاء على آخر صلة مع العدو .

٣ ــ وأضاف دولته أن القصر هو الذى أثار هــذه الأزمة لأن القصر تعمد افشاء الأنباء . وكان الوزير الفرنسى المفوض هو أول من كشف للصحفيين منذ أسبوع عن تدخل الملك .

٤ ــ وقلت لفخامته أننى تلقيت من قبل تفويضا منكم بأن أطلب ابعاد الايطاليين وعبد الوهاب طلعت من القصر .

والآن طرأت من جــديد ، وفى أكثر الاشكال حــدة ، مسألة استقالة الحكومة التى كان حسنين نفسه قد أكد لى ــ يوم الأربعاء ــ أنه تمت تسويتها .

وبالنسبة لى ، فأننى لا أجد بديلا الا اثارة الموضوع عنــدما اجتمع بالملك فاروق وأطرح ثلاث نقاط هى :

(أ) الايطاليون .

(ب) عبد الوهاب طلعت .

(جـ) استمرار هذه الوزارة فى الحكم .

ولكن التعليمات التى لدى لا تشمل النقطة الأخيرة ، وانى آمل أن تشملها عندما تتلقون تقريرى .

٥ ــ ويبدو لى أن العمل الذى أقدم عليــه الملك أمر لا يمكن السماح به مهما كان يحس بأنه بسيط . وآمل أنكم ستفوضوننى بسرعة بضم هذا الموضوع الى الرغبات التى سأبديها لجلالتــه صباح يوم الأربعاء .

٦ ــ سألنى رئيس الوزراء عما اذا كنا مستعدين لضمان تنفيذ أى خط متشدد نتخذه .

أجبت بأنه ليس لدى شك فى هذا الشأن . ولكننى لا أعتقد أن الملك فاروق ــ عندما يواجه بخطورة المسألة ــ سيكون تحت تأثير تضليل يصل به الى حد الرفض . وسلطاتنا العسكرية على علم كامل بطبيعة الحال بالموقف الأخير وبكافة تطوراته منذ البداية .

وقد سألت رئيس الوزراء عن رأيه فى الأثر الذى يمكن أن يحدث فى البلاد أى عمل قوى نتخذه ، اذا اضطررنا الى ذلك ، وهو ما نأمل جميعا مخلصين الا يحدث ؟

أجاب رئيس الوزراء أن التأثير سيكون سيئا لأن الأنباء من الصحراء الغربية لسوء الحظ ليست طيبة وقد ادعى راديو ألمانيا ــ اليوم فقط ــ أنه تم الاستيلاء على ١٤٦ من دباباتنا، الأمر الذى كان له تأثير سيء على الرأى العام المصرى سليم النية ، مهما كان النبأ غير صحيح .

٧ ــ أرجو أن أتلقى تعليمات عاجلة. وما لم أتلق هذه التعليمات فسأتصرف بالطريقة ، سالفة الذكر ، صباح الأربعاء .

وتعرض مذكرة وكيل الخارجية على الوزير ثم تناقشها حكومة الحرب .. ويبدأ البحث عن حل .

ويتلقى السفير البريطانى أوامر محددة .. أن يمنع استقالة حسين سرى بأى ثمن .

برقية رقم ٤٦٧

بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٤٢

من حكومة الحرب

الى السير مايلز لامبسون

عاجل جدا

١ ــ اشارة الى برقياتكم أرقام ٣٦١ و ٣٦٢ ــ بتاريخ ٢٦ يناير ــ بشأن التهديد باستقالة الحكومة المصرية .

انى أوافق على أننا يجب أن نؤيد رئيس الوزراء فى نزاعه الحالى مع الملك .

اننا لا نستطيع السماح باكراه رئيس الوزراء على الاستقالة بسبب هذا النزاع .

٢ ــ اننا نترك الأمر لحسن تقديرك تماما كى تتصرف بما ترى أنه الأفضل ، بشرط المحافظة على المبدأ .

٣ ــ ان وزير الخارجية الحالى ليست له قيمة كبيرة جدا . ولكن اذا كانت استقالته ستؤدى الى :

(أ) استقالة رئيس الوزراء .

أو (ب) ظهور الأمر بمظهر انتصار الملك فاروق .

فانه لا يمكن السماح باستقالة الوزير . واذا كانت الاستقالة ستؤدى الى كلا الأمرين ــ كما يبدو من برقيتكم ــ فلابد من استبعادها .

***

ويلتقى الملك فاروق .. ورئيس وزرائه حسين سرى باشا .. وجها لوجه . ان رئيس الوزراء يستند فى حديثه الى تأييد السفير البريطانى وحكومة الحرب البريطانية .

ونتيجة الحديث ومضمونه يعرضان دائما على السفير حتى تكون لندن دائما فى الصورة .. ولأن رئيس الوزراء مدين للندن ببقائه فى رئاسة الوزارة على حد تعبير سرى باشا نفسه لفخامة السفير!

برقية رقم ٣٨٩

بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

عاجل

١ ــ فيما يلى رواية رئيس الوزراء ــ بكلماته نفسها ــ عن حديثه مع الملك فاروق فى المقابلة التى تمت بينهما فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم ..

٢ ـ أبلغ الملك فاروق رئيس الوزراء بمضمون حديثى مع حسنين .

بدأ الملك القول بأنه على استعداد لارضاء رئيس الوزراء وأن وزير الخارجية سيبقى فى منصبه .

ولكن جلالته طلب ـ محافظة على كرامته ـ أن يبقى وزير الخارجية فى فندق مينا هاوس ـ حيث يوجد الان ـ ولكن مع مواصلة عمله كاملا ، كوزير .

وطلب الملك مساعدة رئيس الوزراء فى مسألة كرامة جلالته . وتوسل اليه أن ينقذ الموقف .

وانتهز رئيس الوزراء الفرصة كى يقول لجلالته انه مستشاره الوحيد . وينبغى أن يكون مستشاره الوحيد . وقال ان الاشخاص المحيطين بجلالته ـ والذين يتظاهرون باسداء النصح اليه ـ انما يفكرون أولا ، وقبل كل شىء ، فى أنفسهم . ولايحملون ولاء له . وذكر رئيس الوزراء على ماهر ومحمود خليل وعبد الوهاب طلعت بالاسم .

وقال رئيس الوزراء ـ رغم أنه لا يتفق مع راى جلالته فى أن يتظاهر وزير الخارجية بالمرض مدة أسبوع : فانه سيحرص على تنفيذ ذلك حتى لا تتعقد المسألة . ولكن جميع الحقوق الطبيعية والمسئوليات الوزارية لوزير الخارجية يجب أن تبقى له .

ووافق جلالته على ذلك .

٣ ـ ثم جاءت النقطة الثانية ، وهى النقطة المتعلقة برغباتنا . تحدث الملك طويلا عن اخلاص رئيس الوزراء له . وطلب منه باسم هذا الاخلاص انقاذ الموقف .

أجاب رئيس الوزراء أنه مستعد لأن يفعل ذلك ويحاول تسوية الامر معنا بشرط ألا تكون هناك محاولات خداع جديدة فى المستقبل ، وأن يدرك جلالته أن أى ملك ليس من حقه أن يلعب بالنار :

١ — من أجل نفسه .

٢ — ومن أجل أسرته .

وطلب جلالته المساعدة لاخراجـــه من موقف يدرك خطورته الكاملة .

٤ — قال رئيس الوزراء أنه بين نارين . ولكنه انتهى الى أننا — هو ونحن — يجب أن نعطي الملك فاروق فرصة أخرى . وأنه لا ينبغي اثارة الرغبتين اللتين طلبناهما فورا . ولكن رئيس الوزراء « سيعمل علىتنفيذهما باعتبارهما مسألة داخلية . . دون تدخلنا » .

وقال انه واثق من أننا متلهفون مثله على تنفيذ رغباتنا بهدوء بدلا من تدخلنا المباشر .

وكانت آخر كلمات رئيس الوزراء لى :

« اعطونى فرصة » .

٥ — قلت لرئيس الوزراء أن ما قاله لى أدى بوضوح الى تهدئة الموقف بشكل ملموس . ولكن التعليمات التى لدى لا تزال قائمة كما سبق أن قلت لحسنين هذا الصباح . واننى سأبعث اليكم بتقرير على الفور . وقلت له أنه مما يساعدنى على ذلك أن أعرف الوقت الذى يقدره للوفاء بتعهده لى بتنفيذ رغباتنا ؟

قال رئيس الوزراء أنه يخشى الا يستطيع تحديد ذلك ، وقـــد يستغرق الأمر بعض الوقت . وأعرب عن أمله فى أن « ننبهه » من حين لآخر .

٦ — قلت ردا على أسئلة رئيس الوزراء اننى لا ينبغى أن الح الآن من أجل الاجتماع بالملك فاروق صباح غد . ولكن لمـــاذا لم يفعل جلالته شيئا لطيفا يظهر به اخلاصه لنا — لحلفائه » .

انني لا أستطيع أن أتذكر عملا واحدا — باستثناء هدية مالية صغيرة — من جانب جلالته منذ بدأت الحرب .

ولقد قلت لحسنين هذا الصباح اننى وكثيرين غيرى نشعر بالاشمئزاز لهذا الموقف . لقد كان من السهل على جلالته أن يقدم على عمل ودى ما . لـمـــاذا مثلا لا يعرض قصر القبة . الذى لا يستخدم الان ، ليعد كمستشفى عسكرى بريطانى ؟ ومن المحتمل أننا لسنا فى حاجة اليه ، ولكن العرض سيكون لفتة طيبة .

٧ ــ تعليقى على هذا أنه من الأفضل الان أن نصدق كلمات رئيس الوزراء ونلزمه بها ونرى مدى نجاحه فى تنفيذ رغباتنـــا باخراج الايطاليين الذين يعملون فى القصر « بما فى ذلك بوللى » وعبد الوهاب طلعت .

هل توافقون على ابلاغه ذلك ؟

٨ ــ ان رئيس الوزراء يشكر كثيرا تأييدنا .

ويتكرر لقاء السفير برئيس الديوان ..

ويقول حسنين :

ــ لـمـــاذا تربطون أنفسكم بجثة ؟

.. يقصد الوزارة .

ويستمر حسنين :

ــ ان البلاد كلها ضدكم ..

يجيب لامبسون :

ــ انى مقيد بتعليمات حكومتى .. اننا نؤيد باخلاص رئيس الوزراء لوزير الخارجية وارتباطه به . ان الموضوع الاساسى الان هو حماية وزير الخارجية . والرأى العام يعرف ذلك ويجب أن نربح نحن هذه القضية ونؤجل اخراج الايطاليين من القصر بعد مهلة محددة .

ويعد حسنين السفير بأن الملك سيسترضى رئيس الوزراء !

وأمام هذا الوعد يذهب السفير البريطانى فى رحلة صيد . وقبل قيامه بالرحلة يقول لحكومته :

« جاءنى سرى باشا وقال .. دعنا ننتظر حتى عيد ميلاد الملك يوم ١١ فبراير » !

ولكن الأمور تتعقد فجأة .

ولا يستطيع أحد — بما فى ذلك رئيس الوزراء — أن يتصرف الا بعد استشارة السفير .

وما دام السفير فى رحلة صيد فلابد من استشارة من يحل محله فى السفارة .. مستر شون الوزير المفوض !

وبدلا من أن يذهب سرى الى مستر شون كما يفعل مع كيلرن .. فانه يستدعيه الى مكتبه .. وهذا هو الفرق الوحيد بين معاملة رئيس الوزراء للسفير ومعاملته لنائب السفير !

قال سرى لمستر شون :

— لقد التقيت بالملك .. وقلت له انى سأتحدث اليك — الى الملك — كخالك — باعتباره زوجا لخالة الملكة — لا كرئيس للوزارة .

وعلى الفور قام الملك « يقابلنى ويعانقنى ويشكرنى » .

ويستمر سرى يصف الموقف للمستر شون .. قلت للملك :
ان كل رجال القصر يضاعفون جهدهم ضدى .. على ماهر ورجاله . انهم يحركون مظاهرات الطلبة . وانى لا أتهم الملك بذلك ولكنه لم يفعل شيئا لوقفها . وبالاضافة الى على ماهر هناك الشوربجى — الوزير السابق — والشيخ المراغى .. شيخ الجامع الازهر .

ويتهدج صوت حسين سرى قائلا لشون :

ـــ لقد عملت باخلاص لتنفيذ المعاهدة لا حرصا على مصالح بريطانيا وانما من أجل مصر .

والان سأستقيل يوم ٢ أو ٣ فبراير على الأكثر .

ويستدعى شون .. سفيره الى القاهرة .. وفى نفس الوقت يبرق بكل التفاصيل الى لندن .

واذا كان رئيس الوزراء لا يتصرف الا بعد استشارة شون .. فاننا سنجد أن الملك نفسه بعد عامين عندما أراد اقالة النحاس من الوزارة وكان السفير فى أجازة . استدعى مستر شون ليسأله الرأى !! فليس المهم أن يستشار سفير بريطانيا .. وانما المهم أن يستشار ممثل بريطانيا على أى مستوى !

* * *

ويبقى سؤال حسنين للانجليز :

ـــ لماذا تربطون أنفسكم بجثة ؟

يقصد وزارة حسين سرى كلها !

من الإنذار .. إلى الحصار

فى برقية من وزارة الخارجيـــة البريطانية الى السير مايلز لامبسون السفير البريطانى .

قالت الوزارة :

هذه الأزمة تافهة .

تشير بذلك الى مسألة قطع أو وقف العلاقات مع حكومة فيشى .

وعندما كتب السير موريس بيترسون الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية الى أنتونى ايدن يقول :

أسلوب السير مايلز لامبسون .. خطأ .

أشر ايدن على المذكرة قائلا :

« ان السير مايلز لامبسون التزم فى حديثه مع أحمد حسنين بضرورة تطهير القصر من العناصر غير المرغوب فيها .. ويجب أن نسانده فى ذلك ..!

* * *

وأنتونى ايدن يكتب لسفيره قائلا :

« ان وزير الخارجية ـ صليب سامى ـ ليس بذى قيمة على الاطلاق .. !

والحكومة البريطانية ترى أن سرى أخطأ من الناحية القانونية .. أو الدستورية فى عدم استشارة الملك مقدما ..

ورغم هذا كله فان التحدى الجديد يدخل مرحلة الصراع .

* * *

ولم يكن رأى الحكومة البريطانية فى وزارة حسين سرى طيبا بحال ..

- ان سكريفز مدير القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية يكتب يوم ٢٢ يناير الى وزير الخارجة قائلا :

ـ لست مقتنعا بأن ذهاب وزير الخارجية يجب أن يثير أزمة .. ان محك الموضوع هو سلامة قاعدتنا فى مصر .

- ويكتب سكريفز قائلا :

ـ ان سرى باشا يلجأ للاختباء وراء وزارته اذا اضطر لاتخاذ قرار صعب .. وهو نفسه لا يريد اتخاذ قرار .

- ويكتب سكريفز :

ـ ان سرى باشا يلجأ دائما الى القصر .

والتقييم الدورى فى وزارة الخارجية البريطانية لأعمال وزارة سرى يشير الى أنها فشلت فى حل مشاكل التموين وأجلت الانتخابات البلدية ، وأنها فى طريقها الى تأجيل الانتخابات النيابية .. وأن سرى باشا فى موقف الضعيف العاجز وأنه يدلى أمام البرلمان بمعلومات متضاربة بالنسبة للمشروع المقدم من الحكومة والخاص بتحديد المساحات التى تزرع قطنا » .

ولكن حسين سرى فى هذه الفترة يصبح طرفا مع السفير البريطانى ضد فاروق .. انه يعتمد نهائيا على تأييد السفارة .. كما تثبت وتؤكد البرقيات .. والوثائق .

ويصبح السفير البريطانى ملتزما بالدفاع عن الجثة .. اى وزارة حسين سرى باشا .

ولكن سرى باشا يصمم على الاستقالة ..

* * *

فى مذكرات السير مايلز لامبسون بتاريخ أول فبراير .. وكان فى كوم أوشيم كتب يقول :

« قابلت سرى باشا فى منزله فى التاسعة والربع مساء . لقد ترك سرى باشا مأدبة عشاء ليجتمع بى .. وقال :

ــ ظننت انى نجحت فى التغلب على الأزمة . .فقد رحب الملك باقتراحى بالنسبة لوزير الخارجية .. كما أنكم واعقتم على ان أتولى ــ بالنيابة عنكم ــ طرد غير المرغوب فيهم من رجـــال القصر .. عبد الوهاب طلعت .. والايطاليين فى الموعد المحدد .. اى فى ١٥ فبراير بعد عيد ميلاد الملك بأيام .

ولكن فى الصباح التالى قامت مظاهرات طلبة الأزهر والمسئول عنها هو الشيخ المراغى ــ يقصد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر ــ الذى يتحرك بتنسيق مع على ماهر وغيره من العناصر الشريرة .

وقد أبلغت المراغى أننا لن نفعل شيئا ضد الأزهر اذا اقتصر على النشاط الدينى .. اما اذاتجاوزه الى النشـــاط الســـياسى والاشاعات والأقوال الضارة فانى لن أتردد فى الاستعانة بالبوليس ليتصرف ويتخذ الاجراءات المناسبة .

وطلبت من المراغى التدخل لمنع هذه المظاهرات فوافق .

ولكن العناصر الشريرة نقلت نشاطها الى جامعة القاهرة فكانت هناك مظاهرات وشعارات معادية للانجليز .

وعندما علمت هذا كله اتصلت بحسنين وأبلغته أنى مستعد لقمع هذه المظاهرات بشرط أن أتلقى تأكيداً بأن الملك يساندنى .

وأمهلت حسنين .. فاتصل بى — بعد الظهر — ليبلغنى أنه ليس للقصر شأن بذلك . وانى — أى سرى — حر فى أن أفعل ما أراه .

.. وهذه الكلمات تعتبر اشارة واضحة الى أن الملك لم يعد يساندنى ويؤيدنى .

وعلى ذلك اجتمعت بالدكتور أحمد ماهر رئيس حزب السعديين ومحمد حسين هيكل زعيم الأحرار الدستوريين .. وهما الحزبان المشتركان فى الوزارة وأبلغتهمـــا انه لا مخرج أمامى .. الا الاستقالة .

وقد طلبا الى الاستمرار فى الحكم أسبوعين .. وفى الوقت نفسه لم يتمكنا من أن يضمنا لى تأييد اتباعهما فى البرلمان .

قلت لهما :

— هذا سيؤدى بوضوح الى جرجرتنا .. فى الوحل .. ولا أرضى بذلك لنفسى .. أو لهما ..

وباتفاق معهما ابلغت حسنين ظهر اليوم — الأحد أول فبراير — أنى سأستقيل لأن الملك سحب تأييده لى .

وأضاف سرى وهو يتحدث للسفير البريطانى :

— ان قرارى نهائى وأرجوك الا تحاول اقناعى بالعدول عنه .

أجاب السفير :

ـــ لا فائدة من ذلك .

واستمر لامبسون يكتب فى مذكراته قائلا :

ـــ أبديت لسرى باشا أسفى الصادق وسألته عمن تقترحه خليفة لك .. فلا يوجد رئيس وزراء يستقيل الا وفى ذهنه من يخلفـــه .

فاقترح سرى ٣ أسماء :

بهى الدين بركات .

محمد حسين هيكل .

أحمد ماهر .

ضحكت وقلت :

ـــ لا أظنك جادا .

بركات لن يكون .

وهنا لابد أن نذكر أن بهى الدين بركات كان معارضا لمعاهدة ١٩٣٦ .

وهيكل ليس شخصية .

وأحمد ماهر خارج الحلبة فقد أصيب بأزمة قلبية خفيفة .

سألته :

ـــ ما هو تفكيرك الحقيقى .

أجاب سرى بلا تردد :

ـــ ارسل فى طلب الوفد .

قلت له :

— هذه فرصة للعقول الكبيرة لتفكر تفكيرا متشابها .. فانى قبل أن أحضر اليك وصلت الى نفس النتيجة .. وهذا الاقتراح يزداد قوة فى نفسى ما دمت تؤيده .

وبناء على طلبى وضعنا جدولا مشتركا .

قال سرى انه سيؤجل اجتماعه بالملك حتى ظهر الثلاثاء ٣ فبراير .

قلت له :

— سأقابل الملك قبل اجتماعه بك .

ولكنه رجانى الا افعل لأن ذلك سيسبب له حرجا .

واقترح رئيس الوزراء أن أقابل الملك فى الواحدة بعد الظهر أى بعد ساعة من استقالته .

وقال لى سرى باشا .

— ان الملك فى أول الأمر .. وبعد أن وافق على عدم استقالة صليب سامى بك قال له .. أى لصليب سامى .

— ان السير مايلز لامبسون ربح الجولة الأولى ، ولكنى سأقتله فى الجولة الثانية .. كش !

اشارة الى أن الملك والسفير يلعبان الشطرنج .. وهى اللعبة التى تنتهى بقتل الملك .

وافترقنا .. بعد أن أكدت لحسين سرى مرة أخرى .. صداقتى واعجابى ! .

* * *

وحتى نعرف الفرق بين مذكرات السفير .. والوثائق المحفوظة فى لندن لابد من نشر نص البرقية التى بعث بها السفير فى نفس

اليوم — أول فبراير — عن نتائج اجتماعه برئيس الوزراء حسين سرى .

.. المذكرات فيها اسهاب .. والوثائق مركزة لأنها ترسل كبرقيات .

وفى المذكرات حوار بين السفير والمسئول المصرى واستطلاع للرأى .. ومناقشات ..

وفى البرقيات يبدو السفير وكأنه يتحدث الى المصريين بلهجة الأمر .. وبلا مناقشة .

ولكن مضمون المذكرات والوثائق واحد .

.. كيف يستقيل رئيس وزراء مصر .. بالاتفاق مع السفير

.. وكيف يفرض على الملك .. وعلى مصر .. رئيس وزراء مصرى .. بالاتفاق — أيضا — مع السفير !!

* * *

برقية رقم ٤٤٣

بتاريخ أول فبراير عام ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

عاجل جدا

١ — اجتمعت برئيس الوزراء الذى أكد كل ما قاله لمستر شون . وأوضح أنه مصمم على الاستقالة .

وطبقا لما قاله ، فان لديه كل مبرر للاستقالة بسبب الخداع الثابت بالأدلة من جانب الملك فاروق منذ آخر مرة لقيت فيها حسين

سرى . وبسبب مؤامرات مجموعة على ماهر التى رفض الملك أن يكبح جماحها .

٢ ــ بعد أن أعربت عن أسفى سألت رئيس الوزراء عن أفــكاره فيما يتعلق بخليفته واستبعدت أسماء سبق ذكرها أمام مستر شون « بركات وأحمد ماهر وهيكل » باعتبارها شخصيات غير مناسبة لسبب أو لآخر .
سألته :

ــ ماذا تعتقد حقــا ؟

أجاب على الفور :

ــ ارغموا الملك فاروق على أن يستدعى الوفد .

أبلغت فخامته أن هذا بالضبط هو ما وصلنا اليه .

٣ ــ وبناء على ذلك اتفقنا على أن أصر ــ بعد تقديمه الاستقالة بنصف ساعة ــ على الاجتماع بالملك فاروق كى أبلغه أن يستدعى النحاس فورا .

وقلت لفخامته :

ــ اذا رفض الملك فاروق فمن المؤكد أن يؤدى ذلك الى أوخم العواقب .

قال رئيس الوزراء أنه يعلم ذلك . ولكن هذه هى الطريقة الوحيدة لانقاذ الموقف وهى فى نفس الوقت ، الأمل الوحيد ، ليحتفظ الملك فاروق بعرشه .

٤ ــ أن يقدم رئيس الوزراء استقالته قبل ظهر يوم الثلاثاء .. بناء على طلبى .

* * *

ولكن فى الصباح التالى ٢ فبراير .. يتصل سرى بالسفير فى الصباح المبكر وهو يتناول طعام افطاره .. ليقول له انه أصبح

مكتوف الايدى .. وأنه يجب أن يقدم استقالته فى الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر اليوم نفسه — ٢ فبراير — .

ويتصل السفير بحسنين باشا رئيس الديوان الملكى ليطلب موعدا من الملك فى الواحدة بعد الظهر .. اى بعد نصف ساعة من مقابلة رئيس الوزراء للملك .. فان السفير يفرض « مدة » لقاء الملك برئيس وزرائه .. ويفرض أيضا « موعد » مقابلته هو للملك !

ويجادل حسنين ..

ولكن السفير يتحدث اليه بخشونة .

.. وبعد قليل يتصل حسنين بالسفير ليحتج على الاسلوب ، والطريقة التى يفرض بها السفير نفسه على الملك .

ولكن مايلز لامبسون لا يعبأ بالاحتجاج ويقول لرئيس ديوان فاروق :

— اذا لم أسمع منك مرة أخرى .. فسأكون فى القصر عندما تدق الساعة .. دقة واحدة !!

ان الأزمات الداخلية العنيفة هى التى أدت بسرى الى التعجيل بتقديم استقالته ..

خرج الطلبة فى القاهرة والزقازيق يهتفون :

عاش روميل .. والى الأمام يا روميل .. و .. أقبل يا روميل .. و .. حذاء فاروق فوق رأسك يا جورج .. ملك بريطانيا .

ولا أحد يعرف من الذى حرك المظاهرات .. هل هو الملك .. هل هم الانجليز .. هل هو الوفد .

والسفير لا يهتم الا بأن هناك مظاهرات .. وأن المواقف تتطور بسرعة .

ويبدأ الناس تخزين الطعام .

وتحدث أزمة خبز ، ويهجم الناس على المخابز ، ويتخاطفون الأرغفة من حامليها فى شوارع القاهرة !

ويحطم المتظاهرون صور ملك بريطانيا ويدوسونها بالأقدام !

* * *

● برقية رقم ٤٨٨ فى ٢ فبراير

أبلغنى حسين سرى رئيس الوزراء أنه سيقدم استقالته الى الملك فاروق فى الثانية عشرة والنصف بعد ظهر اليوم . وقد طلبت الى حسنين أن يرتب لى موعدا مع الملك فى الواحدة .

اعترض حسنين لأن اجتماعى بالملك سيثير الرأى العـــام باعتباره تدخلا بريطانيا فى شئون مصر .

وقال ان هناك محاولات لتشكيل حكومة وطنية .

ولمـــا كان هناك خطر أن نواجه بتشكيل حكومة يرأسها أحد رجال على ماهر . وقـــد استشار الشوربجى فعــلا الاحرار الدستوريين فى مدى استعدادهم للاشتراك فى مثل هذه الحكومة. فقد أصررت على الاجتماع بالملك .

وقد نوقش الموقف كله فى اجتماع رأسه وزير الدولة البريطانى المقيم فى الشرق الأوسط وقائد القوات البريطانية .. وانا .

وأوضح الاجتماع أن توقيت وترتيب الأزمة الحالية جـــرى بواسطة عناصر معادية لبريطانيا لتستغل متاعبنا الحالية فى الشرق الاقصى وفى ليبيا . واذا لم نظهر حزما فان البلاد ستبقى تحت تأثير هذه العناصر .

واذا أرغمنا الملك فاروق على استدعاء النحاس فمن الصعب

على جلالته أن يرفض أو يفرض حكومة أقلية جديدة ضدنا وضد الحزب الشعبى « الوفد » .

وتم الاتفاق على أن أقابل الملك فاروق فى الواحدة بعد الظهر وأبلغه ما يلى :

١ — يجب أن تحصل على حكومة مخلصة للمعاهدة تطبق روحها ونصها وبالذات المادة الخامسة .

٢ — يجب أن تكون هذه الحكومة قوية تستطيع أن تحكم ويكون لها تأييد شعبى كاف .

٣ — هذا يعنى أن يستدعى النحاس باشا باعتباره زعيما لحزب الاغلبية ويستشيره فى أن يشكل الحكومة الجديدة .

٤ — سأطلب أن يتم ذلك ظهر غد .

٥ — سأعتبر جلالته مسئولا عن أى اضطرابات تحدث .

هذه هى أقوال حسين سرى أمام السفير البريطانى ..

ماذا عن أقوال حسين سرى أمام القضاء .. وهى التى أدلى بها فى قضية أمين عثمان بعد أن أدى اليمين القانونية .

* * *

اننا قبل أن نمضى فى رواية الأحداث .. لابد أن نعرض لأقوال سرى حتى تتضح الفروق الضخمة فى الاقوال .. والأفعال ..

ولقد كانت قضية اغتيال أمين عثمان نوعا من المحاكمة لكل زعماء مصر ..

كانوا هم — تقريبا — المتهمين الحقيقيين ولكنهم لا يقفون فى قفص الاتهام .

ولم تكن تهمتهم — مثل المتهمين الحقيقيين — اغتيال أمين عثمان .. بل كانت تهمتهم الاشتراك فى اغتيال التاريخ السياسى المصرى !

وكان حسين سرى متهما أساسيا .. أو فاعلا أصليا اذا أخذنا بالتعبيرات القانونية .

سئل حسين سرى عن المظاهرات فقال :

ـــ من حسن السياسة أن يترك الحاكم العسكرى فى بعض الأحيان صمامات الأمن مفتوحة .. واذا تأكد المسئول أن قيام بعض المظاهرات ، ليست مهمة من الوجهة السياسية فانه يتركها حتى يتنفس الناس قليلا .. ولم تكن المظاهرات بأكثر من ذلك .

سأله الدفاع :

ـــ لماذا استقلت من رئاسة الوزارة فى عام ١٩٤٢ .

قال :

ـــ حدث خلاف فى وجهة النظر بينى وبين الحزبين المشتركين فى الوزارة : فيما يتعلق بالسياسة العامة .. فكان لابد أن أستقيل !

قيل له :

ـــ ألم يكن للانجليز تأثير فى الاستقالة ؟
أجاب عن السؤال بسؤال آخر :

ـــ انجلترا لها تأثير فى الاستقالة .. لم أفهم هذا السؤال !

أعاد الدفاع سؤاله بطريقة أخرى :

ـــ ألم تتخذ اجراءات من جانب انجلترا من شأنها صعوبة أو استحالة استمراركم فى الحكم ، وطلبات لم تكن فى صالح مصر .

يتهرب من الجواب .. قال :

ـــ هذا سر من أسرار الدولة وواجبى الا أشير اليها .

ويسأله المحامون :

ــ قال رئيس الوزراء السابق على ماهر باشا أن أمين عثمان أخبره أنك عرضت عليه أن يتولى وزارة المالية فى أواخر أيام وزارتك .. وأن على ماهر سأل أمين عثمان قائلا :

ــ هل استشرت السفير البريطانى .

فرد أمين عثمان قائلا :

ــ ان السفير قال له لا تقبل لأن وزارة سرى باشا تتهاوى .

وقال على ماهر ان السفير عرض على أمين عثمان أن يكون وزيرا فى وزارتك .

أجاب سرى :

ــ أنا أرفض أن يكلمنى سفير فى أن آخذ أحد .. وزيرا معى.

سئل :

ــ هل حدث خلاف بينك وبين السفارة بخصوص تنفيذ المعاهدة

قال سرى باشا :

ــ سأرد بنعم بشرط ألا يعقب هذا الجواب أى سؤال آخر .

ــ هل أثرت هذه الخلافات على الصلات بينك وبين السفير ؟

ــ لاشك أنها تركتِ بعض الأثر .

ويعود الدفاع يحاصر سرى باشا محاولا الوصول الى الحقيقة:

ــ قلت ان الاستقالة سببها الخلاف بين الحزبين المشتركين فى الحكم ؟

ــ نعم .

ــ هل اتصل بك السفير .. اثر المظاهرات أو بسببها ؟

ـــ لم يحدث .

ـــ هل لهذه المظاهرات أى أثر فى حادث ٤ فبراير .

ـــ لا أعتقد ، ولم يطلب منى أحد مطلقا ، أو يكلمنى أحد فى هذه المظاهرات .

ـــ هل كنت تنفذ المعاهدة أثناء توليك الوزارة .

ـــ كنت أنفذ المعاهدة تنفيذا تاما .

واجابة سرى باشا بالنسبة للسؤال الأخير .. هى أصدق اجابة أدلى بها أمام المحكمة .. أما فى باقى الأسئلة فان سرى باشا لم يكن يعلم أن السفير البريطانى كان يبعث الى حكومته ببرقيات تفصيلية سيجىء يوم تنشر فيه !

ان حسين سرى أدلى بشهادته فى جلسة ١٣ يناير ١٩٤٨ .. نفس الأيام تقريبا من نفس الشهر التى شهدت تردد حسين سرى بين رئاسة الوزارة .. ومقر السفارة .. ولكن قبل ٦ سنوات !

وأثناء الشهادة كان حسين سرى يتمسك بانه لا يستطيع افشاء أسرار الدولة .

وكان يسأل رئيس المحكمة اذا كان من حقه أن يجيب ، أو لا يجيب ، فاذا قال له رئيس المحكمة عبد اللطيف محمد أنه حر فى الاجابة ، أو الصمت ، التزم الصمت !

.. ولكن هذه الشهادة من جانب سرى تفسر شيئا واحدا .

انها توضح السبب فى أن حسين سرى شكل الوزارة ، أو أعاد تشكيلها ٤ مرات .. وأنه وهو يشهد أمام القضاء كان يعرف أن القصر ـــ سنة ١٩٤٨ ـــ وأن السفير البريطانى يملكان تعيين رؤساء الوزارات فى مصر !

***

Registry Number J [illegible]/38/16.

TELEGRAM FROM [illegible], Cairo.

No. [illegible].

Dated [illegible] Feb. 1942.

Received in Registry [illegible] Feb. 1942.

[illegible] Egypt and Sudan.

Cabinet Crisis in Egypt.

Refers to Cairo telegram 442 (J 514/38/16).
Prime Minister is determined to resign, the duplicity of King Farouk had been proved and he had not restrained Ali Maher and his associates in any way. As regards his successor Prime Minister said "force King Farouk to send for Wafd" this was His Majesty's Ambassador's own conclusion. It was arranged that His Majesty's Ambassador should see King Farouk half anuhour after Prime Minister [illegible] his resignation. If he refused grave consequences would ensue but this was only way to save [illegible]. Prime Minister will hand in his resignation at noon. Minister of State concurs.

Last Paper.

(Minutes.)

See within. [signature] 2/2.

References.

(Print.)

(How disposed of.)

(Index.)

Next Paper.

سرى باشا هو اول من اقترح تعيين النحاس رئيسالوزراء :

Minutes.

THE EGYPTIAN CRISIS

Sir M. Lampson's telegrams Nos. 441, 442, 443.

We have reached stage 1 in my cycle at which the joint Prime Minister of ourselves and the Palace is at long last knifed in the back by the King. The point immediately raised in these Cairo telegrams is that the Ambassador and Egyptian Prime Minister wish to skip stage 2 (appointment of a purely Palace Government because we feel inclined to let the King get himself out of his own mess) and pass straight to stage 3, the calling in of a full-blown Wafdist administration.

I think that both Husain Sirry and possibly Sir Miles Lampson are to some extent actuated by their personal - and very well-founded - mistrust and dislike of Ali Maher, who seems to be the King's most likely choice should His Majesty be left to himself. In the Ambassador's case, these feelings are no doubt all the more marked because only a few years ago Ali Maher was not far from being the light of his eyes.

The advent of a Wafdist Government to power in the middle of a war is not an event which we can view without real apprehension. I don't think Sir Miles Lampson has ever had to deal with a purely Wafdist Government, and I need hardly emphasise that the behaviour of Nahas Pasha, at the time when at the head of United Egypt he signed the Treaty, affords absolutely no criterion of what his conduct is likely to be as a party Prime Minister in post-Treaty Egypt. On this I feel great uneasiness. We can no doubt handle the situation should it develop straightforwardly and immediately on the lines sketched in these Cairo telegrams - the really serious thing is the evident feeling in Cairo that the King's propaganda has already gained such strength that only the counter-wave of the Wafd can stand up to it - but if time, opportunity and the discretion which we must leave the Ambassador permit, I should myself like to see the situation rather differently handled.

Hence the draft telegram which I attach.

2nd February, 1942.

كان هناك اتجاه في وزارة الخارجية البريطانية يعارض النحاس .

ونعود الى الأحداث ونتابعها صباح الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ .

حسين سرى سيقدم استقالته الى فاروق فى الثانية عشرة والنصف بعد الظهر .

ولامبسون سيقابل فاروق فى الواحدة وسيطلب اليه أن يستدعى مصطفى النحاس .

هذا هو الموقف فى القاهرة .

ما هو موقف لندن .

ما رأى سكريفز مدير القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية وما رأى السير موريس بيترسون وكيل الخارجية المساعد .

وما رأى السير الكسندر كادوجان وكيل الوزارة :

وأخيرا موقف أنتونى ايدن وزير الخارجية والذى فكر قبل ذلك فى عزل فاروق .

لابد من متابعة البرقيات بين القاهرة ولندن وبالعكس .

ولابد من متابعة المذكرات المتبادلة بين القسم المصرى فى وزارة الخارجية .. ثم وزير الخارجية .

ولابد من قراءة محاضر اجتماع مجلس وزراء حكومة الحرب برئاسة تشرشل فان كثيرا من القرارات الخاصة بمصر .. صدرت فى لندن .. أصدرها مجلس وزراء الحرب .. ونفذها المسئولون هنا فى القاهرة .. فى ذلك الزمان .

* * *

فى مذكرة كتبها السير موريس بيترسون فى ٢٧ يناير ١٩٤٢ . والمنشورة فى الفصل الثانى من هذا الكتاب تحدث عن التسلسل

المعتاد للتغييرات السياسية في مصر أو تتابع الوزارات المصرية .

ويوم الاثنين ٢ فبراير يكتب بيترسون مذكرته الثانية عن تسلسل تتابع الوزارات في مصر .

قال :

يمر الحكم في مصر بدورات ثلاث ، كما قلت من قبل :

١ — رئيس وزراء مقبول منا .. ومن الملك .

٢ — رئيس وزراء من رجال القصر .

٣ — حكومة شعبية .

ولقد وصلت الأمور الآن في دورة الحكم في مصر الى نهاية المرحلة الأولى .. وهي أن رئيس وزراء مصر المقبول لدينا .. والمقبول لدى الملك .. قد تلقى أخيرا طعنة في الظهر من جانب الملك .

والدورة .. أو النقطة الثانية التي تثار الآن — وفورا — هي أن السفير ورئيس الوزراء المصري يريدان تجاوز المرحلة الثانية — تعيين وزارة كاملة من رجال القصر لأننا نرغب في أن ندع الملك يخرج بنفسه من ورطته — والمضي قدما الى تعيين وزارة وفدية خالصة .

وأعتقد أن حسين سري ، وربما السير لامبسون أيضا ، متأثران الى حد ما بكراهيتهما الشخصية لعلي ماهر وعدم ثقتهما به . وهما أمران يقومان على أسس جيدة جدا — وهو أن — علي ماهر — هو الشخص المرجح أن يعينه الملك رئيسا للوزارة .. اذا ترك وشأنه .

وبالنسبة للسفير فان مشاعره تزداد حدة لأن علي ماهر ، كان حتى سنوات قليلة .. قرة عين السفير .

ان تعيين حكومة وفدية خالصة ، ونحن فى زمن الحرب ، هو أمر يجب أن ننظر اليه بتخوف حقيقى .

ان السير لامبسون لم يسبق له أن تعامل مع حكومة وفدية خالصة .

وأحب أن أذكر أن سلوك النحاس باشا عندما كان رئيسا لهيئة المفاوضات المصرية التى ضمت كل الأحزاب ووقعت معاهدة ١٩٣٦ .. هذا السلوك لا يلقى الضوء ، ولا يصلح معيارا ، لسلوك النحاس كرئيس وزراء حزبى فى مرحلة ما بعد المعاهدة .

وانى لا أشعر بارتياح كبير لهذا كله .

ونحن نستطيع أن نعالج الموقف اذا تطور وذلك على هدى برقيات السفير .

والواضح أن دعاية الملك قد اكتسبت قوة .. والوفد وحده هو الذى يستطيع مقاومة تلك الموجة العارمة من الدعاية للملك .

ولكن ..

اذا اتسع الوقت والظروف ، وحرية التصرف يجب أن ندعها للسفير فانى أرجو لو عولجت الأمور بطريقة أخرى ..

وهذه المذكرة تظهر عدة حقائق :

***

● أن هناك تيارا فى وزارة الخارجية البريطانية يتمسك بالعداء التقليدى البريطانى للوفد .. ويعارض التقارب بين لامبسون والنحاس .

● أن لامبسون كان يساند على ماهر قبل سنوات .. ولذلك لم يتخذ موقفا عدائيا منه عندما ساعد — أى على ماهر — على اقالة النحاس عام ١٩٣٧ .

ولكن الأمور تنطلق فى اتجاهها المحتوم ، ولا يستطيع أحد وقفها .

***

استقال سرى ..

واجتمع لامبسون بفاروق ثم بعث لحكومته محضر الاجتماع .

برقية رقم ٤٤٩

بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

عاجل

فى الساعة الواحدة بعد الظهر استقبلنى الملك فاروق . وكان وديا أكثر من المعتاد .

٢ — أوضحت لماذا طلبت هذا الموعد العاجل .

قلت :

— لقد استقال سرى باشا منذ قليل . ومن الضرورى بالنسبة لى كممثل للحلفاء فى مصر أن أتأكد انه لن يعين شخص لا تتوافر فيه الصفات التى تؤهله لتنفيذ التزامات المعاهدة على الوجه الأكمل .

٣ — قدمت اليه النقاط الأربع التى ذكرتها فى برقيتى رقم ٤٤٣.

وقرأت له المادة الخامسة من المعاهدة كيلا يكون لديه أى شك.

٤ — وافق جلالته — دون تردد — على أن النقطتين الأولى والثانية نقطتان أساسيتان ومناسبتان .

وبالنسبة للنقطة الثالثة فقد قرر بالفعل الاجتماع بالنحاس .

واشار الى انه يعمل فى سبيل تشكيل حكومة وطنية ..

واعترف بأنه لا يعرف شخصا ــ غير النحاس ــ يستطيع أن يرأس مثل هذه الحكومة .

وقال ان علاقاته بالنحاس ــ لحسن الحظ ــ افضل كثيرا فى الوقت الحاضر .

ولقد كان أحمد ماهر ــ رئيس مجلس النواب ــ حكيما بحيث أدرك أنه ليس « رجل الساعة الآن » ــ وكان قد أصيب بأزمة قلبية خفيفة .

ولكن جلالته كان أقل وضوحا فيما يتعلق بما اذا كان سيستدعى النحاس قبل الظهر . على الرغم من أنه حرص على الا يقول أنه لن يستقبله .

أوضحت مرة أخرى أنه ينبغى ابلاغى ــ هذه الساعة ــ بأنه تم استدعاء النحاس .

ولم أستخدم أية تهديدات . ولكنى كنت حاسما .

وطرحت بعد ذلك النقطة الأخرى وهى أنه لا ينبغى أن تكون هناك اضطرابات أو متاعب وانى افترض أنه سيتم اتخاذ جميع الاحتياطات . وأكدت المسئولية الخطيرة التى ينطوى عليها عدم اتخاذ مثل هذه الاحتياطات .

أجاب جلالته أنه لن تكون هناك اضطرابات .

وقال أنه أرسل هذا الصباح الى الطلبة الذين تجمعوا عند القصر لابلاغهم أن عليهم العودة الى دراستهم والتزام الهدوء .

٥ ــ التقيت بحسنين قبل أن أغادر القصر . وأبلغته ما حدث . قلت له أنه يجب أن يسعى ليستدعى الملك النحاس قبل ظهر الغد .

اعترض حسنين بشدة على ذلك .

قال ان مشروع القصر هو تشكيل حكومة مؤقتة تمهد الطريق لتشكيل حكومة ائتلافية فى النهاية برئاسة النحاس . ولكنه كان أقل وضوحا فيما اذا كان النحاس سيستدعى فورا بالنسبة للحكومة المؤقتة . وقال انه اذا استدعى النحاس فورا — كما أصر أنا — فانه سيسيطر نتيجة لذلك على كل شيء . وسنفقد فرصة وجود معارضة منظمة (من السعديين) بشكل مناسب لتعمل « كفرامل » عندما يتم فى النهاية تشكيل الحكومة .

وفى نفس الوقت فان حسنين يستطيع أن يضمن استبعاد العناصر المرتبطة بعلى ماهر من الحكومة المؤقتة المقترحة .

قلت :

— بناء على موقف الوفد — حتى الآن — فانه من الصعب تصور موافقة النحاس — أو الوفد — على مثل هذه الحكومة المؤقتة ، وبالأحرى ، حكومة ائتلافية فيما بعد .

ولذلك فان وجهة نظرى لا تزال كما هى :

— اننى آمل بشدة أن أسمع قبل ظهر الغد أنه تم استدعاء النحاس للتشاور .

ومن الضرورى أن يوافق النحاس تماما — باعتباره مثل الأغلبية فى البلاد — على أى شيء يتقرر عمله سواء كان حكومة انتقالية أو ائتلافية .

ويبعث السفير الى حكومته برقية تصل لندن فى الرابعة وعشر دقائق من بعد ظهر يوم ٢ فبراير أيضا .. أى قبل اجتماع حكومة الحرب بخمسين دقيقة . وقد حملها ايدن معه الى قاعة الاجتماع .

وفى هذه البرقية وصف السفير المظاهرات العنيفة التى قام بها طلبة الجامعات وبين تردد العسكريين البريطانيين وقال :

ان قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط أبدى قلقه ومخاوفه

من وقوع اضطرابات فى مصر .. فان الجيش المصرى قد لا يبقى سلبيـــا ..

وقد أشار وزير الدولة البريطانى فى القاهرة الى أنه ليس أمامنا أن نختار .. وقال ان الوقت يحتم علينا :

١ ــ القيام بعمليتنا الآن وأن نأخذ فى الاعتبار وقوع اضطرابات مع عودة الهدوء بعـــد فترة قصيرة .. وكذلك سنفقد بعض ماء وجوهنـــا .

٢ ــ عدم القيام بعمليتنا الآن ، ونكون متأكدين من استمرار المتاعب فى المستقبل اذا فشلنا فى اتخاذ الاجراء المناسب .

* * *

.. ما أكثر البرقيات التى كتبها لامبسون لحكومته يوم ٢ فبراير أيضا .

فى البرقيـــة رقم ٤٥١ ــ يوم ٢ فبراير ــ يصف لامبســـون اجتماعه بأوليفر ليتلتون وزير الدولة وقائـــد القوات البريطانية لمناقشة الخطة الموضوعة للتعـــامل مع الملك فاروق اذا « رفض المـــلك طلباتنا الشرعية التى تنص عليها المـــادة الخامســـة من المعـــاهدة » .

قال السفير :

« قررنا ــ وزير الدولة البريطانى ، وقائد القوات البريطانية، وأنا أن نتخذ ما يلى ونعتبره أبسط الاجراءات :

١ ــ بحثنا الاجراءات العسكرية لمحاصرة القصر ومقـــاومة الحرس الملكى فيما اذا اضطررنا لاستخدام القوة .

٢ ــ سأبلغ جلالته أننا لا نعتبر سلوكه العام سلوك حلفاء، وسأطلب منه اعتزال العرش .

٣ ــ اذا وافق سأدعو الأمير محمد على ولى العهد لتولى العـــرش .

٤ — اذا رفض فاروق التنازل عن العرش سأبلغه أنه خلع وسأتصل بالأمير محمد على .

٥— اذا رفض الأمير محمد على — وهو مالا أتوقعه — فأننا سنحكم مصر حـكما عسكريا بمقتضى الأحكام العرفية .. حتى تستقر الأمور بقبول أحـد الأمراء ولاية العـرش أو باعـداد نظـام آخر .

٦ — سأطلب من قائد القوات البريطانيـة أن يرافقنى الى القصر فى اجتماعى الحاسم بالملك . وسنبلغ جلالته أنه يجب أن يقـرر أما اعتزال العرش أو نخلعـه وسنتخذ أمامه الاجراءات العسكرية الضرورية التى تحتمها الظروف .

٧ — لا يوجد نص فى الدستور بشأن خلع الملك .. فان قيامنا بخلعه — ولو أنه ضرورى — الا أنه سيبدو غير دستورى .

وكل محاولة منا لنظهر كحماة للدستور بينما نخرقه بالقوة .. ستقودنا الى المتاعب .

ولذلك فان عملنا يجب أن يقتصر على وضع آخر على العرش بالقوة .. وأننا نصر على أن يعلن الملك الجديد أن ما جرى كان دستوريا .. !

٨ — واذا اعتزل فاروق أو خلع فانه يجب ابعاده عن مصر الى أرض بريطانية .

٩ — وربمـا يكون من الضرورى فى بعض هـذه المراحـل اعلان قانون الأحكام العسكرية البريطانى .. ويلغى عند هدوء الحـالة .

١٠ — اذا وافق الملك على استشارة النحاس فسنرجىء ذلك الى حين .. ولكنى سأبقى مقتنعا بأنه لن يكون هناك سلام حقيقى

لنا ما دام فاروق يجلس على عرش مصر .. وان هذه المشكلة – بقاء فاروق على العرش – يجب أن نعالجها فى وقت من الأوقات .

بقى أن تعطى لندن الضوء الأخضر للسفير ليمضى فى خطته .

وتصل السفير الرسالة والتعليمات فى الساعة الواحدة من صباح ٣ فبراير أى بعد ١٢ ساعة من مقابلته للملك .

وبهذه التعليمات ينطلق السفير من الانذار .. الى الحصار ... من انذار فاروق الى حصار قصر فاروق .

* * *

فى لندن اجتمعت حكومة الحرب برئاسة ونستون تشرشل فى الساعة الخامسة من مساء نفس اليوم – ٢ فبراير – وحضر الجلسة وزراء حكومة الحرب الثمانية – وبينهم اتلى نائب رئيس الوزراء وايدن وزير الخارجية . واشترك فى الجلسة ١٢ وزيرا آخرين .. فالاجتماع هام .. بدليل حضور هذا العدد الضخم من الوزراء . وكانت مع ايدن – كما قلت – آخر برقيات لامبسون .

وبعد مناقشة العمليات العسكرية وخسائر السفن البريطانية والقروض المقترحة للصين من أمريكا وبريطانيا..يعرض الموضوع رقم ٤ .. مصر فهو الموضوع الذى يلى فى الأهمية هذه المسائل الحيوية المتصلة بالموقف العسكرى .. وربما كانت مصر هى أهم موضوع فى ذلك اليوم .. لأن رد الفعل فى مصر للقرار المقترح .. قد يثير عاصفة دعائية ضد بريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط كلها .. خاصة أن الهجوم البريطانى على ليبيا قد فشل .. واحتل روميل بنغازى وأخذ يزحف نحو مصر .

تقول الوثيقة الرسمية عن محضر اجتماع حكومة الحرب :

– لابد أن حكومة الحرب قد اطلعت على البرقيات الواردة من القاهرة التى تتحدث عن أزمة سياسية فى مصر .

لقد اتضح أن حسين سرى شـــعر بالملل بسبب الموقف الذى يتعرض فيه لوخزات مستمرة من جانب الملك فاروق .

وهو ــ سرى ــ على وشك أن يقدم استقالته .

وقد نصح ــ سرى ــ الملك فاروق بأن يستدعى النحاس .

وأضاف وزير الخارجية أنتونى ايدن أنه بعث بالبرقية رقم٥٧٢ الى سير مايلز لامبسون يوصيه فيهـا باقامة اتصال مباشر مع النحاس ــ اذا أمكن ــ قبل اعلان استقالة حسين سرى.وابلاغ النحاس أننا نتوقع منه ــ اذا تولى الوزارة ــ أن يتبع موقفا مؤيدا لمتابعة المجهود الحربى .

وعلى الرغم من أننــا لا نعتزم الانحراف عن المعاهدة ، فانه لا يمكن أن نقيس بالياردة ــ وفقا للمعاهدة التى وقعت منذ ٦ سنوات ــ كل نقطة خلاف تنشأ مع مصر .

وينبغى أن نتوقع أيضا أن يقوم النحاس بتصفية بعض العناصر غير المرغوب فيها فى حاشية الملك فاروق .

سأل رئيس الوزراء عما اذا كان وصول النحاس الى الحكم يعنى اجراء انتخابات عامة .

أجاب وزير الخارجية بأنه يعتقد أن النحاس قد لا يصر على اجراء انتخابات اذا شكل وزارة وفدية كما نتوقع .

وقد انتهى الاجتماع بقرار لحكومة الحرب تضمن الموافقة على تعليمات وزير الخارجية للسير مايلز لامبسون .

* * *

ويتلقى السفير البرقية التى وافقت حكومة الحـــرب على كل كلمة فيها .. والتى حددت مستقبل الحكم فى مصر خلال الـــ ٣٢ شهرا التالية ..

برقية رقم ٥٧٢

بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٢

مرسلة ١٢ر٤ مساء

من وزارة الخارجية البريطانية

الى السير مايلز لامبسون

عاجل جدا

١ — اشارة الى برقياتكم أرقام من ٤٤١ الى ٤٤٣ — فى أول فبراير — عن التهديد باستقالة رئيس وزراء مصر .

انى أشارك فى الاستنكار الذى يبدو واضحا أنكم ورئيس الوزراء تشعران به تجاه الأزمة الجديدة التى أثيرت بدرجة من الطيش لا مثيل لها حتى فى التاريخ السياسى المصرى .

٢ — على الرغم من أن الأسباب المباشرة التى أبداها رئيس الوزراء لإعتزامه الاستقالة ليست مقنعة فى حد ذاتها ، فأننى أعتقد أن السبب الحقيقى هو أنه قد مل ببساطة ذلك الموقف الذى يتعرض فيه لوخزات مستمرة بطريقة أصبح فيها من المتعذر على حكومة صاحب الجلالة وعليكم حمايته منها .

واذا كان الأمر كذلك فأنى أتعاطف معه تماما .

٣ — انى أترك لحسن تقديرك تماما مواجهة الموقف الذى أدرك أنه قد يتطور بسرعة لا تسمح بتبادل وجهات النظر تلغرافيا .

ومع ترك الموقف لحسن تقديرك — وهو ما أعيد تأكيده — فان الطريق الذى أوصى به فى الظروف التى وضعتها فى برقياتك هو كما يلى :

١ ــ ينبغى أن نقيم اتصالا مباشرا مع النحاس قبل اعلان استقالة رئيس الوزراء اذا كان ذلك ممكنا .

وينبغى ألا نتردد فى وضع الموقف أمامه بصراحة على أساس الخطوط التالية :

لقد اثيرت أزمة سياسية بطريقة طائشة . وفى زمن الحرب وبين الحلفاء .

وليس هناك مبرر يدعو حكومة صاحب الجلالة لأن تخفى اهتمامها بأن تجرى معها مشاورات لحل هذه الأزمة .

وقبل أن يحدث هذا فانك تجد أنه من الضرورى أن يكون لديك بعض الدلائل عن وجهة نظر النحاس فى المسائل الثلاث التالية التى لابد ستكتسب أهمية كبرى فى تحديد علاقتك بالحكومة الجديدة اذا حدث التغيير فعلا .

وهذه النقاط هى :

(أ) ان حكومة صاحب الجلالة لا تزال تشارك النحاس اعتزازه المشروع وارتياحه لتوقيع معاهدة التسوية منذ ست سنوات .

وهى لا تعتزم الخروج على هذه التسوية ، ولكنها ترحب بأية بادرة تشير الى تفهم النحاس أنه فى زمن الحرب ، ومن أجل مصلحة الحليف الذى يقاتل ، فانه لا يمكن قياس كل نقطة تثار « بالياردة » وفقا لأحكام المعاهدة .

وفى مثل هذه الظروف فاننا نتوقع أن تتخذ الحكومة المصرية موقفا مؤيدا لمتابعة المجهود الحربى وللمتطلبات العسكرية .

وينبغى ألا نتردد ــ اذا كان ذلك ضروريا ــ فى أن نقول للنحاس بصراحة كاملة أن الحياد فى هذه الحرب مستحيل بالنسبة لمصر .

أن شيئا لم يكن ليقف بين مصر وبين زحف الاستعمار الايطـالى لولانا نحن .

ان اتباع مثل هذا الأسلوب ــ سالف الذكر ــ يبدو أفضـل طريقة توضح للنحاس أننا لا نعتزم السماح باثارة أى سؤال بشأن اعادة النظر فى المعاهدة مهما استمرت الحرب .

(ب) مهما كانت وجهة نظر النحاس فى الحكومة الراهنة ، فانه لن ينكر ــ على الأرجح ــ أن الكثير من متاعبها الحالية ، يرجع الى مراكز النفوذ الشريرة فى القصر التى يعد من مصلحة مصر ... ومصلحتنا القضاء عليها .

هل تستطيع اذن أن تعتمد على أن يتبع النحاس نفس الموقف تجاه محسوبى القصر والايطاليين كما كان رئيس الوزراء الحالى مستعدا لأن يفعل ؟ .

واذا أبدى ايماءة ترحيب بتأييده ، نقدم له ــ بطبيعة الحال ــ وعدا بذلك .

واذا كان مستعدا لاضافة على ماهر الى أسماء هؤلاء الذين يرغب فى التخلص منهم ، فاننا آخر من يجادله فى هذا القرار .

(جـ) من الأهمية بمكان أن يحصـل رئيس الوزراء المستقيل على أية علامة تشير الى رضاء الملك . ترى هل يؤيد النحاس هذه الفكرة ، أو ــ على الأقل ــ يقف جانبا ويتركك تضغط على الملك فى هذا الشأن .

ــ بطبيعة الحال لن تقول ذلك للنحاس ولكن علامة الرضاء الملكى ضرورية للغاية .. لتشجيع الآخرين .. فى وقت يبدو فيه أننا فى بداية مرحلة مضطربة .

٤ ــ واذا قدم النحاس تأكيدات مرضية فى النقطتين الأولى والثانية من النقاط الثلاث ، فان لك الحرية فى أن تشجع الملك على

اتباع نصيحة حسين سرى وتشكيل حكومة وفدية « وسوف أقدر مثل هذه التأكيدات لا لأنى أتوقع — بالضرورة — أن يفى بهـا ، وانما لأنه اذا لم يفعـل ، فانه سـيعطينا مبررا قويا لاستبعاده » .

٥ — ولكن اذا لم يكن موقف النحاس متعاونا فانى أشعر أنك ينبغى أن تقوم بمحاولة أخيرة لاقناع الملك بالصلح مع رئيس وزرائه الحالى على الأساس الوحيد الذى يمكن أن يتم عليـه الصلح الآن . وهو صدور نوع من التفسير الشخصى الكامل والتراجع من جانب جلالتـه مع منح رئيس الوزراء نوعا من التكريم السامى .

واذا فشلت هذه المحاولة وأبدى جلالته ميلا لتعيين رئيس وزرائه — مع استبعاد على ماهر بسبب صلته الايطالية — فينبغى أن تكون مقتنعا بتصرفه هذا ، وفى نفس الوقت تحـذره من أننا نعتبر الأزمة والتغيير الوزارى غير ضروريين وأنهما أثيرا بطريقة طائشة .

اننا ندرك جيدا ذلك الذى أصبح حلقـة لا تتغير من التغييرات الوزارية فى مصر .

ان هذه الحلقة تقوم على أساس استمرار وجود العـوامل المسيطرة الثلاث وهى التحالف البريطانى والتاج والرأى العام .

ويجب ألا يفاجأ جلالته اذا تساءلنا فى لندن عما اذا كانت الوسيلة الوحيدة للتخلص من هذه الحلقة التى تعبنا منها بشدة هى خفض عدد العوامل التى تتحكم فيها من ثلاثة عوامل الى عاملين .

٦ — اذا كان النحاس قد استدعى فعلا بواسطة الملك قبل أن تعرض عليه خط العمل هذا بالطريقة التى يمكن أن يقودك اليها حسن تقديرك وهو ما أحرص بشدة على تركه لك . فانه ينبغى

فى اعتقادى — أن ننتهز أول فرصة ممكنة للحديث اليه على أساس الخطوط المقترحة وأن تبلغنا رد فعله .

٧ — اذا قال الملك أنه يفضل فى مثل هذه الظروف استدعاء الوفد بعد أن تكون قد تحدثت اليه على أساس الخطوط الواردة فى الفقرة رقم ٥ — فانك ينبغى أن تضع شرطا مطلقا لموافقتك . وهو أن تتاح لك الفرصة لمقابلة النحاس قبل أن يستدعيه جلالته .

***

وبهذه الخطوط المحددة وضع الانجليز النقط فوق الحروف .. وحددوا كل الشروط .

● سرى يعــود مع ترضية كافية .

● اذا رفض سرى يجىء النحاس بشروط أهمها ألا يتحدث عن تعديل المعاهدة ، وأن يترك الحياد جانبا ، وأن يوجه اهتمامه الأول لمساعدة القوات البريطانية وأن يلتقى بالســفير أولا لبحث هذه النقاط ، ويستبعد الحاشية الايطالية ، ويتخلص من عدوه القديم ، وعدو الانجليز على ماهر ..

● اذا رفض الملك يعزل الملك .

وأصبح السفير البريطانى مفوضا بالتصرف .. له الصلاحيات والسلطة المطلقة .. وعنده التأييد من حكومة الحرب فى لندن .. وأصبح واجبا على مجلس الحرب فى القاهرة — الذى يضـــم القواد العسكريين البريطانيين فى مصر والشرق الأوســـط . أن ينفذوا تعليمات السفير .. الذى كان قد بدأ فعلا يتحرك .

* * *

وتصل السفير بعد قليــل البرقية رقم ٥٧٤ وفيها يقــول ايدن :

رغم انى حريص على أن أترك لك حرية التصرف فان اقتراحاتى

وتعليماتى التى قد تســاعدك .. تعد الآن لترسل لك بالشفرة .

ومن المفيد لك أن تحاول اقناع رئيس الوزراء بتأجيل استقالته حتى يتاح لك الوقت الكافى لدراسة مقترحاتى .

وتسلم لامبســون قبل ظهر الثلاثاء ٣ فبراير تفويضـا جديدا من لندن باتخاذ الاجراءات الضرورية التى يراها .

أما تعليمات ايدن ومقترحاته ـ وقد تضمنتها هذه البرقية ـ فهى تنص على ما يلى :
قال ايدن :

كل ما ابعث به اليك هو مجرد اقتراحات تساعدك .. وكان من رأيى منع انتصار الملك . وانى أوافق على تصرفك معه .

ويطلب ايدن شيئا واحدا محددا :

« آمل أن تقابل النحاس كما اقترحت عليك .. سواء تولى المنصب .. أو لم يقبله بعد » !

ان تعليمات لندن تفتح أمام كل المسئولين السياسيين فى مصر أبوابا متعددة ..

تفتح باب البطولة ، والتضحية ، وانكار الذات ، والايثار .

تفتح أمام فاروق باب البطولة على مصراعيه ليرفض أن يفرض عليه الانجليز وزارة مصرية .. وكان قبل ذلك قد خضع لانذارهم عندما عزل على ماهر ..

ولكن ثمن البطولة أن يعتزل فاروق العرش .. أو يخـلع عن العرش ..

وتفتح أمام النحاس بابا دخله من قبل سعد زغلول .. عندما رفض أن يتولى الوزارة فى أواخر أيامه حتى لا يضرب ميناء الاسكندرية بعـد أن استدعى اللورد جورج لويد المندوب السامى

البريطانى سفينة حربية وصلت الى الأسكندرية عندما فاز الوفد فى الانتخابات .

وتفتح أمام الزعماء المصريين من رجـــال أحزاب الأقلية باب الرفض .. والتمسك بعـــدم قبول الوزارة الائتلافيـــة .. ولكنهم تلهفوا عليهـــا .

وأغلقت أبواب المثاليات المصرية .

وبقى باب واحد مفتوح .. هو الباب البريطانى .. دخل منه الجميع وقد انحنت منهم الرءوس !

* * *

باقى من الزمن ٣ ساعات

زعماء مصر تكلموا عدة مرات عن أحداث ٤ فبراير ..

فى استجواب بمجلس الشيوخ ..

وفى الصحف ، والخطب ، بعد اقالة مصطفى النحاس ..

وأمام القضاء — بعد أداء اليمين — أثناء نظر قضية اغتيال أمين عثمان ..

وفى كل هذه الظروف كان هناك القصر .. والسفارة البريطانية .. وكان مستحيلا على الزعماء ان يقولوا الحقيقة كاملة ..

واصرف الزعماء الى تبادل الاتهامات فيما بينهم ..

ومات الجميع .. اغتيل ثلاثة منهم أمين عثمان ، وأحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى .

ولكن السير مايلز لامبسون هو وحده الذى كتب مذكرات كاملة . وهو وحده الذى ترك فى مركز الوثائق العامة برقياته .. وآرائه .. وأسرار اتصالاته .

وقد نشرت مذكراته .

وبقيت وثائقه فى دواليب مغلقة بأقفال سرية .. وتفتح بأرقام سرية .. ومكتوب عليهـــا « لا تذاع الا فى سنة ١٩٧٢ كما تقول الصفحة الأولى الموضوعة على ملف (مصر والســـودان) .. فى ذلك الحين .. فان كل ملف سياسى فى بريطانيا يكتب عليه عند استعماله .. وعند اغلاقه متى بجوز اعلان محتوياته على الناس .

وكل برقية أو مذكرة داخل هذا الملف كتب عليها عام ١٩٤٢ . « سرية جدا . ويجب أن يحفظها الموظف .. ولا يطلع عليهـــا أحدا غيره » .

وكان تبادل البرقيات بين القاهرة ولندن يتم بالشفرة .. وهذا هو السبب فى تأخير ارسال واستلام بعض البرقيات .

.. وهذه هى برقيات لامبسون .. وبرقيات وزارة الخارجية البريطانية .. اليـــه .

❋ ❋ ❋

أول برقية منه الى حكومته فى العاشرة والنصف من صـــباح

٣ فبراير يبدى فيهـــا شكره العميق لأنه منح السلطة الواســـعة ويقـــول :

« تستطيعون الاعتماد على فى أن أقوم بكل ما هو أفضـــل حسب قدراتى .. فى موقف يتغير ساعة .. بعد أخرى » !

ثم يقـــول :

١ ــ أبلغت حسنين بواسطة مستر شون .. فى ساعة متأخرة من ليلة أمس ضرورة استدعاء النحاس .

وقد علمت من حسنين أن الملك استدعى النحاس لمقابلتـــه

فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليــوم ــ الثلاثاء ٣ فبراير .. وأن فاروق سيستقبل الزعماء الآخرين بعد ظهر اليوم نفسه .

٢ ــ لأن الأحداث قد تطورت فانى أشك فى حكمة الاتصال بالنحاس قبل أن يجتمع بالملك . ولا أعتقد أنه يرغب فى لقائى لأن ذلك يحرجه .. بل ربمــا يمنعه هذا من الذهاب الى القصر اذا عرف أننــا نضغط بشدة لنجعله يتفق معنا على الشروط .

انى سأترك الأمور تمضى فى مجراها .

وسأنفذ تعليماتكم عندما تتضح الأمور .

❋ ❋ ❋

لمــاذا يختار الانجليز مصطفى النحاس ؟

هذا هو السؤال ؟

فى مذكرة موريس بيترسون بتاريخ ٢ فبراير نجده يقول ان الوفد هو وحده الذى يستطيع أن يقاوم موجة دعاية المــلك .. العــارمة !

وتاريخ النحاس مع القصر معروف .

فى كل مرة تولى فيها النحاس الوزارة .. طرد منها .

اقاله الملك فؤاد لأول مرة عــام ٢٨ .. وكانت هــذه أول وزارة للنحاس .. ولم تستمر سوى ٣ شهور .. وقــال فؤاد فى كتاب الاستقالة ان الائتلاف الوزارى أصيب بصدع شديد .

واقاله فاروق عام ١٩٣٧ .. وكانت هــذه أول وزارة يقيلها فاروق .. وأول وزارة تقــال بعد المعــاهدة . ولم تعــش الوزارة : الا ١٩ شهرا .. وقال فاروق وهو يقيل النحــاس « شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم » !

واقاله فاروق مرة ثالثة عام ٤٤ بعـــد ٣٢ شهرا لأنه ـــ أى فاروق ـــ حريص على الحكم الديمقراطى !

واقالة فاروق للمرة الرابعة والأخيرة بعد ٢٤ شهرا اثر حريق ٢٦ يناير الشـــهير عام ١٩٥٢ .

وبين كل اقالة كانت تنقضى ٥ سنوات على الأقل حتى يتولى الوزارة !

رجل هذا تاريخه هو أفضل من تختاره بريطانيا ليقف عنـــد القصر .

* * *

ولكن ماذا عن موقف النحاس من الانجليز أنفسهم .

.. لم يكن الوفد حزبا عقائديا على الاطلاق .. وبالتالى لم يكن حزبا عقائديا يميل الى بريطانيا بالذات .

أحمد ماهر مثلا رئيس السعديين كان يطالب علنا بدخول مصر الحرب الى جانب بريطانيا .

والوفد فى أول أبريل عـــام ١٩٤٠ فى وزارة على ماهر يطالب السفير البريطانى مباشرة بوقف الأحكام العرفية وجلاء القـــوات البريطانية عن مصر بعد الحرب .. ووزير الخارجية البريطانية يهتز للأمر ويعلن أن حركة النحاس لم تقترن بالحكمة .

ولكن لم يكن لدى الانجليز أية معلومات تفيد بأن الوفد مثل القصر أو على ماهر « محـــورى الهوى » .. أى يميل للألمـــان والايطاليين .. فى الوقت الذى كان الشعب المصرى فيه يميـــل للالمـــان .. كراهية فى بريطانيـــا التى احتلت مصر واعجـــابا بالانتصار عليها ..

ونحن نجد نواب الوفد عندما اشتدت الغارات على الاسكندرية يطالبون فى البرلـــان بالاتصال بالمحور .. أو التفاهم مع الانجليز

لابعاد أسطولهم عن الميناء ، وهاجم أعضاء الشيوخ الوفديون وزارة حسين سرى بسبب موقفهـا ..

.. ومن المؤكد أن موقف الوفد كان دائما ضـد الانجليز .. يطالب بالجلاء حتى خلال الحرب واعداد الجيوش الهائلة فوق أرض مصر .. والموقف العسكرى السىء فى الصحراء الغربية قد يدفع الانجليز للقيام بأى عمل فى مصر ..

وسط هذه التيارات المتناقضة يبقى السؤال قائما ..

ـ لمـاذا النحاس ؟

.. والنحاس هو الذى خطب فى صيف ٤١ فى رأس البر يقول « انجلترا تزعم أنها تحارب من أجل الديمقراطية والحـريات .. بينما هى تحارب الديموقراطية وتضطهد الحريات فى مصر » ؟ .

فى رأيى أن هناك عدة أسباب لاختيار النحاس :

الأول : انه يستطيع أن يقف فى وجه القصر .. والانجليز فكروا عدة مرات فى عزل فاروق .. فالوفد يسـتطيع بالتعـاون مع الانجليز .. أن يوقف ـ على الأقل ـ التيار المـلكى .. وما فيه من عداء للانحليز . وهو يستطيع أن يحـكم مصر ويضمن ولاء الجهاز الادارى والبرلمـان .. وبين مذكرات وزارة الخارجيـة وجدت وثيقة تقول انه لا يوجد فى مصر ـ سوى النحاس ـ يستطيع أن يفعل ذلك .

الثانى : ارضاء الجماهير فقد كان الوفد على الدوام معبرا عن شعب مصر .. وفى نفس الوقت فان الوفد الذى وقع المعـاهدة يستطيع أن يحشد الشعب لتأييد المعاهدة .. والابتعاد بالمشاعر .. عن الألمـان !

الثالث : ان الانجليز غيروا فى بريطانيا نفسهـا موقفهم من الاتحاد السوفييتى .. وأوقفوا الموجة العدائية ضـده .. وأعلن

تشرشل تضامنه مع السوفييت عندما هاجمهم الألمـان .. فقد تغيرت اذن العداوات التقليدية .. داخل بريطانيـا .. ويمكن، أن تتغير العـداوات التقليـدية فى الدول التى يوجد لبريطانيا نفـوذ بها .

ولكن أهم الأسباب هو أن السير مايلز لامبسون جاء الى مصر لينفذ سياسة جديدة .. وهى الائتلاف أولا .. أى الحـكومات الائتلافية فى مصر للتعاون مع بريطانيا فاذا لم تنجح هذه الفكرة — وهى لم تنجح فعلا — فالتقارب والتعاون مع الوفد .. وقد تحقق هذا لمـايلز لامبسون فى وزارة الوفد التى وقعت المعاهدة عام ٣٦ .. وتحقق هذا للامبسون فى وزارة النحاس عـام ٤٢ أثنـاء الحرب .

ان مهمة لامبسون فى مصر كانت — باختصار — جذب الوفد .. وقد نجح فى ذلك .. وتحققت اللعبة السياسية البريطانيـة أو استكملت حلقاتها .. فلم يبق حزب مصر بعد ذلك الا ودار فى الفلك البريطانى .

اننا نجد النحاس بعد شهور يلتقى بالسير ستافورد كريبس وزير التجارة البريطانى عندما زار القاهرة .. وتكون بداية الحديث بين النحاس والوزير البريطانى العتاب لأن بريطانيا لم تتدخل عندما قرر الملك عزل النحاس فى ديسمبر عام ١٩٣٧ .. بل ان النحاس اعتقد أن الانجليز هم الذين ساعدوا على اقالته فى ذلك الوقت !!

والحقيقة كما أكدت الوثائق أن لامبسون تدخل لمنـع اقالة النحاس ولكن تدخله لم يكن حازما أو قويا بالدرجة الكافية .. فقد كان السـفير البريطانى فى ذلك الوقت يأمل فى أن يكسب فاروق أيضـا .

وعلى أية حال فقد ثبت من الوثائق أن السفير البريطانى قد نجح فى مهمته هذه المرة .. وانه عرف كيف يختار رئيسا لوزراء مصر يتعاون مع بريطانيا أثناء الحرب .

بقى سبب أخير لا يجب أن نغفله وهو أن الوثائق البريطانية تشير فى أواخر عهد سرى الى قيام نوع من الاتصالات بين القصر والوفد بهدف تأليف وزارة ائتلافية يرأسها النحاس دون علم الانجليز .

بل ان الدكتور هيكل باشا يقول فى مذكراته أنه فهم من أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى أن النحاس باشا فوتح فى تأليف وزارة ائتلافية قبل الفكرة ورحب بها .

.. فاذا كان القصر يسعى للوفد .. ليكتل كل الأحزاب ضد الانجليز .. فان الانجليز يسارعون الى العمل مع الوفد .. ضد القصر ويمضون فى تأييده علنا بلا حدود .. حتى تنفصم كل رابطة بين الوفد .. والقصر فلا يستطيع الوفد أن يصل الى الحكم مهما كانت شعبيته الا بموافقة الانجليز .

ولعل هذا كان أهم ما فى خطة لامبسون فى مصر .. تمزيق هذا الحزب العتيد !

وبقى السؤال الغامض ٣٠ عاما وهو هل كان النحاس يعلم قبل ٤ فبراير ١٩٤٢ بما جرى .. والى أى مدى كان يعلم .. أو على حد قول اسماعيل صدقى باشا رئيس وزراء مصر السابق انه ليس من المعقول أن يتقدم السفير البريطانى الى القصر يطلب تكليف النحاس .. الا اذا كان هناك اتفاق سابق بين السفارة .. والنحاس ؟ ..

وحتى نصل الى الجواب لابد من متابعة الأحداث .. والظروف والملابسات .. وبقية الحكاية .. أو الرواية التى شغلت مصر عن متابعة الموقف العسكرى فى الصحراء الغربية .. وهزائم بريطانيا .

ومن المؤكد أن حسين سرى نجح فى التغلب على أزمة قطع العلاقات مع حكومة فيشى . وكما تقول البرقيات واعترافاته

للسفير فان مظاهرات الطلبة .. ورغبة الانجليز فى قمعها .. وعدم تأييد فاروق لحسين سرى كل ذلك هو الذى أدى الى خروج سرى من الوزارة .

* * *

... يشرق على مصر صباح الثلاثاء ٣ فبراير .

وفى صباح ٣ فبراير يظهر أمين عثمان فى دار السفارة البريطانية ليقوم بدور الوسيط ، وضابط الاتصال ، بين النحاس والسفير.. فهناك شروط حددتها بريطانيا لبريطانيا لتولى النحاس رئاسة الوزارة الائتلافية .. ولابد من معرفة مدى قبول النحاس لهذه الشروط .

واذا كانت بريطانيا قد اشترطت فى أول الأمر وزارة ائتلافية.. فانها بعد ذلك تعدل عن هذا الشرط وتوافق على وزارة وفدية خالصة مادام النحاس يصر على ذلك .

.. ونعود الى أمين عثمان الذى يصل دار السفارة البريطانية من خلال هذه البرقية الخطيرة .. المحفوظة فى لندن .

برقية رقم ٤٦١

بتاريخ ٣ فبراير

مرسلة الساعة ٣٠ر٥ مساء

وصلت ٣٥ر١٠ مساء

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

عاجل

١ ــ كان من المناسب تماما أن طلب أمين عثمان باشاالاجتماع بى صباح اليوم .

كنت اتجنب ــ عن عمد ــ الالتقاء به خلال الشهور الثلاثة الأخيرة لقطع الطريق على أية شائعات عن دسائس يقال أنه يدبرها مع السفارة .

ولكن الموقف تغير الآن تماما وأصبح هو الآن بالذات مفيدا ــ مرة أخرى ــ باعتباره موضع ثقة النحاس .

٢ ــ حددت موقفى بوضوح .

انتهزت الفرصة لعرض النقاط التى وردت فى برقيتكم رقم ٥٧٢

واذا تولى النحاس الحكم ــ فسوف أعرضها عليه مباشرة . وقد وافق أمين عثمان تماما على أنها نقاط ضرورية . وقال أنه لا يتوقع أن تكون هناك أية صعوبة حقيقية بشأن أية نقطة منها.

ووافق أمين عثمان على أنه من الخطأ أن اجتمع النحاس ، قبل أن يجتمع النحاس بالملك .

٣ ــ بعثت عن طريقه برسالة الى النحاس أقول فيها أنه ينبغى أن يرفض الاقتراح بتشكيل حكومة انتقالية . ولكن ينبغى أن يعرض بذل كل ما فى وسعه لتشكيل حكومة ائتلافية . ان هذا سيدعم موقفه الى حد كبير سواء مع الرأى العام المصرى أو معنا.

ان تشكيل حكومة ائتلافية برئاسة النحاس فكرة نموذجية .

ونصحت ــ ردا على سؤال من أمين عثمان ــ الا يضع النحاس شرطا هو اجراء انتخابات جديدة يليها ــ بالضرورة ــ توليه الحكم . فليس له الا بضع عشرات من المقاعد فى مجلس النواب.

والواقع أن اجراء انتخابات الآن ، أمر غير مرغوب فيه . واذا جاءت اللحظة الحاسمة ، فان النحاس ينبغى أن يبعث فكرته وهى

تخصيص مقاعد للاحزاب الأخرى ، الأمر الذى يمكن اضفاء الصفة الشرعية ويستطيع أمين عثمـــان أن يقول للنحاس أنى أقف وراءه بشرط أن يتصرف بطريقة معقولة . وأنى واثق أن النحاس سيوافق على أن أبقى فى الظل فى الوقت الحاضر . وسأظهر فى الوقت المناسب عندما تكون هناك حاجة لمساندتى .

٤ ــ قال أمين عثمان أن النحاس مصمم تماما على تطهـــير القصر اذا وصل الى الحكم والا يحدث أى عبث جديد من جانب الملك فاروق .

٥ ــ أتوقع ابلاغى مســـاء بما ســـيحدث مع النحاس ــ فى القصر ــ بعد ظهر اليوم .

٦ ــ لاستكمال الصورة ، اتصل بى سرى باشا تليفونيا صباح اليوم ، قال انه يعارض بشكل قاطع تشكيل حكومة انتقالية لأنها خدعة من القصر لكسب الوقت من أجل مزيد من الدسائس ضدنا . وهو يعتقد أن الفرص ضئيلة لقيام حكومة ائتلافية . ولكن ينبغى اللعب بها كفكرة نموذجية من زاوية سياسية داخلية ولكنه يعتقد أن حكومة وفدية هى الحل الحاسم .

* * *

ويرد النحاس على رسالة لامبسون .. عن طريق أمين عثمان أيضـــا .

برقية رقم ٤٦٢

بتاريخ ٣ فبراير ١٩٤٢

مرسلة الساعة ٥٠ر٨ مساء

وصلت ٢٠ر١١ مساء

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

١ ـــ عاد أمين لتوه من عند النحاس بالرسالة التالية :

٢ ـــ عندما يجتمع النحاس بالملك فاروق فانه سيرفض ـــ بشكل قاطع ـــ تشكيل حكومة ائتلافية . وكان النحاس يؤيد من قبل تشكيل حكومة محايدة . ولكنه ـــ الآن ـــ يرفض ذلك أيضا نظرا لمرض أحمد ماهر .

٣ ـــ النحاس يرغب فى أن أعرف أسباب رفضه تشكيل حكومة ائتلافية .

ان حالة البلاد سيئة جدا . وحتى فى ظل حسين سرى ـــ الذى يتمتع بكل المزايا منناحية صلته العائلية بالملك ـــ فقد كانت دسائس القصر كثيرة .

ولابد أن تضم أية حكومة ائتلافية وزراء من رجال الملك . ولن يكون النحاس ـــ فى هذه الحالة ـــ قادرا على تحقيق فوائد لنا » .

٤ ـــ فيما يتعلق بالعمل معنا باخلاص ، فانه فعل ذلك دائما وسوف يفعل ذلك دائما .

ان روح المعاهدة هى التعاون المتبادل بين الجانبين « بكل المعانى » .

واذا كان حسين سرى من هذه الناحية مفيدا لنا ، فان النحاس سيكون أكثر فائدة .

ان النحاس الذى عمل معنا باخلاص زمن السلم سيزداد تعاونه .. عشرة أضعاف ـــ ما كان عليه ـــ وذلك فى زمن الحرب ولكن لابد ـــ لهذا ـــ من أن تكون له حرية كاملة وخاصة مع القصر .

ان ما يريده هو ديموقراطية حقيقية وتعاونا حقيقيا معنا لتحقيق ذلك . ويعارض الملك فاروق كلا الأمرين ، وهذا يعنى ، أنه سيواجه معارضة من الملك . فاذا ساندناه فانه سيستطيع تنفيذ

ذلك . ولا يريد النحاس أن ينزع نزعة انتقامية تجاه الملك فاروق. وليس هناك شك فى أنى وهو يستطيع كل منا أن يكبح جماح الآخر .. من حين لآخر .

٥ ــ فى ضوء كل ما تقدم فان النحاس باشا لا يستطيع قبول حكومة ائتلافية ، ويكون منصفا لنفسه ولنا . ولكنه رغم هذا ــ ان كان الأمر يساعدنا ــ فهو مستعد لضم عناصر ائتلافية الى هيئة استشارية . ولكنه يجب أن يحكم وحده .

وسيقبل حكومة محايدة اذا رغبت أنا فى ذلك . وهو واثق أنها لن تستطيع العمل . وعاد الى الحديث عن أخطار الحكومة الائتلافية فأشار الى حادث « مشروع كهربة أسوان ــ عندما استطاع ٣ وزراء اسقاط الوزارة » .

٦ ــ وسألنى أمين عما اذا كنت أصر على ضرورة تشكيل وزارة ائتلافية أم يكفى تأليف هيئة استشارية تضم عناصر من الاحزاب الاخرى كبديل لذلك .

أجبت بأن هذه مسألة يجب أن يقررها النحاس باشا نفسه . وبالنسبة لى أعتقد ان بذل محاولة جادة لتشكيل حكومة ائتلافية يمكن أن يدعم موقف النحاس فى البلاد . ولكن يجب أن يقرر ذلك النحاس .

قال أمين أن النحاس باشا لن يوافق على حكومة ائتلافية اذا ترك الأمر لتقديره الشخصى .

٧ ــ أخيرا وافقت على ابلاغ النحاس بما يلى :

ــ أفضل سياسة تتبع مع الملك فاروق أن يقول النحاس لجلالته أن الموقف سيىء جدا وأنه لا يشعر بثقة كبيرة فى التعاون المخلص من جانب الاحزاب الاخرى . وأنه يشعر بمخاوف من احتمال حدوث دسائس . ويقترح ــ باعتبار أن ذلك هو العلاج الوحيد ــ تشكيل حكومة وفدية بحتة ويتولى هو جميع المسئوليات. وهو يشعر أنه يستطيع ذلك . ويقول للملك أنه مستعد .

لتخصيص بعض المقاعد للاحزاب الاخرى .

٧ — انه مستعد لبحث مزايا تشكيل هيئة استشارية — فيما بعد — تختار من الاحزاب الاخرى لتكون رمزا للائتلاف .

٨ — قررت — رداً على سؤال من أمين — انى سأؤيد النحاس فى هــذا .

٩ — لم أكد أصيغ النقاط السابقة لأبعث بهذه البرقية حتى تلقيت مكالمة تليفونية بأن النحاس باشا — الذى ليس لديه احساس بالوقت . قد تأخر جدا وانه — أى أمين — لم يستطع مقابلته . ويعتقد أن النحاس قد توجه مباشرة الى القصر .

.. ومع ذلك فانى أرسل هذا التقرير لأن كل خطوة قد تكون لها أهميتها فيما بعد .

* * *

ومعنى ذلك أن النحاس يوافق على تشكيل وزارة ائتلافية أو وزارة محايدة اذا رغب السفير .. أما اذا لم يصر السفير على شىء فان النحاس يشكل وزارة وفدية خالصة .

واذا كانت هذه الرسالة لم تصل الى النحاس قبل اللقاء الأول فانها تصله — كما سنرى — قبل اللقاء الثانى .

* * *

ان هذه الرسالة تصل الى النحاس فى الوقت المناسب .

برقية رقم ٤٦٩

بتاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢

أرسلت ١٠ر١٢ صباحا

ووصلت ١٢٫٣٥ صباحا

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

عاجل جدا

أبلغت النحاس — عن طريق أمين — منذ ذلك الوقت بما قلته لحسنين .

* * *

هذه هى رواية لامبسون وأمين عثمان .

فماذا يقول النحاس ؟

فى شهادته أمام محكمة الجنايات قال النحاس :

« ذهبت الى الوجه القبلى لأن الجو فيه أفضل شتاء.. للسياحة ولأتكلم مع الناس بحرية .. والرحلة تستغرق شهرين أو ثلاثة .

وقلت لنفسى : أعود الى القاهرة فى الباخرة .

زرت سيدى عبد الرحيم فى قنا ورجعت الى منزل اسكندر عبيد قريب مكرم عبيد ، وأردت استبدال ملابسى .

.. دق جرس التليفون وقالوا لى :

— خذ التليفون وأنت فى الحمام .

سألت عن المتكلم فقالوا :

— اسماعيل تيمور باشا يتكلم من القصر الملكى .

وتحت الالحاح أمسكت التليفون من وراء الباب ..

قال اسماعيل تيمور :

ــ ان جلالة الملك يريد مقابلتك غدا بعد الظهر .

قلت :

ــ مستحيل أن أجيب هذا الطلب لأن أسرتى معى والرحلة تستغرق شهرين .

واخذ مكرم عبيد سماعة التليفون وقال :

ــ سيحضر .

قلت :

ــ لا الحق بالقطار .

وتكلم مدير قنا . قال :

ــ ضرورى من السفر الليلة والعائلة تنتظر وسنحجز لك حالا من الأقصر .

رجعت الباخرة لأسرتى وطلبت منهم السفر الى جرجا على أن ألحق بهم غدا .. وحجز مكرم لنفسه فى القطار أيضا .

وكنت أظن أن مفاتيح منزلى معى لأرتدى ملابسى ، فلما سار القطار ، لم أجد المفاتيح .. والطريقة الوحيدة .. النزول فى بيت أحمد بك حسين زوج خالة قرينتى .

قلت لنفسى :

ــ وجد البيت .. أين الملابس الرسمية .. والحسينى زغلول جمع لى الملابس من كل مكان .. ورتبت كل شىء لمقابلة الملك .

* * *

وإذا كان السفير البريطانى يقول ان أمين عثمان كان وسيلة اتصاله بالنحاس .. فان المعارضة قالت ان أمين عثمان استقبل النحاس فى محطة سكة حديد القاهرة عند عودته من قنا !

***

وعند وصول النحاس كانت الصحف المصرية كلها تنشر استدعاء فاروق لزعماء الأحزاب المصرية .. فان أسلوب فاروق ازاء الانذارات البريطانية لا يتغير . استشارة رؤساء الأحزاب ... والوصول الى موقف يتغلب فيه على الانجليز أو يعنى فشل كل محاولة لتشكيل وزارة ائتلافية بسبب رفض النحاس .

***

استقبل فاروق زعماء الأحزاب متفرقين ..

وقد رأى النحاس — كما توقع فاروق بالضبط — تشكيل وزارة وفدية خالصة لأنه جرب الأحزاب ، ولم يعد يثق فى رجالها .

وكان فاروق يريد أن يدخل الوزارة بعض رجاله .. ليحكم من خلالهم ، ولتبقى له وسيلة الاتصال بالالمان .

***

وفى شهادته أمام القضاء امتنع النحاس فى أول الأمر عن رواية ظروف تشكيله وزارة ٤ فبراير . قال :

— أنا مستعد أن أوضح الظروف بالكامل ، ولكن ليس من الصالح العام ، ولا من صالحكم أن أروى كل شىء .

رد الدفاع :

— احنا عاوزين نسمع .

أجاب النحاس :

ـ ان الملك قال لى :

ـ الحالة تستدعى أن نرى طريقة فهل يمكن أن تشترك مع آخرين فى الحكم .

قلت :

ـ رأيى مصمم عليه .. والبلد جعانه .

فقال الملك :

ـ سأكمل استشاراتى وأدعوك ثانية .

قلت له :

ـ ليس عندى استعداد للبقاء .. فأنا مسافر الليلة .

فأمر الملك ان أنتظر الى اليوم التالى ليستشير .. ويخبرنى بالنتيجة فقبلت على مضض .

* * *

وسأل الدكتور هيكل باشا الملك :

ـ أرجو أن يكون النحاس قد قبل تأليف وزارة قومية من جميع الأحزاب .

قال الملك :

ـ لقد حدثته فى ذلك طويلا أريد اقناعه .. ولكنه لم يقتنع بعد .. وقد أراه غدا مرة أخرى .

ويعرف السفير كل ما جرى بين النحاس والملك .. ويبعث به الى لندن .

* * *

برقية رقم ٤٦٦

بتاريخ ٣ فبراير ١٩٤٢

مرسلة فى الساعة ١٠ر٢٢ مساء

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

عاجل جدا

فيما يلى تسجيل أملاه النحاس — نفسه — عن الحديث الذى جرى بينه وبين الملك فاروق فى الساعة الثامنة بعد ظهر ٣ فبراير:

الملك : انت تعلم خطورة الموقف .

النحاس : نعم . وقد أتيح لى الوقت لتكوين رأى عن الموقف .

الملك : وأنا ايضا لدى رأى عن الحالة . وأريد أن أعرف وجهة نظرك وآراء الزعماء الآخرين وخاصة فيما يتعلق بتشكيل حكومة ائتلافية برئاستكم وأن تعملوا جميعا معا بانسجام كما كان الحال أيام والدى وبصفة مؤقتة طبعا خلال فترة الحرب .

النحاس : هذا الحل لا يتفق مع الصالح العام . ان الموقف فى البلاد خطير جدا . والشعب يلقى مسئولية الحالة الراهنة على عاتق الحكومات المتعاقبة فى ظل النظام الحاضر — أى فى ظل حكومات الاقليات .. أى الحكومات غير الوفدية .

ان الموقف خطير بدرجة مروعة ، لا من الناحية السياسية فحسب ، بل من كل ناحية . ان الشعب يتضور جوعا . ان الشعب يعانى العرى . ان الشعب يشعر بأنه لا تحكمه حكومة رشيدة . وهو يلقى اللوم على العهد . ويجب ألا أربط نفسى بأى من هؤلاء الرجال فى اية وزارة لسببين :

١ — ان الناس يلقون مسئولية الموقف الراهن على نظام الحكم . وكل شكواهم ترجع الى هذا النظام . واذا قبلت الارتباط بهؤلاء الرجال فانى سأفقد ثقة الجمهور ولن أستطيع الحكم بطريقة مفيدة .

٢ — من المؤكد انه ستحدث دسائس داخل مجلس الوزراء الذى يشكل على أساس هذه الخطوط .

لهذين السببين فانه لا يمكن الدفاع عن موقفى الذى سيكون — أيضا — غير مثمر .

انى اشكر جلالتكم لعرضكم رئاسة الوزارة على . واود أن أعرب عن تقديرى لثقة جلالتكم .

اننى ، كى أستطيع العمل بنجاح ، يجب أن تكون لدى السلطة، وهذا لا يعنى أنى سأستبعد هؤلاء الرجال كما استبعدونى ، ولسوف تتم استشارتهم فى المسائل الهامة عندما يكون ذلك ضروريا .. فى المسائل المتعلقة بالمعاهدة وفى مسائل التموين مثلا .

وهنا أصر الملك مرة أخرى على تشكيل حكومة ائتلافية ، ورفض النحاس مرة أخرى للسببين السابقين وأضاف يقول ان موقفه صعب للغاية وأن أى شخص فى مكانه كان سيرفض مسئولية تولى السلطة فى مثل هذه الظروف .

وقال النحاس انه مستعد لتولى المسئولية ، كل المسئولية ، رغم التضحية التى يعنيها ذلك بالنسبة له .

وقال النحاس :

« نظرا لأن البلاد استدرجت الى الهاوية . فانى يجب أن أكون فى موقف يمكننى من العمل بنجاح . وأنا لا أخشى مسئولية الحكم بشرط أن يكون ذلك لصالح بلادى » .

* * *

وفى السادسة مساء يتلقى لامبسون هذه البرقية من وزارة الخارجية بتعديل تعليماتها السابقة .. على ضوء ما استجد من أحداث .

قالت البرقية :

« ان تعيين أحد رجال القصر رئيسا للوزراء دون أن يكون له تأييد شعبى .. هو أمر نقبله فى حالة واحدة وهو اذا ثبت أن النحاس لا يريد التعاون معنا » .

وأضافت البرقية :

« لست مستعدا للاعجاب بمثل هذا الموقف .. فى الظروف الحاضرة .

.. وهذا هو أصل البرقية كما رأيته فى لندن .

ولكن ايدن وزير الخارجية يضيف بخط يده هذه الكلمات :

« انى أفضل اختبارا للقوة مع الملك حول الأزمة الحاضرة ..

بدلا من أن نفعل ذلك حتما فى المستقبل .. عندما نتعامل مع رئيس الوزراء الذى سيختاره الملك .

وفى كل الأحوال فان الايطاليين ، ومن يساندونهم ، يجب أن يخرجوا من القصر » .

* * *

ويستغل لامبسون كل الصلاحيات التى منحها .

ويستغل معرفته بما جرى بين فاروق والنحاس .

وبعد ان كانت سياسته ائتلاف الجميع .. أصبح صاحب المصلحة فى أن يوقع بين الجميع ، ويفرق بينهم لحساب بريطانيا.

* * *

اتصل السفير بحسنين باشا فى السابعة مساء ـ يوم ٣ فبراير أيضا ـ وقال له :

ـ انى عرفت بكل ما دار بين الملك والنحاس . وفى هـذه الظروف فانى أطلب من الملك أن يستدعى النحاس ويطلب منه تشكيل الحكومة .

ويضيف لامبسون :

ـ لا أريد مفاجآت ... ومعناها لا اريد أن تؤلفـوا الوزارة فجأة ـ وسأجتمع بزملائى فى مجلس الحرب فى العاشرة من صباح غد « الأربعاء » ٤ فبراير .

رد حسنين محاولا التهدئة :

ـ اننا لا ندبر مفاجآت . واذا أعطى القصر الفرصـة فانه سيجعل النحاس يؤلف وزارة قومية .
ويضيف حسنين محاولا اقناع السفير :

ـ اذا تصرف الملك كما تريد فهذا يعنى انتخابات حرة .. وعداء باقى الأحزاب .

ويرجو حسنين السفير علنـا أن يسمح باستمرار عمليـة المساومة .

يرفض السفير ذلك قائلا :

ـ فى وقت الحرب لا نستطيع أن نسمح بعـدم الاستقرار السياسى فى مصر .. وليس هذا وقت التسويف .
ويلجأ السفير أيضا الى الترغيب فلم يكن قد حان الوقت بعد للمعركة الفاصلة ..

قال لامبسون لحسنين :

ـ ان النحاس قد يوافق ـ وانا لا أضمن شيئا ـ على تخصيص مقاعد فى البرلمان للاحزاب الاخرى .. وكذلك يجمع قادة الاحزاب

الاخرى فيما يشبه الهيئة الاستشارية .. ولكن هذه كلها تفاصيل تترك لرئيس الوزراء الجديد .

***

حاول حسنين أن يبذر الشك فى عقل السفير بالنسبة لمعلوماته عن سلوك النحاس ، ولكن السفير رفض المناقشة قائلا :

ــ انى على يقين من أن النحاس سيؤلف الوزارة اذا أعطى السلطة وحده .. اى اذا الف وزارة وفدية .

ويكرر لامبسون :

ــ استدعوا النحاس لتاليف الوزارة .

وبدا صوت حسنين مثقلا بالهموم وهو يعد السفير بأن ينقل حديثه لفاروق .

ويرسل لامبسون برقية لوزير خارجيته قائلا :

ــ سأجمع مجلس الحرب لتحديد مدة الانذار .

ويشرق صباح الأربعاء ٤ فبراير على مصر ..

اليوم الذى دخل التاريخ المصرى .. واصبح من معالمه .

واليوم الذى ظل لغزا للجميع .. والذى هز مصر .. وكان من مقدمات الثورة وظهور اليسار .. والاخوان .. الخ .

***

فى العاشرة من صباح ٤ فبراير يجتمع فى القاهرة مجلس الحرب ليتخذ كل الاجراءات ضد فاروق ..

برقية رقم ٤٨١ بتاريخ ٤ فبراير .

بتأييد كامل من مجلس الحرب فانى سأقدم ما يلى الى أحمد حسنين فى الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر اليوم .

« اذا لم أعلم قبل الساعة السادسة منمساء اليوم أن النحاس سيشكل الحكومة فان الملك فاروق يجب أن يتحمل النتائج » .

* * *

برقية رقم ٤٨٢ فى ٤ فبراير

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

عاجل جدا

١ ــ حضر أمين منذ قليل وأبلغنى أنه فى الساعة الثانية بعد الظهر جاء الدكتور النقيب الى النحاس كمبعوث من القصر وأبلغه أن الملك فاروق يعد حقائبه لمغادرة البلاد .

٢ ــ وقال أمين أن الملك استدعى النحاس باشا وغيره من الزعماء فى الساعة الثالثة والنصف ، وأنه سيقول لهم أن البريطانيين أرسلوا اليه انذارا ليطلب من النحاس باشا قبل الساعة السادسة مساء تشكيل الوزارة . وأن الملك يرى فى ذلك تدخلا غير مسموح به ويترك الأمر لهم .

٣ ــ يعتزم النحاس أن يرد بأنه لا علم له بالتدخل البريطانى وأن الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يعين رئيس الوزراء هو الملك . وأن الموقف فى البلاد وصل الى نقطة خطيرة جدا لعدم حكمها عن طريق حزب ديموقراطى .

وسيقول النحاس أنه يعتبر نفسه ممثلا لهذا الحزب الديمقراطي وأنه مستعد ــ كما أبلغ جلالته أمس ــ لتشكيل حكومة وفدية انقاذا للموقف اذا كلفه جلالته بذلك .

وتدل هذه البرقيات على حقيقة واحدة وهى أن السفير يعرف

مقدما ما سيقوله النحاس للملك .. وأن السفير يعرف أيضـا نتيجة أى لقاء يتم مع الملك .

وفى الثانية من بعد ظهر الأربعاء ٤ فبراير يتلقى السفير برقية من حكومته فيها تأييد ــ على طول الخط ــ للنحاس .

قالت برقية ايدن رقم ٦٠٩

« ان الوفد لم يرحب أبدا بفكرة الوزارة القومية . ولا يوجد ما يبرر ارغامه على ذلك » !

وتحذر البرقية ــ السفير ــ من قرار مفاجىء يتخذه القصر خاصة وأن صحيفة الديلى تلجراف نشرت أن محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ استدعى لتأليف الوزارة !

***

.. بعد الانذار استدعى فاروق الى قصر عـابدين ١٧ من أصحاب المقام الرفيع وأصحاب الدولة والسعادة رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء الاحزاب .

اجتمع الـ ١٧ سياسيا مصريا فى قصر عابدين فى الثالثة من بعد ظهر الأربعاء وهم حسين سرى باشا . محمد شريف صبرى باشا . على ماهر باشا . مصطفى النحس باشا . محمد محمود خليل بك . أحمد مهر باشا . أحمد زيور باشا . اسماعيل صدقى باشا . عبد الفتاح يحيى باشا . محمد حسين هيكل باشا . محمد توفيق رفعت باشا . محمد حلمى عيسى باشا . حافظ عفيفى باشا . على الشمسى باشا . محمد بهى الدين بركات باشا . وحافظ رمضان باشا .

وكان من بين الحاضرين أيضـا محمود حسن باشـا كبـير المستشارين الملكيين وأحمد حسنين باشا .

وبدأت الاقتراحات تتوالى ..

1554; 38/16

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

[CYPHER]. WAR CABINET DISTRIBUTION.

TO EGYPT.

FROM FOREIGN OFFICE TO CAIRO.

No.COO.
February 4th 1942.

D. 1.44 p.m. February 4th 1942.

Your telegram No.469.

(1) While the end is not in sight, position seems to be developing satisfactorily and I approve the line you are following.

(2) It is good that you are now in communication with Nahas.

(3) The mere fact that the crisis is being drawn out prevents what I have most feared, viz. a snap decision by the Palace (Daily Telegraph February 3rd reported that Mohamed Mahmoud Khalil had been called upon to form a Government) which would have been unacceptable to us and would have left all Egypt under the impression that we had been ignored.

(4) Wafd have never favoured coalitions, and there seems no reason to force them into one.

(INDIV).

قالت وزارة الخارجية للسفير كيلرن :
نحن سعداء لأنك الآن على اتصال بالنحاس !

تأليف وزارة انتقالية .

تأليف وزارة وفدية وأن تشترك الاحزاب ولو بوزير من كل حزب ، أو وزير واحد غير وفدى حتى لا يعتبر الأمر قبولا للانذار.

ورفض النحاس هذا كله .. وكانت وجهة نظره .. التجارب الماضية مع الأحزاب .. كما أنه أثار تساؤلا له قيمته الكبرى .

قال النحاس :

ـ كيف يعتبر دخول الأحزاب الأخرى معه في الوزارة رفضا للانذار وعدم استسلام له .. بينما تأليف وزارة وفدية صرفة .. يعتبر استسلاما ؟

وقال الناس انه مستعد لقبول الوزارة اذا كلفه الملك بتشكيلها .

وكرر النحاس ذلك أكثر من مرة .. يقبل الوزارة من الملك !!

.. واحد فقط بين الحاضرين وهو أحمد زيور باشا طلب قبول الانذار فورا ورفض أن يستنكره .

وزيور باشا كما هو معروف .. قبل الوزارة عام ١٩٢٥ بعد انذار اللورد اللنبى الشهير لسعد زغلول عقب اغتيال السيردار السير لى ستاك .

فقد أعلن زيور باشا يومها أنه يقبل الوزارة لانقاذ ما يمكن انقاذه .

وذهبت هذه الكلمات مثلا ساخرا فى التاريخ المصرى لأن زيور لم ينقذ شيئا من استغلال مصر .

ولم ينقذ هؤلاء الزعماء والقادة الـ ١٧ شيئا من استقلال مصر .. بعد حادث اللنبى بـ ١٧ سنة ..

وأخيرا اقترح حافظ رمضان رفض الانذار ، وعدم تشكيل حكومة على الاطلاق .

وقد وقع الجميع احتجاجا على الانذار .. وعلى التصرف البريطانى . وكان بين الموقعين ايضا مصطفى النحاس .

.. ووقع زيور بعد الحاج .

ويطول الاجتماع ساعتين .. ويتمسك النحاس بأنه يوافق على تشكيل وزارة وفدية اذا كلفه الملك بذلك .

* * *

وننتقل الى شهادة النحاس عن اجتماع الـ ١٧ .

قال :

— دعيت الى القصر وأنا أعتقد أنى سأتم كلامى الذى قلته فى اليوم السابق .

ولم أعرف أنه سيكون هناك غيرى خصوصا وانى أبديت دائما انى لا أستطيع التعاون معهم .

دخل الملك وخلفه أحمد حسنين ..

وقال فاروق أنه أعد بيانا سيلقيه أحمد حسنين باشا نيابةعنه

وكان فى البيان أن انجلترا تهدد .. وأن الحالة خطيرة .

وجاء اسمى فى البيان عدة مرات .

وقال الملك أنه مطلوب منه الرد قبل السادسة مساء وأضاف :

— عليكم أن تتفقوا معا على ما فيه شرف البلاد وانقاذها وانصرف ..

بدأت الحديث قلت :

— من صيغة البيان أظن أن مركزى مركز متهم .. والمتهم يجب أن يوضح موقفه . انى فوجئت بهذا الطلب ، ولا أعلم الطلبان

التى وجهها الانجليز عن استدعاء النحاس ، وأخذ رأيه .. وأنا بعيد عن ذلك بالمرة .. وجاى « خام طاظه » .

قالوا :

ــ لابد من تفادى الموقف ونحمى شرف البلد ونحتج .

قلت :

ــ طبعا لأن هذا تدخل واعتداء على البلد من جانب الانجليز.

قالوا :

ــ نعمل الاحتجاج .

قلت :

ــ أيوه .. ولكن قبل الاحتجاج ابدى رأيى كوطنى وكمجرب وكخبير بأعمال الانجليز .. ان كانت تهديدية أو تنفيذية فالبيان الذى ألقى علينا من جلالة الملك يفهم منه أن هذه الحالة تنفيذية ، لا تهديدية ، كما حصل فى حوادث أخرى .. وبناء على ذلك الاحتجاج يعمل ضرورى ، ولكن أنظروا فى طريقة تتخذ لتفادى التنفيذ .. وهذه الطريقة كيف تكون .. أبحثوا ..

قالوا :

ــ الطريقة هى أننا كلنا نقبل أن نتعاون فى حكم واحد .

قلت :

ــ لكم أن تقولوا ذلك ، ولكن رأيى لا أشترك معكم كما قلت ، وأصمم على ذلك .

قالوا :

ــ هذه تضحية .

قلت :

ـ التضحية يمكن عملها بشىء آخر غير هذا لأنى اذا قبلت اغش عقيـــدتى .

قالوا :

ـ الانجليز عايزين وزارة يرضى عنها النحاس وما دمت معنا تكون راضى .

فرفضت .

قالوا :

ـ لا نقبل الحكم أصلا .

قلت :

ـ لا مانع . ولكن الطريقة التى نتفادى بها الانذار التنفيذى غير موجودة .. والعقدة لا زالت موجودة .

وكان زيور باشا معى فى الراى وقال :

ـ العبارات الموجودة تكون حالة تنفيذية .

وكتبت صيغة الاحتجاج ولطفت نوعا شوية .. والظاهر انه دخل فى التلطيف اسماعيل صدقى لأنى تركتهم يكتبوا ..

قالوا :

ـ نتعهد الا يقبل أحد الحكم .

قلت :

ـ وهو كذلك .

ووقعت على الاحتجاج .

وقلت :

ـ بلغوا جلالة الملك .

فشرف وقال :

ـ انتم عملتم طيب .

قلت :

ـ يلزم أصارحكم بحاجة وهى أن هذا الاحتجاج كويس ، ولكن يمكن يودى البلد ، والعرش ويمكن أن يكون نكبة على العرش ، وعلى شخص جلالتكم .

قال الملك :

ـ أنا مآيس ، ولا أسأل عن نفسى .

وقال الملك لحسنين :

ـ بلغ الاحتجاج وابقوا هنا .

* * *

ونعود مرة أخرى الى دار السفارة :

برقية رقم ٤٨٦ فى ٤ فبراير

من السفير الى حكومته

« تم الاتفاق فى مجلس الحرب على أنه اذا لم يصلنى رد مرض فى السادسة مساء فسأطلب مقابلة الملك فاروق .

سيصحبنى الجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر.. وستتخذ الاجراءات العسكرية الضرورية فى نفس الوقت .

.. وعنـــد الوصول الى القصر سأطلب من الملك فاروق أن يعتزل العرش مادام لم يبعث الى بالرد المرضى . وسأقول للملك أنه يجب أن يوقع وثيقة بذلك فى حضورى .

ولن يكون طلبى على أساس رفضـــه تكليف النحاس بتشكيل الوزارة ، بل ســـيكون الطلب ــ ابتـــداء ــ على أساس عدم مسئوليته ، وأنه أثبت عدم صلاحيته للحكم وفشله فى تنفيذ المادة الخامسة من المعاهدة .

واذا رفض فاروق الاستجابة فسأبلغه أنه خلع .

وفى الحالين فانه يجب أن يصحب الجنرال ستون ، ويصحبنى خارج القصر .

وقد اتخذت الاجراءات لنقله على سفينة بريطانية » .

ويقول السفير :

الساعة الآن السادسة ..

وقد تلقيت مكالمة تليفونية من حسنين أنه سيحضر الى برسالة فى السادسة والربع .. وعلى ذلك اتفقت مع الجنرال ستون على أن نؤخر اجتماعنا بالملك الى التاسعة مساء .. بدلا من الثامنة.

ان الباقى من الزمن ٣ ساعات ..

* * *

وتنتهى برقية لامبسون .. التى تصور الموقف وكأنه امتحان لمصر وزعمائها ..

.. وفى الحقيقة كان امتحانا وأى امتحان !

الزوجة .. والجارية !

وصل حسنين الى دار السفارة يحمل رد الـ ١٧ زعيما مصريا ..

برقية رقم ٤٨٧ فى ٤ فبراير

أحضر لى حسنين باشا الرسالة التالية :

على أثر استلام جلالة الملك الانذار البريطانى فانه استدعى الى القصر الشخصيات التالية ... (الأسماء) .

وبعد مناقشة الانذار البريطانى اتخذ المجتمعون القرار التالى.

« انهم يعتبرون الانذار البريطانى مساسا خطيرا بالمعاهدة المصرية البريطانية واعتداء على استقلال البلاد .

ولهذا السبب .. وتنفيذا لنصيحتهم فان صاحب الجلالة لايمكن أن يوافق على عمل فيه مساس بالمعاهدة البريطانية واستقلال البلاد » .

ولما كان من المستحيل الاتصال المباشر بالنحاس لأنه لا يزال فى القصر فقد سألنا — وزير الدولة البريطانى وأنا — أمين عثمان عن رسالة حسنين .

وسألنا أمين عثمان :

ــ هل سيقبل النحاس تشكيل الحكومة اذا أرغم الملك على التنازل عن العرش أو اذا عزل .. لأن النحاس قد حضر الاجتماع ورفض مع الزعماء الانذار .

وقد أقسم أمين عثمان بكل الآلهة على أن النحاس سيقبل .

.. قررنا وزير الدولة .. وأنا ــ أن أستمر فى الاجراءات ؛ وأطلب الاجتماع بالملك فى التاسعة مساء كما حددنا من قبل ..

* * *

بذل فاروق محاولة أخيرة بعد أن فشلت فكرة الوزارة الائتلافية وفشل اجتماع الزعماء فى الوصول الى حل مناسب ..

فى آخر لحظة بذل فاروق محاولة مع أمريكا .. تذاع اليــوم لأول مرة ..

برقية رقم ٥١٣ بتاريخ ٦ فبراير

بطبيعة الحال كنت على اتصال بوزير الولايات المتحدة المفوض فى مصر طوال الأيام الماضية . وقد أبلغته بتفاصيل تطورات الموقف يوما بيوم .

اســتدعى الملك فاروق الوزير الأمريكى المفــوض ــ مستر كيرك ــ وذلك قبل لقائى بالملك فى التاسعة من مساء تلك الليلة ــ ٤ فبراير ــ وقد أبلغنى مستر كيرك بما جرى .

قال فاروق لكيرك :

ــ ان مصر وهى دولة صغيرة اعتدى على استقلالها بواسطة بلطجة بريطانيا العظمى .

وكان مستر كيرك قد استشارنى تليفونيا قبل ذهابه .

وقد رفض ان يجره الملك بهذه الطريقة .

قال لجلالته فى حزم :

ــ ان كل عمل فردى أو عام . وكل قرار شخصى او عام يجب ان يكون له هــدف واحد ، وحافز واحــد وهو تحقيــق النصر لحليف مصر .

.. وكانت هناك محاولة لنشر اعتقاد عام بأن الوزير الأمريكى المفوض قد استدعى للوساطة .. ولكن الوزير حرص على أن يبلغ الجميع بغير استثناء ، بما فى ذلك مراسلى الصحف الامريكية ــ أن زيارته للملك كانت بناء على طلب فاروق . وأنها ــ للابلاغ ــ اى للعلم فقط .

وتعليق مستر كيرك على المسألة كلهــا أننا اتخذنا الاتجــاه الصحيح .. وأن الملك فاروق لم يكن ليعتزل العرش » .

***

تمضى الأحداث فى طريقها .. وسط ظلام الحرب .. واليأس والاستسلام فى التاسعة من مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ .

الدبابات البريطانية تحيط بالقصر ..

القيادة البريطانية تعزل عابدين تماما خوفا من تحرك الجيش .

السفير البريطانى ووزير الدولة والجنرال ستون يسرعون الى قصر الملك . واسماعيل تيمور كبير الأمنــاء يستقبلهم فيزيحه السفير جانبا قائلا أنه يعرف طريقه .

٣ دبابات تقتحم باب القصر .. ويتم تجريد أحد الحراس من سلاحه لأنه فكر فى المقاومة ..

والذين تكلموا من المصريين عن الحادث ــ أثناء حكم فاروق ــ

أعطوا صورة بطولية لفاروق الذى رفض التضحية بالعرش ليدخل التاريخ .

والحقيقة أن الملك يوم ٤ فبراير استسلم للانجليز الى الأبد ! ولم تجد الصورة البطولية التى رسمت له فى اخفاء هذه الحقيقة أبدا كما تقول كل البرقيات السرية .

وقد أرسل لامبسون الى لندن برقية مختصرة بعد منتصف الليل بأن الملك قد استدعى النحاس لتأليف الوزارة ..

ثم سهر لامبسون يكتب الوصف الكامل للمأساة التى تمت بليل ..

* * *

برقية رقم ٤٩١ كتبت مساء ٤ فبراير وارسلت بتاريخ ٥ فبراير ١٩٤٢ .

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

عاجل

١ — انكم قد ترغبون فى الاطلاع على بيان كامل عن أحداث هذا المساء الجدير بالتسجيل فى حد ذاتها .

٢ — فى الساعة التاسعة مساء وصلت الى القصر بصحبة الجنرال ستون ومجموعة كبيرة من الضباط الذين تم اختيارهم بعناية وكانوا مدججين بالسلاح .

وقد مررنا ونحن فى طريقنا الى القصر وسط صفوف من سيارات النقل العسكرية — التى كانت تلوح وسط الشوارع المظلمة — وهى تشق طريقها لاتخاذ مواقعها حول القصر .

واستطعت أن أرى من بعيد الذهول على وجه كبير الأمناء الذى

استقبلنا عند مدخل القصر ، فان وصولنا بهذا الشكل المثير قد أحدث تأثيرا أوليا على الفور .

وبينما كنا ننتظر فى الطابق العلوى استطعت أن أسمع هدير الدبابات والسيارات المدرعة التى كانت تتخذ مواكزها لتطويق القصر .

ومن حركة أمناء القصر ذهابا وايابا كان الانسان يستطيع ان يدرك ان هذا خلق جـوا مثيرا وزاد من حالة الترقب للأحداث القادمة .

٣ ــ نتيجة لذلك تأخر استدعائى الى غرفة الملك لمدة خمس دقائق . وكنت على وشك أن أقول اننى غير مسـتعد لتركى أنتظر ، عندما دعيت للدخول .

وقد حاول كبير الأمناء أن يعترض طريق الجنرال ستون ولكننى نحيته جانبا ودخلت الى حضرة الملك دون مزيد من الضجيج .

٤ ــ كان من الواضح أن الملك أخذ على غرة . واقترح بقاء حسنين باشا أثناء المقابلة فوافقت على ذلك .

٥ ــ دخلت فى الموضوع مباشرة .

قلت انى كنت أتوقع ردا بنعم أو لا قبل الساعة السادسة مساء على رسالتى التى بعثت بها هذا الصباح .

وبدلا من ذلك أحضر لى حسنين باشا فى السادسة والربع رسالة لا أستطيع الا أن أعتبرها رفضا .

ويجب أن أعرف الآن ، هنا ، ودون أية مواربة ، ما اذا كان معنى هذه الرسالة هو لا .

حاول الملك فاروق أن يجادل ولكنى قطعت عليه الطريق وقلت باستنكار متزايد ان الأمور خطيرة للغاية وانى أعتبر الجـواب بالنفى . وبناء على ذلك فسأشرع فى مهمتى .

وقرأت له بتأكيد شديد ، وغضب كبير ، البيـــان الذى تتضمنه برقيتى التى ستلى هذه مباشرة .

وفى النهاية قدمت اليه خطاب التنازل عن العرش . وقلت ان عليه توقيعه فورا والا فان لدى المزيد من الأشياء غير السـارة التى سأواجهه بهـا .

٦ ــ تردد الملك فاروق لحظة . وأعتقد أنه كان سيوقع الخطاب لولا تدخل حسنين الذى تحدث اليه باللغة العربية .

وبعد فترة توتر ، تطلع الملك الذى كان التهديد قد روعه تماما ، وطلب بشكل يثير الشفقة ، ودون أى مظهر من مظاهر الشجاعة التى كان يبدو بها من قبل ، أن أعطيه فرصة أخرى .

اجبته انى ينبغى أن اعرف ، على وجه التحديد ، اقتراحه .

وكررت سؤالى بشكل قاطع فأجاب ان اقتراحه هو أن يستدعى النحاس ــ وفى حضورى اذا رغبت ــ لأبلغه بتشكيل حكومة جديدة .

وبعد أن تأكدت أنه يعنى حكومة يختارها النحاس ، ترددت ، ثم قلت أخيرا :

ــ رغبة منى فى تجنب أية تعقيدات يحتمل حدوثها فى البلاد ، فانى مستعد لاعطائه فرصة واحدة أخيرة ولكنه يجب أن يتصرف بسرعة .

قال الملك فاروق بانفعال واضح أنه بشرفه ، ومن أجل خير بلاده فانه سيستدعى النحاس فورا .

٧ ــ قلت موافق .

٨ ــ جاهد الملك فاروق لكى يبدو متفاهما ورقيقا . بل شكرنى شخصيا لأنى حاولت مساعدته دائما .

٩ ــ تركناه عندئذ ، واجتزنا ردهات القصر التى كانت تغص بالضباط البريطانيين وأمناء القصر الذين كانوا أشبه بمجموعة من الدجاج المذعور .

وكان نفس الشيء عند مدخل القصر ، فى الطابق الأسفل . ولم يكن فى مشـــهد الجنود البريطانيين ، المتجهمين ، فى خوذاتهم الحديدية ، وبنادقهم ، ومدافعهم الرشاشة ، ما يبدد انزعاج هؤلاء الأمناء .

وعندما انطلقنا بالسيارات خارجين ، من فنـــاء القصر ، مررنا بالأشباح الكئيبـــة للدبابات والســـيارات المدرعة ، التى كانت تصطف على استعداد للعمل ، كان المشهد مثيرا .

وأود هنا أن أشيد بكفاءة الترتيبات العسكرية التى لم يكن من الممكن أن تكون أفضل ، أو عملية بطريقة أكثر . لقد سارت هذه الترتيبات دون أى خلل .

١٠ ــ عندما عدت الى السفارة تلقيت رسالة تليفونية من حسنين تعكس قلقا ، ولكنها مسلية وملطفة للجو .

سأل حسنين عما اذا كان يمكن ــ الآن ــ سحب القوات ، لأن جميع المنافذ الى القصر قد سدت ، ولا يستطيع أحد الوصول ، بما فى ذلك النحاس .

وعدت بالنظر فى الأمر .

وبعد نصف ساعة ، وصل النحاس الى دار السفارة بعد أن استقبله الملك فاروق الذى تصرف بسرعة ، وفاء لوعده .

وقد كلف الملك فاروق النحاس بمقابلتى .

وجرى بيننا حديث مرض حضره وزير الدولة .

قلت انه ينبغى أن أتراجع الى الظل مرة أخرى حتى يشكل النحاس حكومته ، ونستطيع ــ عندئذ ــ اجراء محادثات عمل .

وافق النحاس ، تماما ، على أن العناصر الشريرة فى القصر وخارجه ينبغى استئصالهـــا .

وأكدت أن رغبتى كانت ، ولا تزال دائما ، أن ابقى وراء الستار، بقدر الامكان ، واتركه يتخذ الاجراءات الضرورية التى يراها .

١١ ــ وفيما يتعلق بأحداث هذا المساء ، فأعترف انه لم يكن من الممكن أن أستمتع بهـــا ، أكثر مما استمتعت .

كان هناك اغراء شـــديد على أن أصر على تنـــازل الملك عن العرش . وأعتقد أنه كان يمكن الحصول عليه .

ولكن الطريق الحكيم كان يكمن ــ فيما يبدو ــ فى السماح له بدعوة النحاس « وأنا أعترف بذلك على مضض » .

ولو أنه كان قد وافق فى السادسة مساء لكنا قد قبلنا هـــذا الحل بسرور . ولم يكن تأخر فى موافقته لمدة ٣ ساعات ليبرر فرض عقوبة تتمثل فى عزله مهما كان فيها من اغراء . كما لم يكن هذا ليدعم قضيتنا أمام الرأى العـــام فى مصر والخارج من أجـــل علاج أكثر فعالية .

وبالاضافة الى ذلك فقد كنت أدرك أن علينا نحن الجانب المدنى أن نتجنب اى حرج لقادتنا العسكريين الذين ــ اكرر القول ــ لعبوا أنبل دور طوال العملية « وهذه النقطة أبداها وزير الدولة قبل مغادرتى السفارة الى القصر » .

ومهما كان الأسف ، فانه يبدو أن الطريق السليم كان يتمثل فى قبول الاستسلام الذليل من جانب الملك بموافقته على طلبنا الأصلى دون قيد أو شرط . وهذا يبدو أكثر وضوحا من زاوية أننا حققنا انتصارا كاملا . لقد كان قرارا صعبا ، ولكننى آمل أنكم سترون أنه كان صائبا فى مجموعه .

واود ، فى الختام ، أن أسجل تقديرى الحار لمـــا أبديتموه من

حكمة ترك حرية تقدير الأمور لى ، كما أسجل شعور الاعتراف بالجميل لوزير الدولة لتأييده ومشورته .

* * *

برقية رقم ٤٩٠ كتبت مساء ٤ فبراير وأرسلت بتاريخ ٥ فبراير
من السير مايلز لامبسون
الى وزارة الخارجية

سرى
فيما يلى ، ولأغراض التسجيل ، نص خطاب التنازل عن العرش الذى وضع أمام الملك فاروق ليلة أمس . واننى مدين للسير مونكتون لمساعدته التى قدمها للمستشار القانونى فى صياغة هذا الخطاب :

« نحن فاروق ملك مصر

حرصا منا على مصالح بلادنا ، فاننا نتخلى ونتنازل ـ بالنسبة لنا ولورثتنا ـ عن عرش مملكة مصر ، وعن جميع حقوق السيادة والامتيازات والسلطات على مصر ، ورعاياها ، ونعفى ـ بالتالى ـ هؤلاء الرعايا من ولائهم لنا » .

صدر بقصر عابدين فى الرابع من فبراير عام ١٩٤٢ .

* * *

برقية رقم ٤٩٢ كتبت مساء ٤ فبراير وأرسلت ٥ فبراير

من السير مايلز لامبسون .

الى وزارة الخارجية

اشارة الى برقيتى رقم ٤٩١ .

فيما يلى نص البيان الشفهى الذى قراته على الملك فاروق .

« كان واضحا منذ زمن طويل أن جلالتكم تخضعون لتأثير مستشارين ، ليسوا غير مخلصين ــ فحسب ــ للتحالف مع بريطانيا العظمى . بل انهم يعملون بالفعل ضد هذا التحالف ويساعدون ــ بذلك ــ العدو .

ان موقفكم ، وموقف معاونى جلالتكم ، يمثل انتهاكا للمادة الخامسة من معاهدة التحالف التى يتعهد فيها كل طرف من الطرفين الساميين المتعاقدين على الا يتبع ــ بالنسبة للدول الأجنبية ــ موقفا لا يتمشى مع التحالف .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد تسببتم جلالتكم ، بطريقة جائرة ، لا مبرر لها ، فى اثارة أزمة بشأن قرار اتخذته الحكومة المصرية تلبية لطلب قدم اليها ، وتبرره المادة الخامسة من المعاهدة .

واخيرا ..

فانه بعد أن فشلتم فى تشكيل حكومة ائتلافية فقد رفضتم جلالتكم أن تعهدوا بتشكيل الحزب السياسى الرئيسى الذى يتمتع بتأييد عام البلاد . ويعد ــ نتيجة لذلك ــ الحزب الوحيد الذى يمكنه مركزه من ضمان استمرار تنفيذ المعاهدة بروح الصداقة التى وضعت المعاهدة فى ظلها .

ان هذا التهور ، وعدم المسئولية ، من جانب الملك يعرضان أمن مصر والقوات المتحالفة للخطر . وهما يوضحان أن جلالتكم لم تعودوا أملا للبقاء على العرش » .

***

ويستأنف النحاس الحديث لوصف رد فعل الانذار :

ــ جاء الرد وهو أن السفير يبلغ جلالة الملك أنه حاضر الساعة ٩ مساء اذا لم يعدل الملك عن رأيه .

قلت :

ــ هذا الرد خطير .. ولا يخاطب جلالته بهذه الصيغة .

فقالوا لنا :

ــ كونوا على استعداد لنطلبكم .

فرجعت الى بيت أحمد بك حسين .. وهناك اتصل بى محمد زكى على باشا من الحزب الوطنى وهو صديقى .. وصديق حسنين باشا وقال :

ــ سمعت بالخبر .

قلت :

ــ خير ..

قال :

ــ الراجل الانجليزى ــ السفير ــ راح بالدبابات فى سراى عابدين وحاصرها والحالة خطيرة جدا .

قلت :

ــ أنا آسف جدا لأن الحالة وصلت الى هذا .. وقد تنبأت بها.

* * *

ويستأنف النحاس الرواية :

طلبت الى القصر فى نفس المساء ويمكن الساعة ٩٫٣٠ مساء .

كنت مستعدا .

ولم أجد الدبابات ولا حاجة فى ساحة السراى .. والحالة طبيعية .

دخلت فوجدتهم مجتمعين .. يقصد الزعماء .

سألت :

ــ ماذا جرى ؟

قالوا :

ــ جاءت دبابات ثم انصرفت والحالة خطيرة .

وفى محضر الاجتماع الذى نشرته أحزاب المعارضة ومحمود حسن باشا كبير المستشارين الملكيين قيل ان النحاس أعلن أنه لم ير الدبابات فرد عليه اسماعيل صدقى قائلا :

ــ نعم يا باشا .. لأنك جئت متأخرا بعد ان انصرفت الدبابات .. حتى لا تراها .

***

ويستأنف النحاس الادلاء بشهادته :

قلت للحاضرين :

ــ هذا نتيجة عملكم لأنه كان اندفاعا بغير حكمة .

ثم شرف جلالة الملك فقال لى :

ــ اعتبر انه لم يحصل شىء فى هذا اليوم . وان كل ما حصل كأن لم يكن .. أو هو لم يكن .. وانا أعهد اليك يا نحاس بتأليف الوزارة .. ووطنيتك تقضى أن تستعمل الحكمة فيها .

قلت له :

ــ اسمح لى أن أقول انى لا أستطيع تأليفها بحال .

فقال جلالته :

ـ أمرتك وأنا الملك .

قلت :

ـ لا أستطيع يا جلالة الملك .

قال :

ـ أنت تستطيع وتعتبر أنه لم يحصل شيء .

قلت :

ـ ما هى الظروف التى دعت الى تغيير هذا الموقف .

قال :

ـ آمرك .

قلت :

ـ أسمح لى ألا اقبل .. وعلى الخصوص فقد تعهدنا أنه اذا دعى أحدنا الى تأليف الوزارة لا يقبل ، ولو كان ذلك من جانب جلالة الملك .

وطلبت معرفة الظروف .

قال الملك :

ـ انا صاحب الشأن ولازم تؤلفها الليلة .. وتذهب الليلة الى السفير .

قلت :

ـ مستحيل أن أذهب .

وكنت أريد أن أستريح لأنى متعب .

فقال أحمد ماهر .

ــ ان قبل يكون ذلك على أسنة رماح الانجليز .

قلت :

ــ اخرس .. أنتم الذين جئتم على اسنة الانجليز .. ووصلتم البلد الى هذه الحالة .. والنحاس أشرف منكم كلكم .

قال الملك :

أنا آمرك .

وأراد اسماعيل صدقى أن يتكلم فقال له جلالته :

ــ اسكت .. أنا صاحب الأمر .

وكرر الملك امره لى فقلت لجلالته :

ــ امهلنى للغــد .

قـــال :

ــ انزل من هنا على السفير .

وفهمت أن حديثا دار بين جلالته والسفير لأنه مطلوب منى أن اطمئن السفير ..

وقال النحاس :

ــ ذهبت لا لأطمئن السفير .. بل لأحتج .

فقال لى السفير :

ــ قول رغبــاتك لنعملهـــــا .. وأنا لم أتكلم الا لأنك زعيم الأغلبيـــة .. ودكهم مع الخصوم ــ يقصـــد رجال القصر مع

5578

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

WAR CABINET DISTRIBUTION.

From EGYPT.

[Cypher]

From CAIRO to FOREIGN OFFICE.

Sir M. Lampson.
No. 497.
4th February, 1942. D. 9.35 p.m. 4th February, 1942.
R. 9.45 p.m. 4th February, 1942.

****

MOST IMMEDIATE.

My telegram No. 486 and last sentence of your telegram No. 602.

Hassanein brought me the following message:

On receiving the British ultimatum His Majesty The King convoked the persons mentioned in the attached [illegible] Egyptian treaty and of the independence of the country.

For this reason, and acting on their advice His Majesty cannot consent to an action resulting in an infringement of the Anglo-Egyptian Treaty and of the independence of the country."

As it was impossible to get into direct touch with Nahas who is still at the palace, Minister of State and I informed Amin of this message and asked whether Nahas (who you will see figures in the list) would take on the Government in the event of the King being forced to abdicate or being deposed. Amin swore by all his Gods that Nahas would do so. Minister of State and I decided that I should proceed with the audience at 9 p.m. as arranged and carry out the demand for the abdication of King Farouk.

Text of what I shall say to His Majesty follows.

INDIV.

رفض زعماء مصر الانذار البريطانى فى اول الأمر !

الألمـان والايطاليين ــ والحالة شـديدة علينـا والضرب فينا م الخلف لاتصالهم مع الأعداء .

وهذه الكلمات الأخيرة : هى سر ازمة كلها .. والسر الحقيقى والأساسى وحادث ٤ فبراير .

.. ولقد أصر فاروق على أن يذهب النحاس للسفير فى نفس الليلة لا اذلالا للنحاس أمام الزعماء فحسب .. ولكن اسـتجابة كاملة للانذار أيضا !

ولقد ظل زعماء مصر الـ ١٧ يتبادلون الاتهامات فيما بينهم عن حادث ٤ فبراير .. حتى آخر أيامهم .

.. سئل النحاس فى المحكمة :

ــ اتعلم رفعتكم الأسـباب المبررة لطلب الانجليز شـخصكم بالذات ، أو من ترضون عنه لتأليف الحكومة ؟

أجـاب :

ــباعتبارى زعيم الأغلبية .

ــ هل كان من الحكمة أن يتشدد السفير فى طلب تكليف رفعتكم بتشكيل الوزارة دون علمكم ؟

ــ كنت ضد الانجليز فى فترة الوزارة .

ــ هل حصل تدخل ؟

ــ كنت ضد التدخل من الجانبين ــ يقصد القصر والانجليز ــ ولذلك كانت الأحوال تسوء ، وأريد التنحى وأبقى فى ظـروف مخصوصة .

ــ بعد التشكيل الوزارى ، هل منعت نشر الظـروف التى احاطت بتشكيل الوزارة ؟

ــ طبعا لأن بها مساسا ، ولم أعرف تفاصيلها الا بعد أشهر .

ـــ هل تعتقد أن الملك حين عهد اليك بتشكيل الوزارة ، كان حرا ، أم مكرها ؟

ـــ يسأل جلالة الملك .

ـــ هل اتصل بك السفير البريطانى فى هذا الأمر ؟

ـــ أجزم أنه لم يتصل بى ، لا مباشرة ، ولا بالواسطة فى هذا الأمر .

ـــ ماذا يكون مركزه اذا رفضتم تشكيل الوزارة ؟

ـــ يسأل هو عن مركزه .

ـــ ألم يحصل تدخل من السفير بعد ذلك فى بقائكم بالحكم ؟

ـــ كنا فى شقاق مستمر مع السفارة ، وحاكم عام السودان سواء فيما يتعلق بالتدخل ، أو غيره ، وكنا نمنع هذا ونحذرهم مغبته ونحتج عليه .

ـــ الا تعلم رفعتكم ، وأنتم فى الحكم فى الفترة من ٤٢ الى ٤٤ أن السفير تدخل فى ابقائكم حاكما ؟

ـــ أنا كنت رافض أن أبقى ، وكان النزاع مستمرا بيننا وبين السفارة ، ولم نكن أحرارا لا من جانب السراى ، ولا من جانب السـفارة .

ـــ الا يذكر رفعة الباشا أنه كان يكلف أمين باشا بكافة الأوامر التى لها صلة بالانجليز .

ـــ هذا ترتيبى أنا .. وبطبيعة الحـال ، أنا عاوز أنجح فى المعاهدة فأختار الأشخاص الذين يعاونوننى ومنهم أمين عثمان .

ـــ اكان أمين باشا يتوسط بينك وبين الوزراء فى الخلاف ؟

ـــ يجـوز .

ـ ما رأى رفعتكم أذا شهد عضوان من مجلس النواب انه اتصل بكم أحد من رجال السفارة فى الصعيد .

ـ يبقى يصح لأنى لا أنفى ذلك .

ـ هل كان أمين باشا على صلة طيبة أثناء الوزارة بالسفارة ؟

ـ بطبيعة الحال باعتباره من خريجى كلية فيكتوريا .. وكانت صلته مع نزعة قوية عاملهـا الوطنية قبل الصداقة .. وأعهد فى أمين باشا أنه يقـدم الصالح المصرى على الانجليز .

ـ بعد خروجك من المقابلة الملكية ظهر الثلاثاء ٣ فبراير .. هل تقابلت مع أمين باشا فى منزل أحمد بك حسين ؟

ـ لا اذكـر .

ـ هل اعترضتم على أن السفير هو الذى حدد لكم ميعـاد المقابلة الملكيـة ؟

ـ أنا كنت بأحتج ومفروض على كل شىء .. وكنت بعيـدا عن هذه المسائل .

ـ هل قال لك حافظ رمضان باشا ان موقفك معيب فى هذه الساعة الخطيرة من تاريخ الوطن .

ـ أنا كنت ضدهم جميعا .

ـ هل صرح الدكتور محمد حسين هيكل باشا أن الانذار يهدد البلد ، وأن تأليف وزارة قومية واجب للمحافظة على هـذا البـلد ؟

ـ كل هذا قلته من قبل فى شهادتى .

ـ هل كان من المعترضين رفعة على ماهر باشا ؟

ـ لا أجيب .. لا اذكر .. واذكر أن زيور باشا هو الذى أيدنى فى موقفى .

ـ هل كان حسين سرى موجودا واعترض ؟

ــ لا أستطيع أن أجيب لأنى لم أكن عدادا أحصر كل الموجودين بأسمائهم .

ــ هل حافظ عفيفى اعترض ووصف موقفك بأنه غير مشرف ؟

ــ كنت قبل الاجتماع تطالب بوزارة محايدة ، ولما حصل الاجتماع رفضت ذلك .

ــ هذا كنت أطالب به فى الماضى ، ولا أزال أطالب به .

... وكان النحاس فى المعارضة عند الادلاء بشهادته !

ــ هل قال أحمد ماهر ان واجب كل مصرى أن يحمى الاستقلال ، وكان ردك أن الاستقلال هدم من وقت اقالة وزارتك وقيام هذا العهد ؟

ــ لا أذكر الألفاظ بالضبط .. وأنا طاعن على العهد جميعه .

ــ هل معنى هذا الطعن أن الاستقلال هدم بقيام هذا العهد .

يرد النحاس على الدفاع

ــ فسر كيف شئت .

ــ هل معنى ذلك أن الاستقلال ضاع .

ــ فعلا الاستقلال ضاع .

ــ هل عاد الاستقلال يوم تقلدك الوزارة ؟

ــ الاستقلال لم يعد .. وقلت سأجتهد وأضحى بنفسى ، ولو دخلت النار .

ــ هل قلت فى رأس البر عام ٤١ ــ قبل تولى الوزارة ــ ان الجيش البريطانى من السكارى ، وأن مصر يجب أن تبحث عن حليف آخر لها .

ــ اذا كنت قلت يبقى فى الصحف . وأنا طعنت على كل حال فى رجال العهد والانجليز .

ـ هل بعد أن توليت الحكم فى فبراير ١٩٤٢ ولم يمض على خطبة رأس البر زمن طويل قبلت أن تكون فى مكان الشرف فى حفلة تستعرض فيها رفعتكم الجنود الانجليز ؟

ـ كونى أحضر يتفق مع قبولى الحكم لأستخلص شيئا لمصلحة البلد .

ـ من صاحب المصلحة فى المظاهرات التى قامت ضد الانجليز، قبل توليكم الحكم .. الوزارة .. أم المعارضة ؟

ـ أستبعد المعارضة .

ـ هل يصح أن الانجليز دبروها ؟

ـ جايز . وفى الواقع لا يدبرها الانجليز ضد انفسهم الا اذا كانوا أرادوا أن يتخذوها سندا للتدخل .

ـ هل يريد الانجليز اقامة وزارة تحافظ على حقوق الشعب .. فمتى كانوا قوامين على مصلحة الشعب ؟

ـ افهم ما تريد !

ـ انت خطبت قبل الوزارة خطبا هاجمت فيها الانجليز .. فهل خطبت خطابا واحدا تهاجمهم فيه وأنت فى الوزارة .

ـ كنت أعمل أكثر من الخطب .

ـ هل أخبرت السفير البريطانى بعد مقابلتك الملك فاروق أنك رفضت الوزارة القومية ؟

ـ ابدا !

ـ هل أخبرت أمين باشا بالذات انك رفضت الوزارة القومية ؟

ـ كنت أقول لكل من يقابلنى ، ولا أعرف ان كان أمين من بينهم أم لا .

ـ هل جاءك على محطة قنا انجليزى وقال لك انه يسره أن يتشرف بمصافحة الرجل الذى سيكون قريبا جدا فى السلطة ؟

— الناس كلها تقول ، ولا أعرف اللغة الانجليزية .

— هل تعرف الظروف الخاصة التى أدت الى ادخال أمين باشا الوزارة ؟

— لا أذكر بالضبط الآن .

وكان النحاس وهو يؤدى الشهادة فى الثامنة والستين من عمره .. وقد ظل حتى مات وعمره ؟ ينفى أنـــه كان يعـــلم بما جرى قبل توليه الوزارة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ !!

***

وسئل على ماهر عن ٤ فبراير فقال :

هذه العملية مدبرة كلها داخل القصر المصرى ، ولابد أنه اشترك مع السفير بعض المصريين ، وبعض رجال السراى .

— هل التدخل البريطانى من العوامل التى أدت الى استقالة سرى باشـــا ؟

— لا .. لأن سرى كان متفقا تمـــام الاتفاق مع السفارة .. والغرض كان منع أى شخص غير النحاس من تأليف الوزارة .

***

وسئل حافظ رمضان زعيم الحزب الوطنى فقـــال :

— كان من رأيى عدم تشكيل حكومة كما حدث عام ١٩١٩ لأن هذا يعد خضوعا للتبليغ البريطانى كمـــا حدث عام ١٩ . وقد رفض النحاس كل الحلول ثم رجعوا الى رأيى وهو الرفض ، ووقعوا حتى زيور .

***

ويأتى دور حسين سرى فى الشهادة .. وهو الرجل الذى كان أول من اقترح اسم النحاس ليتولى الوزارة .

وكانت شهادة سرى أقصر شهادة أدلى بها رئيس وزارة سابق فى هذه القضية .

سأله المحامون :

ــ هل تذكر اذا كان لأمين باشا دخل ، أو علم سابق بحادث ٤ فبراير ؟

ــ هذه مسائل أعلمها كوزير داخلية ، ولا يمكن أن أصرح بهـــا.

ــ ما أثر حادث ٤ فبراير فى نفس دولتك باعتبارك مصريا ، ومن زعماء البلد .

ــ كنت أرجو ألا يكون !

ــ والأسباب ؟

ــ التدخل الفظيع من السفير البريطانى فى أعمـــال مصر ، ومظاهرة القوة حول سراى الجالس على العرش ، لا يمكن أن يترك هذا كله الا أسوأ الأثر فى نفس كل مصرى .. وهو نكبة كبيرة جدا أصابتنا . وعلى ما أذكر لا مثيل لهـــا . ولا أقدر أن أتخيل نكبة حصلت أشد منها .

ــ هل كنت تستسيغ أن يرفض النحاس كل العروض التى قدمت اليه عن تشكيل وزارة ائتلافية ؟

ــ لا لأنى كنت أحد العارضين ، واذا كان ما أعرضه غير كريم ما كنت عرضته .

ــ كيف تصف هذه الممانعة من النحاس ؟

ــ أرى أنه أخـــطأ .

ــ ألا يبدو غريبا أن يطلب سفير بريطانيـــا تعيين النحاس رئيسا للوزارة بعد حملات الوفد العدائية على بريطانيا ؟

ـــ لا ..

ـــ اذن لم يكن غريبا أن تطلب بريطانيا تعيين سياسى يهاجمها ؟

ـــ السياسة البريطانية عودتنا على ذلك .

ـــ هل كان يمكن للنحاس أن يجنب السفير هذه النكبة بقليل من انكار الذات ؟

فرجع سرى الى الحكمة التى قالت :

ـــ أنت فى حل من الرد .

فقال سرى باشا :

ـــ لا أرد .

ـــ هل نكبة ٤ فبراير من سياسة انجلترا .. أى من داوننج ستريت ؟

ـــ لا أرد ..

وجاء الدكتور هيكل باشا ليقول :

كنت فى جنازة أمين عثمان . وتصادف خروج مايلز لامبسون فقال لى ولحسين سرى .

ـــ ان من العبث أن يعتدى على أصدقاء بريطانيا .. أمثال أمين باشا .. هذا الاعتداء الشنيع .

* * *

و .. أثناء المحاكمة قال المدعى بالحق المدنى .. أرملة أمين عثمان وابنته :

— من من الآخرين ، لم يفعل مثله .

ولم يكن هذا دفاعا عن أمين عثمان بقــدر ما كان ادانة لهم جميعــا .

***

وبعد ماذا يبقى للتاريخ من تلك الليلة ؟

رفض فاروق التضحية بالعرش ويدخل التاريخ .

ورفض النحاس التضحية بالوزارة ويحتفظ بالتاريخ .. تاريخه .. وتاريخ الوفد .

واستسلم الجميع .

وسهر الذين دبروا الحادث فى دار الوزير الامريكى المفوض — كيرك — يتناولون العشاء .

.. كان ضيف الشرف داف كوبر وزير الاعلام البريطانى السابق والمندوب السامى فى سنغافورة .

وقد وصف كوبر مشــهد الســفير البريطانى ووزير الدولة البريطانى المقيم فى الشرق الأوسط ، وقائد القوات البريطانية ، ورئيس البعثة العسكرية البريطانية لتدريب الجيش المصرى الخ . وصف كوبر مشهد الجميع .. وحديثهم أثناء العشاء فى ساعة متأخرة من مساء ٤ فبراير فقال فى مذكراته .

« ان الجميع كانوا كممثلين انتهوا من حضور العرض الأول لرواية اشتركوا فيها ، وكانوا يستذكرون أحداثها ، وأدوارهم فيها ، ويتساءلون :

— هل نجحت الرواية .. وهل نجح الممثلون أم فشلوا ؟

وكان رأى لامبسون أن النجاح محدود لأن فاروق لا يزال يجلس على عرش مصر . فان السفير البريطانى كان يفضل عزل فاروق وتعيين محمد على ولكنه اضطر للمحافظة على وعــده للجنرال

ستون القـــائد البريطانى وللوزير البريطانى المقيم ليتلتون اللذين قالا له :

ــ ماذا ستفعل اذا وافق الملك فى آخر لحظة على قبول الانذار؟

فقد كان هناك خوف من أن يتحرك الجيش المصرى وأن يضرب العمال المصريون فى المعسكرات البريطانية وكذلك الموظفون .

***

وسجل مونكتون مدير الدعاية البريطانية فى الشرق الأوسط ، وهو مستشار قانونى كتب قبل ذلك اقرار تنازل ادوارد الثامن ــ دوق وندسور ــ عن العرش ، أحداث ذلك اليوم فقال :

ان الملاحظة الوحيدة للملك هى نوع الورق الذى كتب عليـــه التنازل فان فاروق رأى أن نوع الورق لا يليق بجلالتـــه .. ولا بالمناسبة .

***

ولم يقع لمصر .. ومن أجل مصر .. فى ذلك اليوم شـهيد .

.. ولم يصبح أمين عثمان باشا رئيس لوزراء مصر .. كما كان الانجليز يعدونه .. وكما شهد بذلك على ماهر نقلا عن أقوال بعض المسئولين البريطانيين فى مصر .

***

ولم يتوقع النحاس أن تكون مسألة ٤ فبراير .. وما تلاها من تطورات .. مقدمة لثورة ، أو حيثيات ثورة .

قال أثناء الشهادة :

ــ الاصلاح .. أى الطفرة ، لا أنصح به ، لأنه يوجد ارتباكا كثيرا .

وقيل للنحاس داخل المحكمة :

ـ هل اطلعتم على ما نشرته الصحف من خطاب أمين عثمان باشا من أن العلاقة بين مصر وانجلترا هى علاقة زواج كاثوليكية.

أجاب النحاس :

ـ نعم قرأته .. وأنا معجب بهذا التشبيه لأن الزوجة تؤثر على زوجها ..

ولم تكن مصر فى تلك الأيام المريرة زوجة .

ولم تكن حتى جارية !

* * *

وعرف أنتونى ايدن بما جرى فى مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ فأبرق لسفيره فى القاهرة :

برقية رقم ٦٢١

بتاريخ ٥ فبراير ١٩٤٢

من وزير الخارجية الى سفير صاحب الجلالة الملك .

القاهرة

شخصى

أهنئكم بحرارة . كانت النتيجة تبرر حزمكم وثقتنا بكم .

الطربوش

توقيت الانذارات البريطانية لمصر عجيب .
وطريقة هذه الانذارات أعجب .. وأغرب .
وعدد الانذارات السرية ربما يفوق الحصر ! ..

ولكن الانذارات العلنية تقدم دائما فى المساء .. والذى يوجهها رجل دبلوماسى ، ولكنه يجىء فى مظاهرة عسكرية . اما قائد الجيش البريطانى فلا يقدم بنفسه انذارا فى معظم الاحوال لأن الانجـليز يحرصون على التقاليـد الدبلوماسـية وهم ينذرون ويهددون .

وفى كل الأحوال فان الانذار يطلب تغيير الوزارة المصرية .

قبل الاحتلال .. وفى مساء ٢٥ مايو ١٨٨٢ قصد قنصل انجلترا

ـ وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى جاء مع المندوب البريطانى قنصل فرنسا ـ الى الخديو توفيق .. وقدما له مذكرة يطلبان فيها استقالة الوزارة وابعاد عرابى .. الخ .

وكان الأسطول البريطانى فى ميناء الاسكندرية ينتظر النتيجة ، ويستعمل مدافعه وقواته عندما رفض مجلس الوزراء برئاسة عرابى قبول الانذار .

وانتهى الأمر بتحقيق الهدف الأصلى وهو احتلال مصر .
وتخلى الخديو عن عرابى .. أثناء المعركة والقتال والحرب .

* * *

وبعد ١١ سنة من الاحتلال وفى ١٧ يناير ١٨٩٣ وجه اللورد كرومر انذارا الى الخديو عباس حلمى الثانى كما رأينا يطلب عزل رئيس الوزراء حسين فخرى باشا .. فعارض الخديو فى أول الأمر ولكنه استسلم بعد ٣ أيام !

* * *

وبعد الاستقلال وفى الخامسة من مساء السبت ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ جاء المندوب السامي اللورد اللنبى الى رئاسة مجلس الوزراء فى مظاهرة عسكرية حيث قابل رئيس الوزراء سعد زغلول ــ بعد اغتيال سيردار الجيش المصرى السير لى ستاك حاكم السودان .

وطلب اللنبى سحب الجيش المصرى من السودان .. الخ .

ولكن سعد زغلول كتب فى مذكراته يقول ان الهدف الأول كان اسقاط الوزارة ولو أدى الأمر الى تخريب البلاد وتدميرها .

واستقال سعد ..

وجلس بعده فى مقعد رئيس الوزراء أحمد زيور باشا .. فقبل الانذار البريطانى ووافق على سحب الجيش المصرى من السودان .. الخ . وأعلن أن سياسته هى انقاذ ما يمكن انقاذه .. ولم يبق ما يمكن أنقاذه الا الشكل .. ملك وبرلمان وحكومة مصرية .. أما السلطة الحقيقية فبقيت فى يد الانجليز .

وزيور هو الرجل الذى فرضه بيترسون بعد ذلك رئيسا لديوان الملك أحمد فؤاد .. وفى ٤ فبراير يكون زيور مع النحاس هما اللذان رأيا قبول الانذار البريطانى .

ويكون الانذار الثالث فى مايو عام ٢٧ قدمه اللورد لويد جورج ليمنع مصر من زيادة عدد قوات الجيش ويطلب اعطاء المفتش العام البريطانى سلطة القيادة العليا للجيش .. ويقبل الانذار .

ويوجه اللورد لويد الانذار الرابع لثروت باشا رئيس الوزراء يوم ٤ مارس ١٩٢٨ حين رأى رفض مشروع معاهدة تشمبرلين .. وتستقيل وزارة ثروت .

ويتسلم مصطفى النحـاس الانذار الخامس بشـأن قانون الاجتماعات ..

ويوجه لامبسون الانذار السادس لفاروق لعزل على ماهر .. كما يقدم اليه أقسى الانذارات يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى لا يطلب فيه السودان .. أو .. أو .. أو .. بل لتعيين رئيس وزراء ترضى عنه بريطانيا !

وجاء النحاس بعد انذار ٤ فبراير ليستمر فى الحكم ٣٢ شهرا .. وهى أطول وزارات الوفد عمرا على الاطلاق !

* * *

ماذا فعل فاروق بعد حادث ٤ فبراير .

وماذا فعلت الأسرة المالكة ..

ما موقف السفير .. وما موقف الوفد .

وأحزاب المعارضة التى اتهمت النحاس بأنه جاء الى الحكم على أسنة الرماح البريطانية ..

ماذا جرى فى مصر خلال شهر فبراير .. وبعد حادث ٤ فبراير

هذه هى المـأساة الأكثر ايلاما من الانذار وحصـار الدبابات وفرض وزارة على مصر .

هنا المرارة الحقيقية التى يحس بها كل مصرى حتى الان ورغم مرور أكثر من ثلاثين عاما على كل ما جرى ..

* * *

ولنبدأ بالأسرة المالـكة .

هذا هو الأمير محمد على ولى العهد ، والذى رشح ملـكا أثناء حادث ٤ فبراير والذى طلب قبل ذلك عند وفاة الملك أحمد فؤاد أن يصبح الوصى الوحيد على العرش .. يزور السفير البريطانى فى دار السفارة ويقضى ساعة مع السفير فى دردشة طويلة ..

قال محمد على للسير مايلز لامبسون :

ــ كان صوابا ما فعلتم اذ جئتم بالوفد . ان الوفد هو الوحيد الذى يستطيع انقاذ الموقف .. ولكن كان يمكنكم أن تحققوا أيضا شيئا أفضل وهو أن تصروا على تمثيل مناسب لأحزاب المعارضة فى البرلمان والا أصبح النحاس ديكتاتورا .

أجاب السفير بأن للنحاس عذره ..

ويقر ولى العهد بأن بعض العذر للنحاس !

ويشير الأمير للاسرة المالـكة المصرية فيقول للسفير البريطانى:

ــ ان هذه الأسرة متحللة ، ولا أمل فيها أبدا .. باستثناء الأمير عمر طوسون ، والأمير يوسف كمال .. وأنا ــ أى الأمير محمد على نفسه ــ .

ويعلق السفير لحكومته لا للامير قائلا :

ــ هؤلاء طاعنون جدا .. فى السن !

ويضيف ولى العهد قائلا :

ـ ان باقى أفراد الاسرة المالـكة لا يستحقون شيئا ولا قيمة لهم .. وحتى ابن أخى الأمير محمد عبد المنعم الذى كنت أعلق عليه آمالا ، والذى يلينى ـ أى يلى الأمير محمد على فى ولاية العرش ـ ضعيف وتافه .

ويوضح محمد على تشاؤمه بالنسبة لتتابع الذين يرثون ولاية العرش فيما عدا طفل هو ابن الأمير عبد المنعم الذى يمكن أن يضم الى مجلس الوصاية !

اما الملك فاروق فرأى الأمير محمد على فيه أنه لا يمكن اصلاحه.

***

ان أحداث ٤ فبراير كانت صدمة لفاروق فى حينها ولكن خلال أسبوع لم يبد من فاروق ما يدل على تقديره للموقف أو ما يثبت أنه يعرف أن الانجليز جادون .

وقال محمد على أن أفراد الاسرة المالـكة صباح ٥ فبراير كانوا خائفين ، يرتعدون .. متوقعين الاعتقال بين لحظة وأخرى .. وكان أكثرهم خوفا الأمير عبد المنعم ومحمد طاهر باشا .

ويختم ولى عهد مصر حديثه عن الأسرة المالكة قائلا :

ـ ان سـيدات الأسرة المالـكة لسن أقل سـوءا وهن غير مخلصات للانجليز .. مثل رجال الأسرة .

وبهذا شهد شاهد من الأسرة لدى السفير ..

***

ويزحف الشاهد الثانى من جنيف الى القنصلية البريطانية !

والشاهد الثانى هو ابن العم الثانى للملك فاروق ..

انه الخديو السابق عباس حلمى الثانى الذى عزله الانجليز فى بداية الحرب العالمية الأولى لميوله نحو تركيا .

ويروى القنصل البريطانى فى جنيف نص الحديث الذى جرى بينه وبين خديو مصر السابق .

ان عباس حلمى لم يعد يحمل فى قلبه حقدا للانجليز .. وقد تفتحت عيناه على الشخصية الحقيقية لهم وأصبحت رغبته الوحيدة أن يؤذى النازيين وأن يلحق الأضرار بهم على قدر ما يستطيع .

انه — عباس حلمى — يقول للقنصل البريطانى :

— لازلت آمل ، كما تمنيت دائما أن تتحرر مصر من النفوذ الأجنبى ، ولكنى أصبحت مؤمنا أن ذلك لن يتحقق الا اذا كان لمصر جيش قوى يستطيع حماية الاستقلال .

انى أعرف النحاس جيدا ، ولا أقدر كفاءته كثيرا ولكنه الرجل الوحيد المناسب فى الظروف الحاضرة .

ان أصدقائى الوطنيين كثيرون فى مصر أستطيع اقناعهم بالعدول عن آرائهم ليؤمنوا معى بأن الجهد الوطنى يجب أن ينصرف الى تأييد النحاس .

ويترح عباس حلمى الخديو السابق أن يسافر الى لشبونة بعد اتخاذ الاجراءات الضرورية . وفى البرتغال سيشعر بالأمن من العداء النازى وهو مستعد للمساعدة فى أهداف بريطانيا وبالطريقة التى تراها .. وكان من بين اقتراحاته أن يوجه نداء الى العالم العربى يشرح فيه حقيقة النازية وتهديدها للثقافة الاسلامية والدين الاسلامى والمؤسسات السياسية .

وكل ما يخشاه الخديو السابق أن يشتبه فى أن الانجليز يدنعون له أجرا ، أو يعتقد أحد انه فعل ذلك لأن الالمان رفضوا تأييده ضد فاروق .

وأكد من جديد أنه لم يعد له طموح سياسى وأن كل ما يبغيه هو مساعدة بلاده فى ساعة الشدة . ويطلب لقاء مسئول بريطانى

فى لشبونه ليبحث معه التفاصيل . ويضيف أن الالمان عرضوا عليه السفر الى باريس .. وأنهم يرحبون بزيارته لبرلين ولكنه رفض. وقال القنصل البريطانى أن عباس حلمى فى رعب شديد !

ويعلق السير موريس بيتر سون وكيـل الخارجية البريطانيـة المساعد على هذا الحديث قائلا :

ــ ان الوفد العجوز يلعب معنا بهدف أن يعود الى مصرليعمل فى صفنا .. أما السبب فهو أن النــازيين يؤيدون فاروق كخليفة للمسلمين ولا يريدون عباس حلمى .

ويكتب وكيل الخارجية البريطانية .

ــ اننا لن نسمح للخديو السابق أن يذيع شيئا من أية اذاعة نملكها .. وهو ممنوع من العودة الى مصر .. وقد صادر بوليس حكومة فيشى أخيرا ١١٥ ألف جنيه حاول تهريبها عبر الحـدود من سويسرا .

.. وهكذا أصبح العرش مطمعــا لابن عم الملك فى مصر .. ولابن عمه الآخر المقيم فى جنيف !

* * *

وهذا هو حسين سرى باشا .

الرجل الذى استنكر أمام القضاء المصرى حادث ٤ فبراير وقال انه نكبة ..

.. لقد ظل حسين سرى نحو شهر لا يزور السفارة البريطانية .. وأخيرا يطلب أن يجىء .. ليكون أول زعيم فى مصر يؤيد حادث ٤ فبراير ..

ويعرض عليه السفير البريطانى أن يتولى منصب رئيس الديوان الملكى .. وتولى المنصب فعلا لا فى تلك الأيام .. وانما بعــد سـنوات !

* * *

برقية رقم ٦٩٦

بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية البريطانية

سرى

١ ــ اجتمع بى حسين سرى باشا هذا الصباح بناء على طلبه. وكانت هذه على المرة الأولى التى نلتقى فيها منذ استقالته . وكان وديا كعادته دائما .

٢ ــ تحدث حسين سرى بصراحة شديدة . قال ان ما فعلناه فى ٤ فبراير كان عملا طيبا ، ولكن لا ينبغى أن يترك هكذا . ثم وجه سؤالا مباشرا :

ــ هل تريدون أن يبقى الملك فاروق ؟

وأجبت :

ــ بطبيعة الحال ، اذا تصرف باخلاص تجاهنا وهـذا شرط ضرورى .

قال سرى باشا : انه فى هذه الحالة علينا أن نبعد فورا على ماهر الذى يواصـل دوره الخبيث ، ومن بين مثيرى المتـاعب الآخرين المراغى وصالح حرب ومحمود خليل .

٣ ــ قلت له : انى أعتقد أن النحاس باشـا يعتزم أن يتولى أمر على ماهر . ولكنى أشـعر أنه ينتظر حتى يتدعم مركزه فى البلاد بالانتخابات التى ستجرى فى مارس .

أجاب سرى باشا أن هذا يعنى الانتظار فترة طويلة . وما دام على ماهر موجودا (وهو يعلم كحقيقة أنه لا يزال على اتصـال

بالقصر) فاننا سنظل نشهد « حوادث » ولن تكون علاقاتنا بالقصر سليمة على الاطلاق .

واقترح سرى ردا على سؤالى ابعاد على ماهر الى عزبته وتحديد اقامته هناك .

واذا استطاع النحاس باشا أن يرسله الى الخارج فان هــذا سيكون أفضل .

ولكن اذا رفض على ماهر ، فليست هناك وسيلة قانونية لارغامه على ذلك .

قلت انى آمل أن يطلب النحاس منه ــ أى من سرى ــ فى النهاية تولى منصب رئيس الديوان الملــكى .

أجاب سرى بقول انه يقبل حتى يتم التخلص من على ماهر » .

***

ماذا عن المعارضة .. وزعمائها الذين طلبوا رفض تشكيل حكومة وأكدوا على النحاس أن يرفض تشكيل وزارة وفدية وأن يؤلف وزارة قومية تضم كل الأحزاب .

هذا هو أحمد ماهر رئيس حزب السعديين يكتب صباح ٥ فبراير مذكرة احتجاج للسفير البريطانى ويوزعها على الناس .. قبل أن تصل الى السفير .. لأن انجلترا انتهكت استقلال مصر .

بل هذا هو النحاس نفسه يخشى من الجملة التى أطلقها أحمــد ماهر وشاعت على كل الألسنة وهى أنه تولى الحكم على أسنة الحراب البريطانية . فيسرع ــ قبل تشكيل الوزارة المصرية ــ الى السير مايلز لامبسون يقول له :

ــ هل ما جرى فيه اعتداء على استقلال مصر . عدنى أنك لن تتدخل ضد استقلال البلاد مرة أخرى .

ويجيبه السفير .. ولعله كان يضحك .

— أوعى تصدق .. هل هذا معقول . أعـــدك . وأكتب لك رسالة تنشرها على الناس .

برقية رقم ٥٠٢

بتاريخ ٥ فبراير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية فى لندن

عاجل

١ ــ تلقيت صباح اليوم رسالة من أحمد ماهر رئيس مجلس النواب يحتج فيها بلهجة عنيفة على العمل الذى تم أمس بالاصرار على تشكيل وزارة يتولاها شخص اخترناه .

وقد وصف ذلك بأنه عدوان صارخ على استقلال مصر يتعارض مع نص المعاهدة ، ويعرض العلاقات بين الدولتين لخطر بالغ .

ولمــا كان قد تم توزيع هذه الرسالة على نطاق واسع فى نفس الوقت الذى تسلمتها فيه ، فاننى لم أرد عليها .

٢ ــ بعد ذلك اتصل بى النحاس باشا وأبدى قلقا شديدا لهذه الخطوة .

وقد طلب ــ بالحاح ــ قبل أن يشكل الحكومة أن يتم تبادل رسالتين يجرى نشرهما ، ويؤكدان تمسكنا بنصوص المعــاهدة واعترافنا باستقلال مصر ، مع التأكيد بعــدم التدخل فى الشئون الداخلية . وبناء على ذلك فقد تبادلت الرسـالتين التاليتين :

٣ ــ من النحاس باشا الى (باللغة الفرنسية) .

لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذى صــدر من جلالة الملك بما له من الحقــوق الدستورية . وليكن مفهوما ان الاساس الذى قبلت عليه هذا المهمة هو أنه لا المعاهدة البريطانية

المصرية ، ولا مركــز مصر كدولة مستقلة ذات ســيادة ، يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية ، وبخاصــة فى تأليف الوزارات أو تغييرها .

وانى أؤمل ياصــاحب السعادة أن تتفضــلوا بتأييد ما تضمنه خطابى هذا من المعانى وبذلك تتوطد صلات المودة والاحترام المتبادلين وفقا لنصوص المعاهدة .

٤ ــ منى الى النحاس باشا .

لى الشرف أن أؤيد وجهــة النظر التى عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل بتــاريخ اليوم ، وأن أؤكــد لرفعتكم أن سياســة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعــاون باخلاص مع حــكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة فى تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية من غير أى تدخل منها فى شئون مصر الداخليــة ولا فى تأليف الحكومات أو تغييرها .

واننى لا نتهز هذه الفرصة لأؤكد لرفعتكم فائق احترامى .

***

ورغم احتجاج احمد ماهر .. فان الانجليز يعلمون أن هــذه كلها شكليات .. انهم لا يريدون أن يفقدوا أصدقاءهم .

والتر سمارت السكرتير الشرقى للســفارة .. والرجل الذى أمضى ٢٢ سنة فى مصر ويجيــد اللغة العربية كأبنائهــا يذهب لزيارة احمد ماهر ويقول له ما معناه :

ــ اوعى تكون زعلت .. انها الظروف .

برقية رقم ٥٣٥

بتاريخ ٩ فبراير ١٩٤٢

الى وزارة الخارجية البريطانية

من السير مايلز لامبسون

١ ــ بناء على تعليماتى توجه سكرتير الشئون الشرقية الى أحمد ماهر يوم ٧ فبراير وأبلغه انى لم استطع أن أتحدث اليه بشأن الازمة الاخيرة بسبب تتابع الاحداث بسرعة .

ونظرا لموقفه الودى المسئول فى الماضى فانى أرجو أن يقدر الاجراء الاخير الذى اتخذناه وفرضته علينا الظروف .

ان الوزراء ــ وزيرا بعد الاخر ــ وجــدوا ان المهمة الجوهرية فى التعاون معنا ، تعرقلهــا عناصر معروف ارتباطها بالقصر . وأخيرا اثيرت أزمة حول مسألة فيشى بشكل متعمد رغم أنها خلقت مشكلة خطيرة بين انجلترا ومصر .

ونتيجة لذلك فان الحكومة التى أوقفت العلاقات مع فيشى بناء على طلبنا أبعدت عن الحكم . ونظم القصر عناصر تعمل ضدنا . واغرى الشبان المضللون على تردد هتافات مثل « عاش روميل » ..

وكان من الواضح أن استمرار مثل هذه الحالة أمر لا يحتمــل . ومع ذلك فانى أرجو أن يدرك فخامتــه كم أقــدر جهوده من أجــل التعاون الانجليزى المصرى .

٢ ــ اجاب أحمد ماهر أن سياسته تجــاه موقف مصر فى هذه الحرب لا يزال كما هو . ان من رأيه حتى الان أن انتصار بريطانيا فى الحرب أمر أساسى بالنسبة لحيــاة مصر . وسيواصل استخدام نفوذه لمساعدتنا على القيام بجهودنا فى الحرب . وهو يعتبر اننا ارتكبنــا خطأ خطيرا . ومع ذلك فانه يستطيع أن يدرك انه تحت ضغط الحرب ، وبسبب لهفتنا على وجود مركز مستقر لنــا فى مصر ، فاننا قد نمضى فى عمليــات عنف ــ رغم أن هذه العمليات ليس لها ما يبررها ، فى رأيه ــ على انه سيكون من الصعب جعل أتباعه ــ الذين ليست لهم هذه النظرة الفلسفية ــ يرون الأمور من هذه الزاوية .

ومهما كان العذر الذى يمكن أن يقــدمه بالنسبة لنا ، فانه يرى انه ليس هناك أى عذر بالنسبة للنحاس باشا .

لقـد أهان النحاس الانجليز فى خطبـه العامة ، ووافق ، مع الزعماء الاخرين فى اجتماعات القصر ، على أن طلبنا يمثل تدخلا لا مبرر له .

ومع ذلك ..

قبل الحكم تؤيده الحراب البريطانية .

ان هذا أمر لن تنساه البلاد .

ان تبادل الخطابات بين النحاس باشـا وبينى لا يمكن أن يفسر الحقائق الواضحة التى سوف تستخدم ضـد النحاس باشا بصفة مستمرة .

٣ ــ وأشار مستر سـمارت الى أن الملك طلب من النحاس باشا تولى الحكم بعد الاجراء الذى اتخذناه بصفة خاصة .

سأل أحمد ماهر :

ــ ماذا كنا نفعل لو أن النحاس رفض تولى الحكم ؟

أجاب مستر سمارت :

ــ ان مثل هذا الطريق المسدود كان سيؤدى الى تعقيدات خطيرة .

٤ ــ وكرر أحمد ماهر فى عـدة مرات أن سياسته السابقة فيما يتعلق بالحرب لم تتغير نتيجة هذه الاحداث . وكانت المناقشة ودية للغاية وأعطت الانطباع بأن غيظه موجه الى النحـاس باشـا اكثر مما هو موجه ضدنا .

٥ ــ انى آمل أن يكون هذا الاتصال قد أفاد فى منع أحمد ماهر من الخروج للعمل ضدنا على طول الخط ، على الرغم من أنه وحزبه يتخذون حتى الان موقفا عنيفا ضد تدخلنا وضد النحاس باشا ..

***

وهذا هو عبد العزيز فهمى باشا .. رجل مريض جدا ولكنه يرأس ــ على الورق ــ حزب الاحرار الدستوريين ــ يكتب بدوره .. مذكرة

عنيفة يسلمها دسوقى أباظة باشا سكرتير عام الحزب يدا بيد الى والترسمارت السكرتير الشرقى للسفارة .

ولكن السفير لا يريد أن يتحد السعديون والدستوريون ضد الوفد .. أو ضد الانجليز .. كما انه ــ السفير ــ لا يريد ان يصبح الوفد ديكتاتورا ويجب ان يبقى صلة مع احزاب المعارضة ولذلك يوفد والترسمارت الى بيت الدكتور محمد حسنين هيكل باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين والذى يتولى زعامة الحزب فعلا .

هل يتحدث هيكل باشا مع سمارت عما جرى يوم ٤ فبراير ..

هل يهاجم المستشار الشرقى فى عنف كما قالت كلمات المذكرة التى وزعت على الشعب المصرى ؟ ! .

.. ان الدكتور هيكل يستقبل سمارت .. بطريقة ودية للغاية . ويرفض ان يناقش الماضى ويكتفى بالحديث عن الحاضر والمستقبل .

.. المشكلة التى يثيرها هيكل باشا ليست عدوان الانجليز على مصر .. بل عدوان مرشحى الوفد على كل الدوائر الانتخابية وترشيح انفسهم لها وتعديل الدوائر الانتخابية لمصلحة الوفديين .. وأخيرا ضرورة تخصيص مقاعد للمعارضة لا يرشح الوفد أحدا من رجاله فيها .

ان هيكل باشا يشكو للسكرتير الشرقى البريطانى من هذا كله ويقول :

ــ ان الوفد يعدل الدوائر الانتخابية ليضمن قوة انصاره ويمنع انتصار خصومه .

يرد سمارت الذى يحفظ التاريخ :

ــ ان الوفد يتبع سابقة طيبة وضعها محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار عندما تولى الوزارة فى أواخر عام ١٩٣٧ بعد اقامة النحاس .

فيجيبه هيكل باشا .

ـــ ان كل أصدقائكم فى مصر يتضررون من ذلك بما فيهم أحمد ماهر .. لابد من تخصيص نسبة من الدوائر الانتخابية للأحزاب المعارضة والا ستضطر هذه الأحزاب الى مهاجمة الوفد . على أساس انه جاء الى الحكم بواسطة الانجليز .

ويجد لامبسون الحل ..

انه يكتب الى حكومته طالبا أن توعز صحيفة التايمز الى الاذاعة البريطانية ب.ب.س. لتقدم تعليقا على عودة الوفد الى الحكم تقول فيه :

« ان الانجليز يتعاطفون أيضا مع السعديين والاحرار لاخلاصهم لمعاهدة ٣٦ أثناء اشتراكهم فى الوزارة الجديدة » .

ويطلب السفير ان تذكر بالتحديد أسماء أحمد ماهر وهيكل والنقراشى وسرى وحسن صادق وزير الدفاع السابق ! ويطلب السفير ألا تذكر أسماء على ماهر أو محمد محمود خليل أو اسماعيل صدقى باشا . لان مصالح هؤلاء أو مشاعرهم كانت مع المانيا أو ايطاليا .. أو فرنسا !

ففى تلك الأيام كانت كلمة من التايمز أو الاذاعة البريطانية تسعد زعماء مصر أو تشقيهم !

وبعد شهور يحمل أحمد عبود باشا رسالة شفوية « للتحية والشكر والرضى الكامل من احمد ماهر والنقراشى لحسن استقبال السير مايلز لامبسون لهما » .

ويقول السفير فى برقية للندن ان النقراشى سبق ان تكلم بجراءة وبنفس الروح الطيبة امام السيد سيسيل كامبل رئيس الجالية البريطانية فى مصر ومدير شركة ماركونى !

وبذلك اطمأن السفير الى موقف الأسرة المالكة وموقف المعارضة أيضا من احداث ٤ فبراير . فما دام الانجليز يحكمون مصر فان

الصفقات لم تنته بعد .. والمساومات مستمرة .. والأمل فى الحكم دائما قائم !

* * *

هذا هو أمين عثمان الوسيط بين النحاس والسفير .

رغم أنه ليس عضوا فى الوفد .. ورغم أن النحاس اشترط أن تكون الوزارة وفدية .. فانه — النحاس — يعرض على أمين عثمان ان يتولى وزارة الزراعة .. ولكن أمين عثمان يعتذر شاكرا .. بعد أن يحصل — طبعا — على اذن السفير ! .

برقية رقم ٥١٦

بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

فضل أمين عثمان ، بعد أن طلب نصيحتى ، أن يرفض تولى احدى الوزارات ، وأن يقبل تعيينـــه سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء حيث سيكون أكثر نفوذا وأكثر فائدة لنا ، باعتبار أنه سيكون ظلا ملازما للنحاس .

* * *

ولكن هذا المنصب لا يكفى رجلا مثل أمين عثمان قام بدور الوسيط فى عنفوان الازمة ..

ان النحاس يعينه فى منصب غير قابل للعزل .. بدرجة وزير .. وبمرتب ٢٥٠٠ جنيه سنويا .

والسفير يرى « ان أمين عثمان لا يحصل على صفقة مالية طيبة

بقبول هذا المنصب ، فقد تخلى عن ادارة شركات كانت تدر عليه ۷۰۰۰ جنيه دخلا سنويا » .

ولكن هل يملك أمين عثمان الكفاءة المالية لهذا المنصب ..

لامبسون يجيب فى برقية لحكومته :

« مازال علينا أن ننتظر لنرى كفاءة أمين عثمان فى الشئون المالية .. ولنرى أيضا ما اذا كان يستطيع القيام بمهام منصبه كرئيس لديوان المحاسبة بطريقة مرضية نظرا لاعماله الكبيرة كضابط اتصال بين الوزراء وهذه السفارة . وانى — شخصيا — أرى أن هذا المنصب ليس الا ستارا رسميا لوظيفته الحقيقية كضابط اتصال بين رئيس الوزراء وهذه السفارة .

وقد قال لى النحاس ذلك ..

وهذه الوثيقة تحدد نهائيا دور أمين عثمان !

***

بقى النحاس ! .

رغم الرسائل المتبادلة بين النحاس ولامبسون عن استقلال مصر وضرورة عدم تدخل الانجليز فى شئونها يذهب السفير الى النحاس فى مقر رئاسة الوزارة فيحمل المتظاهرون لامبسون على الأعناق ويهتفون له .

برقية رقم ٥٢٥

بتاريخ ۷ فبراير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

هام

١ — قمت — صباح اليوم — بأول زيارة رسمية للنحاس كرئيس للوزارة .

وقد وجدت صعوبة كبيرة فى الدخــول الى مبنى رئاسة الوزارة أو الخروج منه بسبب جموع أنصـــارة المتظاهرين المتحمسين حول المبنى .

٢ ــ دارت المناقشات بصـــفة رئيسية حول المســـائل العامة . ولكننى أشرت الى الحاجة العــاجلة للقضاء على الاسباب الأصلية لمتاعبنا .

قال لى انه عالج بالفعــل مسألة المراغى والازهر . وقال انه يقدر الحاجة الى مواجهة على ماهر ومثل هــذه العناصر الشريرة بما فى ذلك محمد محمود خليل ، وكذلك مواجهة القصر . ولكنه يفضل التعامل ــ بطريقته الخاصــة ــ مع الملك . وأيضا مواجهة مشكلة تدخل القصر بصفة عامة .

قلت : اننى أوافق علىذلكومستعد لمساعدته اذا واجه صعوبات .

وقد أفاض فى الحديث عن تصميمه على الاخـلاص للمعاهدة فى كل جانب من جوانبها وان يجمع الصفوف بصلابة وراءه . وطلب ابلاغكم تحياته الحارة .

٢ ــ تعمدت حتى الآن عــدم الاشارة الى النقــاط الواردة فى برقيتكم رقم ٥٧٢ حتى يأتى الوقت المناسب فيما بعد عندما يستقر فى الحكم .

والواقع انه يعرف هذه النقاط بالفعل لأننى نقلتها اليه عن طريق أمين كما ذكرت من قبل .

٤ ــ حدثت بطبيعة الحـــال ، التهديدات المعتادة باستخدام العنف ضـــد النحاس وضدى . ولكن هـــذا كان متوقعا . وقـــد تم اخطار البوليس .

بعد أيام يلتقى لامبسون بالنحاس فى مأدبة ويبعث السفير الى لندن قائلا :

— لقد ارسلت للنحاس أجدد تحفظى من أجل ابعاد على ماهر فورا .

قال النحاس انه يوافق اليــوم تماما على هذا الاجــراء ، ولكن المسألة مسألة توقيت . انه يريد أن يدعم مركزه بدرجة أقوى أولا .
قلت له :

— انى سمعت منك مرتين فى الماضى أن المسألة عاجلة ولا تحتاج الا الى أيام قلائل .

وأضفت الى ذلك ما ســمعته من سرى عن على ماهــر دون أن أكشف مصدر معلوماتى .

ظل النحاس يطلب وقتا ، وربما اســتطاع أن يرتب الأمر بعــد لقاءين مع الملك فاروق .

ونظرا لأننا كنا نتحــدث بالقرب من الملك فاننى لم أســتطع أن أواصل الالحاح على هذه النقطة فى ذلك الوقت ولكنى سأواصل ذلك .

٥ — وأضاف النحاس باشا انه يعتقد انكم ينبغى أن تعلموا انه يشك فى أن نشأت يدبر مؤامرات خبيثة وخاصة ضدى فى لندن . وهو لن يدهش اذا كان القصر يرسل برقيات الى نشأت من وراء ظهره . واقترح وضع حد لذلك .

وطلب فى نفس الوقت عدم الاهتمام بأى شىء يصل اليكم — أو الى أى عضو بحكومة صاحب الجــلالة — الا اذا كان عن طريقه أو عن طريق وزير الخارجية .

وألمح الى أن نشأت يحتمل أنه يتآمر مع شخصيات هامة فى لندن .. ولكنه لم يذكر أسماء .

والواقع ان نفس النبأ وصل الى عن طريق منفصل من مصادرى السرية داخل القصر .

كان السؤال الوحيد الذى وجهه تشرشل لأنتونى ايدن فى اجتماع حكومة الحرب عند نظر موضـــوع تكليف النحاس بتولى الوزارة !! هو هل سيؤدى ذلك الى انتخابات جديدة .

وكانت الندن لا تتوقع ان يلجأ النحاس الى اجراء انتخابات فى ظل جو سياسى مضطرب ، وفى جو عسكرى يميل ميزانه لصالح الالمان.

ولكن النحاس يحل مجلس النواب ويصمم على اجراء انتخابات ولا يملك سكريفنر رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية الا ان يقول « هذا الاجراء يدعو للاسف ، ولكن لابد لنا من احتماله ، والانتخابات التى يجريها الوفد أقل تزويرا من الانتخابات التى يجريها خصومه » !

ويعلق السير موريس بيترسون على هذه المذكرة قائلا :

.. هناك احتمالان :

١ ــ ان يجرى الوفد الانتخابات .

٢ ــ أو منع الانتخابات لأننا نحن وحدنا الذين نملك القدرة على ذلك وفى الحالة الثانية فان الوفد سيستعيض عن اجراء الانتخابات بعقد اجتماعات فى طول البلاد وعرضها للحصول على التأييد الشعبى وهذه الاجتماعات ستثير ضجة أكبر من الانتخابات .

ويوافق ايـــدن على رأى بيترسون بالســـماح للوفـــد باجراء الانتخابات .

وتقول برقية ايدن يوم ٩ فبراير اننا لا نستطيع أن نقترح تزوير الانتخابـــات ، ولكننا نطالب بتخفيض مقاعـــد فى المجلس لنواب المعارضة .. أى لا يرشح الوفد اعضاءه فى هذه الدوائر وتترك للاحزاب المعارضة ــ الاحرار والسعديين ــ بلا منافسة وفدية .

وتقول البرقية :

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

[CYPHER] DEPARTMENTAL (SECRET)

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

Sir M. Lampson D. 10.32 p.m. 28th February, 1942
No.696
28th February, 1942 R. 5.15 a.m. 1st March, 1942

. . . .

SECRET.

Hussein Sirry Pasha called this morning at his request. It is first time we have met since he resigned. He was as friendly as ever.

2. He spoke very freely. What we had done on February 4th was good: but it must not be left there. He then put this straight question "Do you want King Farouk to remain?" I replied "Naturally, if he will henceforth play loyally by us but that is an essential condition". Sirry Pasha said that in that case we must forthwith eliminate Ali Maher who [grp. undec. ? continues] his mischievous role. Other trouble makers were Maraghi, Saleh Harb and Mahmoud Khalil.

3. I told him I believed Nahas Pasha intended to deal with Ali Maher but that I got the impression that he was waiting till his position in the country was consolidated by the election in March. Sirry replied that that was waiting too long: as long as Ali Maher was about (and he knew as a fact that he was still in communication with the Palace) we should continue to have "incidents" and our relations with King Farouk would never get right. In reply to my question he suggested that Ali Maher should be banished to his estate and cordonned off there. If Nahas Pasha would send him abroad so much the better: but if Ali Maher refused to go there was no legal way of compelling him to go. I said that I cherished the hope that Nahas Pasha might eventually ask him, Sirry, to accept the post of the King's Chef de Cabinet. Sirry replied that in no case would he accept until Ali Maher was disposed of.

4. An hour later I [? grp. omitted] Nahas Pasha at the Palace luncheon and was able to speak to him on the lines of your telegram No.791 just in. I had in fact sent him a message only last night renewing my pressure for the immediate removal of Ali Maher. Nahas Pasha said to-day he was in complete agreement as to its necessity, but it was a question of timing. He wished to establish his position more firmly first. I told him I had heard twice from you in the past few days urging speed; and then added what I had heard from Sirry about Ali Maher this morning, of course not betraying the source. Nahas Pasha still pleaded for time - perhaps he could arrange for it after "two more audiences with King Farouk". As we were talking in near proximity to the King,

ذهب حسين سرى الى السفير البريطانى بهنئه على حادث ٤ فبراير .

هذا أفضل لأن الوفد لن يستطيع اثارة نشاط سياسى فى البلاد اذا كان الوفديون وحدهم فى مجلس النواب .. !

ويوافق النحاس على رأى لندن .

يجتمع مكرم مع ممثلى الاحرار والسعديين ويقرر ترك ٢٥٪ من الدوائر لهما مقابل اصدار بيان يسحب فيه الحزبان معارضتهما لتولى الوفد الحكم .

ويوضع البيان فعلا . ويوافق الحزبان على ما جاء فيه ويبقى التوقيع .

وهنا يحدث اختلاف على عدد الدوائر .

النحاس يرى أن نسبة الـ ٢٥٪ من الدوائر التى يرشح فيها الوفد رجاله ، تكون لأحزاب المعارضة والمستقلين أيضا .

وترفض الأحزاب ذلك وتصر على أن يكون لها ربع الدوائر بلا منافسة وفدية أو من المستقلين على الاطلاق .

وبعد أسبوع من حادث ٤ فبراير .. يبعث السفير الى حكومته برقية رقم ٥٥٧ قائلا :

لقد عدل النحاس عن تخصيص دوائر لأحزاب المعارضة مع أنه سبق أن وافق على ذلك .

والسفير يروى ما قاله النحاس بالحرف الواحد .

قال النحاس :

ــ كنت مستعدا لذلك من قبل .. أما الان فانى أرفض . لقد هاجمنى زعماء المعارضة فى اجتماعات القصر .

وهم يقولون فى كل مكان انى جئت على الحراب البريطانية .

ان كل ما أعدكم به ان تكون الانتخابات حرة ؛ ولن تكون هناك خطب أو منشورات عدائية ضد حليفة مصر .. بريطانيا العظمى

ويكتب ايدن بخط يده معلقا على هذا الحوار :

– لماذا نشكو اذن ؟

ويبعث ايدن مذكرة الى تشرشل يقول فيها :

ان موقف النحاس سيرفع درجة حرارة النشاط السياسى فى مصر وهو الأمر الوحيد الذى يدعو لشكوانا وقلقنا .

* * *

ويوعز مكرم عبيد لاحدى مجلات الوفد بنشر مشروع الخطابات التى كان يزمع حزبا المعارضة ارسالها للنحاس وفيها تبرئته من تولى الوزارة على أسنة الحراب البريطانية .. ويحس الناس بانتهازية المعارضة !!

وبعد أسبوع آخر .. وفى ١٨ فبراير يبلغ النحاس السفير بأنه عاقد العزم على أن تهزم العناصر المؤيدة للمحور فى الانتخابات .

وفى يوم ٢٢ فبراير يقول النحاس للسفير أن الخطوات ستتخذ لمنع اعادة انتخاب رئيس وزرا مصر السابق .. اسماعيل صدقى !

ويجمع النحاس المحافظين والمديرين ويطلب اليهم الاهتمام بحفظ الامن والنظام ومقاومة النشاط الهدام ضد الانجليز والطابور الخامس .

ويتلو النحاس للحاضرين منشورات ضبطت فى القاهرة ضد بريطانيا ويطلب ضبط أى منشورات مماثلة .

وتوافق بريطانيا ازاء هذا كله على عدم تخصيص دوائر خالية فى الانتخابات لأحزاب المعارضة .

ويقول السفير :

ــ من مصلحتنا الا تعرقل معارضة قوية عمل الحكومة .

وتقاطع أحزاب المعارضة الانتخابات وتطلب الى من يرغبون من الأعضاء أن يرشحوا أنفسهم كمستقلين .

ويحاول النحاس التفرقة بين الأحرار الدستوريين فيترك بعض الدوائر لمجموعة خشبة باشا وبهى الدين بركات باشا .

وتجرى الانتخابات فيفوز الوفد بأغلبية .

ويفقد أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة التأمين !

ويسقط بهى الدين بركات فى دائرته الانتخابية !

ويتوجه مكرم عبيد للسفير البريطانى يشكره لأن قرض القمح الذى قدمه الجيش البريطانى ساعد على فوز الوفد !

ويمتنع الشيخ حسن البنا زعيم الاخوان المسلمين كما تقول برقية للامبسون فى ٢٨ مارس عن دخول الانتخابات . ويكتب لرئيس الوزراء مبديا استعداده للتعاون مع الحكومة .

ويبدى الشيخ ــ البنا ــ تلميحا اخلاصه للمعاهدة البريطانية .

ويعرض أمر الخطاب على لامبسون الذى يقول فى برقيته بالحرف الواحـــد :

« هذا الخطاب تم نتيجة لمزيج من الخوف والرشوة ، وقيمتـــه مشكوك فيها ولا يعتمد عليها » .

* * *

ويبحث النحاس مسألة الاخوان المسلمين مع السفير ..

يقول النحاس للسفير :

ـــ اعطونى أسماء الاخوان المسلمين الذين تعتبرونهم أكثر خطورة وهؤلاء سأسكتهم أو أشتريهم .

فيرد السفير :

ـــ هؤلاء الرجال خطرون ولقد جانب حسين سرى الصواب عندما أطلق سراحهم . وانى أعتبر اعتقالهم هو الحل المثالى وسأستشير سلطاتنا العسكرية .

ويتردد اسم الاخوان المسلمين كثيرا فى برقيات السفير ..

فىبرقية تاريخها ٦ مارس يقول السفير ان أمين عثمان أبلغه أن النحاس يفكر فى اعتقال حسن البنا زعيم الاخوان والسكرى وكيل الجماعة .

وفى برقية أخرى بتاريخ ٢١ مارس يقول أمين عثمان ان النحاس سيتصرف مع الاخوان المسلمين لنشاطهم الخطر .. وأن هناك تقارير كثيرة تشير الى ذلك !!

ويضع الوفد برامج لتعقب كل الذين يعادون بريطانيا . .

على ماهر .. وافق النحاس على اعتقاله وتحديد اقامته .. وعندما نقل على ماهر الى السرو .. كان يقول « قنابل هتلر ولا ناموس السرو » !!

وصالح حرب وافق النحاس على اعتقاله فى أسوان .

ووافق النحاس على احالة عبد الوهاب طلعت الى المعاش . .

وأعد العدة لتطهير القصر من الايطاليين عدا بوللى .. قواد الملك !

وتزداد الغارات الالمانية على مصر .

وتنشط الدعاية الألمانية ضد الانجليز .

وفى نفس الوقت يرتكب الجنود الانجليز حوادث اعتداء ضد المصريين فى كل مكان ..

ولا يجد مايلز لامبسون ما يجيب به عندما يسأل عن سر هذه الاعتداءات الا أن يقول :

ـ ماذا يفعل الجنود البريطانيون .. ان مشهد الطربوش يغريهم بالاعتداء ..

وكان الطربوش أيامها .. رمزا لمصر كلها !

الثمن

ظن كثيرون ان انذار ٤ فبراير كان مجرد اختبار للقوة ضـد فاروق .

ولكن من يقرأ وثائق حكومة الحرب يجد أن كل شيء كان معدا فعلا لعزل الملك .

وهناك ٤ وثائق تشير الى ذلك .

الأولى من وزارة الخارجية البريطانيـة الى وزارة الدومنيون بتاريخ ٥ فبراير تطلب منها معرفة افضل الأماكن التى ينقل اليها فاروق ويقيم فيها بعد عزله .

والأماكن المقترحة هى كندا واستراليا ونيوزيلندا وان كانت وزارة الخارجية البريطانية تفضل كندا الا اذا كان هناك حرج بسبب نفى شاه ايران السابق فيها .

والثانية من وزارة الدومنيون بتاريخ ١٥ فبراير الى وزارة الخارجية وهى تشير الى ان الأزمة قد حلت ، ومع ذلك ، ولأن الايطاليين لم يبعدوا من القصر ، والحكومة البريطانية مصممة على ابعادهم ، فان وزارة الدومينون توالى اتصالاتها خوفا من أن يوجه اليها اللوم اذا لم تبحث كل الامكانيات .

والوثيقة الثالثة تشير الى اجتماع للمندوبين السامين لحكومات الدومينون فى لندن يوم ٢٦ فبراير ، بعد أن قامت أزمة جديدة بين فاروق ولامبسون .. وسنشير اليها فيما بعد .

... وهذا الاجتماع كان مخصصا لبحث مسألة واحدة وهى :

ـ أين يذهب فاروق بعد العزل .

وبدأ وكيل الخارجية البريطانية الحديث فأشار الى الأزمة وقال:

ـ أن سلوك فاروق عجل بأزمة من الدرجة الأولى عندما طلبنا اليه أن يعين رئيس الوزراء الحالى أو يعتزل .

وهناك احتمال لقيام ازمة خطيرة وحاسمة هذه المرة مما يقتضى ابعاد فاروق ، وسنضطر الى ايجاد مكان له اذا أخطرنا قبل العزل بوقت قصير .

واننا نأمل منع ، أو حل اية ازمة تنشأ فى المستقبل ، ولكن الخارجية ترى انه من الحكمة أن تعرف أين يمكن بقاء فاروق .. حتى لا يثير المتاعب .. وأيضا حتى لا يعتبر شهيدا .

أما بالنسبة لاقامة فاروق فى انجلترا ، فهناك اعتراضات وجيهة على ذلك لأن بريطانيا ستكون مسئولة مباشرة عن ابعاد فاروق فضلا عن أن ذلك سيؤدى الى مؤامرات ومتاعب بالاضافة الى أن الجو قد لا يناسبه ، وملك بريطانيا ، قد لا يرحب بوجوده !

ولقد أبدت حكومة كندا استعدادها « لايواء » شاه إيران السابق وتأمل وزارة الخارجية أن تكون كندا مستعدة لمنح حق اللجوء لملك آخر .. هو فاروق .

فاذا وافقت كندا على ذلك فان وزارة الخارجية ترى أن ذلك هو انسب مكان لأن كندا ليست مشتركة فى عزل فاروق .

.. والمؤامرات فى كندا صعبة لبعد المسافة .. والجو متنوع

ومتباين لتعدد المناطق الأمر الذى سيسر فاروق . خصوصا وان كندا آمنة .. ويمكنه أن يمارس فيها رياضة الانزلاق على الجليد .

وهناك اقتراح آخر .. جزيرة من جزر الهند الغربية .

وعلى أية حال فان المكان سيحدد على أساس طريقة رحيل فاروق عن مصر .. وستكون معاملته مختلفة اذا نحن خلعناه عن العرش .

أما اذا اعتزل فسنترك له حرية اختيار المكان .

* * *

وتخللت الاجتماع مناقشات عديدة .

وأثير شك فى أن جزر الهند الغربية ليست آمنة .

ووافق المندوب السامى الكندى فنسنت ماسى على اختيار كندا ووعد بأن يستشير حكومته .

ورأت وزارة الخارجية البريطانية أن كندا هى المكان المناسب ، وأيدت التركيز عليها .

والوثيقة الرابعة بتاريخ ١٢ مارس وفيها موافقة كندا نهائيا على اقامة فاروق .

وهذه الوثائق تدل على انه بعد ٥ أسابيع من الانذار كانت بريطانيا لا تزال تفكر فى عزل فاروق اذا لم يطرد الايطاليين وأتباعهم من القصر .

* * *

وحكاية فاروق مع لامبسون بعد ٤ فبراير طويلة ..

ان لامبسون هو الذى يسارع بالشكوى الى لندن من فاروق .

برقية رقم ٥٥٠

بتاريخ ١٠ فبراير

مرسلة من السيد مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

عاجل

١ — اجتمعت بحسنين فى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم ، لأول مرة منذ لقاء ٤ فبراير .

حاول أن يناقش الأحداث الاخيرة ولكن لم أترك له الفرصة . لقد طلبت منه الحضور لغرض محدد .

ذكرته أن الملك فاروق كان قد طلب « فرصة واحدة أخرى » . وأكد فاروق « ان ما فات قد مات » . وقد وافقت على ذلك ببعض الشكوك .

وقلت ان الملك فاروق قد أعطى كلمة شرف وقال انه يتطلع الى المستقبل . وبالاضافة الى ذلك فقد وافقت — مراعاة لمشاعر الملك — على طلبه بأن اجراءاتنا التى اتخذناها مساء ٤ فبراير ستظل سرا داخل الجدران الأربعة ، وهو تعهد احترمناه من جانبنا ولكنه لم يكن موضع احترام من جانبهم .. ذلك أن هناك حديثا يتردد الان بين المصريين عن أن الوفد فرض بحراب البريطانيين وما ينشأ عن ذلك من كلام أحمق .

وقلت .. انه لما كان حسنين باشا حاضرا أثناء اللقاء — مساء ٤ فبراير — فانه يعرف جيدا أن هذا تشويه للحقيقة . ان الحراب البريطانية كانت موجودة لغرض آخر تماما التزمنا باخلاص بعدم اذاعته (السير مايلز لامبسون يعنى هنا عزل الملك) .

وقلت انه نتيجة لما ينشر فى الدوائر المصرية من كلام فان هناك حديثا الآن عن مقاطعة خاصة ، وعن انسحاب الأعضاء المصريين

من نادي الجزيرة ، وعن حل الاتحـاد البريطانى المصرى .. ولا أعرف ما هى الحماقات الاخرى .

.. وبالنسبة لى فانى لاأكترث بمسألة انسحاب الأعضاء المصريين .. ان ذلك سيوفر علينا متاعب التأثير ــ فى المستقبل ــ على انتخابات لجنة نادى الجزيرة لضمان انتخابهم . ولكن ينبغى أن اتأكد ، وأن أتأكد فورا ، من أن هناك أعمالا تتعارض مع ما أعلنه الملك عن اعتزامه أن يكون أمينا معنا . ويرجع الأمر اليه الان فى أن يوضح فورا أن هذه الحماقات تتعارض مع رغباته .

لقد أظهر الملك أنه يستطيع أن يتصرف كما يشاء . انظر الى الاجراء الذى اتخذه مع الجيش والذى كان حكيما للغاية .

٢ ــ قال حسنين ــ كعادته أننا نقسو عليهم .

وقال انه أصيب بصدمة لم يفق منها .

وحاول أن يقلل من شأن هذه المظاهر ، ولكنى رفضت أن استمع لشىء من هذا .

قلت انه بالاضافة الى وقف هذه الأمور ، وهو ما أعلم ان فى استطاعة الملك أن يحققه . فان الملك فاروق يمكن ــ اذا كان حكيما ــ أن يتخذ خطوة علنية عاجلة يظهر بها تضامنه مع الحلفاء.

لماذا مثلا لا يدعو سفير صاحب الجلالة (اى السفير البريطانى) الى الغداء فى القصر ؟ أو يتناول هو العشاء فى السفارة . ان هذا سيوقف كل هذه المظاهر الخطيرة الحمقاء .

ولم ترق هذه الفكرة لحسنين (والواقع أنها لا تروق لى أيضا) ولكن حسنين تعهد أن يفكر فى خطوة عاجلة تشير الى اخلاص الملك فاروق للحلفاء .

٣ ــ أخيرا قلت لحسنين أن التعليمات لى تقضى بضرورة ابعاد مجموعة الايطاليين والموالين للايطاليين من القصر . ولو أن الملك

فاروق لديه أى قدر من الحكمة فانه سيتخلص منهم جماعة على الفور .

وقلت انى فى الوقت الحاضر لا أتقدم بطلب . ولكنى أبدى نصيحة حارة وودية . فاذا لم يتخذ هذا الاجراء فانى أتصور أن رئيس الوزراء سوف يعالج هاتين النقطتين فى القريب العاجل .

* * *

وبعد أسبوعين يشكو لامبسون مرة أخرى .

ان المفوضية البريطانية فى طهــران تكتب الى مايلز لامبسون ليذهب الى المطار لاستقبال امبراطورة ايران فوزية عند وصولها الى القاهرة لزيارة شقيقها الملك فاروق .

ان أحد الأمناء يقود السفير وزوجته الى حجرة انتظار متواضعة فى المطار بينما فاروق والملكتان — الزوجة والأم — والاميرات وأعضاء السفارة الايرانية فى سرادق خاص أعد لهذا الغرض .

ويطلب السفير استدعاء حسنين لمقابلته فورا فيجىء ليسمع أن مايلز يريد أن يكون فى السرادق مع الجميع فيدعوه حسنين الى ذلك ببرود .

وتصل الامبراطورة وتقدم الملك واسرته لمصافحتها ..

ويقدم حسنين السفير وقرينته للامبراطورة ولكن الملك يتجاهل وجود السفير تماما فيبرق لحكومته قائلا :

— أهاننى صاحب الجلالة أمام الجميع .. ان لهذا العمل دلالته السياسية خاصة أننا لم نلتق — أنا والملك منذ ٤ فبراير — .

ويجتمع السفير بالنحاس ويروى له القصة ويطلعه على البرقية التى كتبها لحكومته فيثور النحاس عندما يبلغه السفير بأنه سيكون لتلك البرقية أسوأ الأثر فى لندن .

وفى المساء يتصل النحاس بالسفير قائلا أنه يخاطبه بصفته وزيرا للخارجية وأن الملك كلفه بأن يقدم اعتذاراً عن حادث المطار واعتبار الأمر منتهيا .

ويضيف النحاس :

« لن أقول للملك أن الحادث انتهى .. بل سأجعله قلقا عدة ايام .. سأقول له انك استقبلت الاعتذار ببرود .

وتجىء التعليمات من لندن .

دع الملك يقيم مأدبة عشاء أو غداء فى أقرب فرصة لتكريم امبراطورة ايران ، وتدعى أنت وقرينتك اليها . ويعاملك الملك وزوجتك كضيفى شرف :

ـ « هذا يكفل لك الترضية العلنية المناسبة » . بدلا من ارغام الملك على الاعتذار العلنى ففى هذا الاعتذار العلنى اذلال للملك ولن يفيدنا .

ويلتقى فاروق بالوزير المفوض البلجيكى فى القاهرة فيقول له :

ـ أنا ومليكك مضطران للاستسلام للقوة .

يعنى أن ملك بلجيكا استسلم للالمان .. وهو ـ فاروق ـ استسلم للانجليز .

وتهمس زوجة الوزير البلجيكى بنص الحديث للامبسون .. ومنه الى لندن !!

* * *

يذهب محمود بك حسن الوزير المصرى المفوض فى واشنطن الى احدى حفلات سفارة فيشى فى أمريكا التى لم تكن قد قطعت علاقتها

بعد بفرنسا .. ويدافع محمود بك حسن عن الملك فى حادث ٤ فبراير .

ويسمع مايلز لامبسون بذلك فيطلب الى النحاس سحب الوزير المصرى من واشنطن .

ويرد النحاس — ودائما عن طريق أمين عثمان — :

— أطلبوا أنتم الى أمريكا أن تقترح سحب وزيرنا المفوض .. حتى أتفادى أزمة مع الملك .

* * *

يجتمع النحاس مع السفير ويشكو من أن الملك سيحاول افساد العلاقات بينى وبين المسئولين فى لندن عن طريق السفير المصرى حسن نشأت .

قل للمسئولين أن اتصالاتى بهم ستكون عن طريقك وحدك .

ويقترح النحاس نقل نشأت الى طهران .

ويقترح الملك أن ينقل نشأت الى القصر .

.. وفى هذه الحالة يفضل النحاس أن يبقى نشأت فى لندن .

ولا يجد الملك ما يفعله لمضايقة الانجليز الا أن يمنح هدى شعراوى وسام الكمال فى الحفلة الساهرة التى أقامتها لصالح جمعينها النسائية .. فيغضب السفير البريطانى لموقف هدى شعراوى العدائى ضد الانجليز .. ومنحها الوسام يعتبر رضاء ملكيا عن تصرفاتها .

ويشكو لامبسون للنحاس الذى يسرع الى حسنين غاضبا لأنه ليس من حق الملك منح الأوسمة لسيدة من الطابور الخامس .. وأنه كان من الأفضل منح وسام لقرينة حسين سرى رئيسة الهلال الأحمر .. خالة الملكة فريدة !

واذا كان فاروق عاجزا عن مضايقة لامبسون فانه يلجأ الى مضايقة النحاس ويلعب معه لعبة غريبة .

برقية رقم ٧٢٠

فى ٥ مارس ١٩٤٢

مرسلة من السير مايلز لامبسون .

الى وزارة الخارجية

هام

١ ـــ اجتمع النحاس باشا لمدة ساعة مع الملك فاروق هـــذا الصباح .

٢ ـــ وقد بدأ النحاس بابلاغ جلالته (على أمل أن يبعث ذلك السرور لديه) بأنه رتب معى بهدوء دفن قضية عزيز المصرى . ولكن الملك فاروق لم يتحرك . ووصف هذا الأمر بأنه محض دعاية.

٣ ـــ بعد هذه البداية غير المشجعة ، أثار النحاس باشا مسألة الايطاليين الذين مازالوا موجودين فى القصر .

قال الملك فاروق انهم سيذهبون ولكنه يريد الاحتفاظ بثلاثة منهم بالاضافة الى بوللى .

وبناء على طلب النحاس فانى ـــ أى مايلز لامبسون ـــ سأبحث هذا الأمر مع المسئولين البريطانيين عن الأمن . واثنان من هؤلاء الايطاليين الثلاثة يعملان حلاقين ، والثالث مدرب كلاب .

٤ ـــ أشار النحاس بعد ذلك الى مسألة بوتسى الوزير الفرنسى المفوض فى مصر . وأبلغ الملك بالموقف الذى وصلنا اليه .

دهش الملك لأنه لا النحاس ، ولا نحن ، نريد أن نبقى أصدقاء لفرنسا .

رد النحاس بأن فيشي ليست فرنسا . وقال انه ابلغ بوتسى أنه سيسمح فقط للقائم بالاعمال السويدى بزيارته . وأنه ــ أى بوتسى ــ تصرف بطريقة سيئة جدا . وسيبعد بوتسى عن أى مجال يمكن فيه أن يكون مؤذيا .

٥ ــ انتقل النحاس بعد ذلك الى ما وصفه للملك فاروق بأنه أخطر مسألة لديه ، وهى مسألة على ماهر .

بدأ الغضب على الملك فاروق وسأل :

لمــاذا ؟

قال النحاس انه يكره على ماهر منذ عام ١٩٣٧ .

وقال ان على ماهر ألحق أضرارا بالغة بمصر وبالملك فاروق . وبسببه وقعت أحداث ٤ فبراير .

وقال انه فى احدى الفترات فكر فى ارساله الى السودان ، ولكنه قرر الا يفعل ذلك . وسيأمره الان بالبقــاء فى عزبته دون أن يرى أحدا أو يخرج دون اذن .

وقال النحاس انه « يبلغ الملك فاروق فقط » لأن المسألة من اختصاص النحاس نفسه . وأن على ماهر يستخدم اسم الملك فاروق باذن أو بدون اذن .

عند هذا الحد ظهر الغضب على وجه الملك .

مضى النحاس يقول انه لن يعمل مع على ماهر على الاطلاق . وأن الملك فاروق لم يظهر اى تغيير فى موقفه وأن جلالته يجب أن يعترف بأن هناك حربا وأن البريطانيين حلفاؤه .

وقال انه مصمم ــ ما دام رئيسا للوزراء ــ على أن تكون مصر مكانا أمينا لكل بريطانى وخاصة القوات البريطانية .

أثار هذا تعليقا ساخرا من جانب الملك فاروق الذى قال ان البريطانيين لن يقفوا دائما الى جانب النحاس باشا .

فهم لم يساعدوه عام ١٩٣٧ .

وهم لم يساعدوا حسين سرى .

رد النحاس أنه لا يعبأ بما اذا كان البريطانيون قد ساعدوه أم لا . وقال انه ملتزم فقط وسيتمسك بالتزامه . ومهمته بسيطة للغاية وهى الدفاع عن الديموقراطية ومساعدة الديموقراطية وشعاره تنفيذ المعاهدة نصا وروحا . وأن روح المعاهدة هى كل شىء أما النص فغير هام . واذا كان هناك من يعرف ماذا يعنى ذلك فهو النحاس باشا .

٦ ـ ثم قال للملك فاروق أنه سمع شائعات خبيثة عن حركة تطهير فى صفوف البريطانيين بسبب الاحداث الاخيرة ـ وكان يشير الى الروايات التى تخرج عن القصر .

قال النحاس انه سيتمسك بسير مايلز لابسون وأنه يثق فى أن الملك فاروق سيفعل ذلك أيضا .

واذا سمع النحاس باشا ـ أى شىء من هذا القبيل ـ فسيكون « قاسيا جدا » .

واذا أراد أى انسان ، بريطانيا كان أو مصريا ، أن يتصل بالملك فاروق فيجب أن يتم ذلك عن طريقه ـ النحاس باشا .

ومضى النحاس باشا يذكر الملك فاروق بأنه لا يثق فى نشأت وأنه يصر على استدعائه . وقال انه لا يرى ، وليس فى ذهنه شخص يحل محله ، ولكن يجب استدعاؤه فهى مسألة ثقة .

٧ ـ ثم تحدث النحاس باشا عن صالح حرب ـ رئيس الشبان المسلمين ـ الذى سيعامله بنفس الطريقة التى سيعامل بها على ماهر .

حاول فاروق أن يسوف فى مسألة المسلمين الموالين للملك ورد النحاس باشا بأن صالح حرب لا يمثل مشاعر المسلمين الأمر الذى يعد هو ـ النحاس باشا ـ أقدر على الحكم عليه .

٨ — قال الملك أخيرا للنحاس باشا أن يفعل ما يشاء بشأن النقاط المذكورة فقد أخذ على عاتقه هذه المهمة . وليس هناك ما يمكن قوله .

وهنا قال النحاس أنه أخلص أصدقاء الملك فاروق من حيث أنه يعمل فى سبيل مصالح مصر التى يجب أن تكون مصالح الملك أيضا .

صاح الملك « انى لا أريد دروسا » .

وهنا أخذ النحاس يردد مختلف النقاط التى ذكرها واحدة بعد الاخرى ثم استأذن وانصرف .

٩ — ما سلف ذكره هو رواية النحاس باشا نفسه وبكلماته . وأعرب النحاس عن أنه أزاح كابوسا من فوق صدره وهو يشعر بسرور لأنه قال ذلك وبصراحة شديدة .

١٠ — ويأمل النحاس ان يحل البوليس الخاص يوم الاثنين القادم ، وهو جهاز انشأه على ماهر كأداة من أدوات القصر .

وسيتولى النحاس يوم السبت مسألة على ماهر وصالح حرب .

* * *

ويمتنع الملك عن لقاء النحاس ويحيله الى احمد حسنين فى معظم الحـــالات .

وتبرق وزارة الخارجية البريطانية الى سفيرها بعد ٤٠ يوما فقط من حكم الوفد تقول :

« ان سلوك النحاس أصبح غير مرض يوما بعد يوم . انه متردد . يبدو أنه وصل الى نوع من التفاهم مع الملك » .

ويعرف النحاس بأمر البرقية عن طريق السفير وأمين عثمان

فيعتقل على ماهر داخل مجلس الشيوخ والأمير عباس حليم ومحمد طاهر باشا والأمير عمر الفاروق وينفيهم الى السرو .

وقد شجعه السفير على ذلك قائلا :

— ان الملك فؤاد لم يكتف باعتقال عباس حليم بل جرده من كل رتبه أيضا .

ويوافق فاروق على اعتقال افراد من اسرته ولكنه يعارض اعتقال بوللى وجارو .. الخ .

والذى يطالع الوثائق البريطانية يجد أن بريطانيا ضغطت كثيرا على النحاس لاعتقال على ماهر وعباس حليم وطاهر باشا وعمر الفاروق .

وقد وجدت هذا الموضوع فى برقيات كثيرة تم تبادلها بين القاهرة ولندن والخرطوم .

***

قرأت برقية بعث بها أيدن الى سفيره يشكو تصرفات النحاس ويقول : أننا لم نجد عملا .. كل ما سمعناه وتلقيناه مجرد كلام .
وهذه البرقية هى السبب فى تحديد اقامة على ماهر فى مزرعته بالقصر الأخضر قرب الاسكندرية مع مراقبة تليفونه .

ولما استطاع على ماهر الهرب من القصر الأخضر والوصول الى مجلس الشيوخ بالقاهرة أثناء اجتماعه .. أعتقد على ماهر أن الحكومة لن تجرؤ على اعتقاله داخل حرم المجلس .. ولكن الضغط الذى يطل من البرقيات هو السبب .. وهو المسئول الوحيد لتجاهل الحكومة حتى مراعاة الشكل !!

***

فى مذكرة مقدمة لوزير الخارجية البريطانية بتاريخ ١٧ مارس

نجد سر المطالبة باعتقال على ماهر والاخرين .. وضرورة ابعاد الايطاليين من القصر .

تقول المذكرة ان بعض تصرفات فاروق عام ٣٩ كانت موضع شك .

وفى عام ٤٠ كان السير لامبسون لا يزال يشير الى أن بعض تصرفات الملك غير مسئولة .

ولكن فى عام ٤١ بدت كراهية فاروق لنا واضحة ولولا أن السفير كان يقول « كش » من حين لآخر لتمادى الملك أكثر .

وفى الخريف الماضى قيل له أن ما جرى فى طهران ، يمكن أن يتكرر فى مصر اشارة الى عزل الشاه .

وفى ٤ فبراير بين التهديد بالعزل والخلع اضـــطر فاروق الى الاستسلام .

وفى المستقبل اذا لجأنا الى انذاره .. فان الانذار يجب أن ينتهى الى غايته وهو ابعاد فاروق عن عرشه .

ومن المستحيل تغيير ما فى نفس الملك ، ولكن يمكن تقليم أظافره وجعله بلا قدرة على الايذاء اذا أبعدنا منحوله العناصر المعادية لنا.

وفى كل مرة حاولت فيها ذلك كانت الحكومات المتعاقبة فى حاجة الى تأييد فاروق ولا تستطيع أن تدخل معه فى صدام مباشر .. أما الآن لدينا حكومة وفدية تريد الحد من نفوذ القصر فانها تستطيع أن تتخذ اية خطوة ضد رجال القصر كجزء من سياستها .

وستكون ميزة كبيرة لنا اذا استطعنا أن نجعل النحاس يحارب لنا معركتنا ..

والتعليق الوحيد هو أن النحاس قد قام بالمهمة .. فعلا .

***

واجه النحاس فى الشهور الاولى لوزارته عدة مشاكل :

المشكلة الاولى : الملك ورجاله

وقد تغلب النحاس على هذه المشكلة تماما بنفس الاجــراءات العنيفة التى اتخذها ضد رجال الملك والتى وصلت الى حد اعتقال رجال الاسرة المالكة انفسهم وموافقة فاروق على ذلك .. واعتقال على ماهر داخل مجلس الشيوخ .

واستطاع النحاس ابعاد عبد الوهاب طلعت من منصب وكيل الديوان .

وعندما فكر فاروق فى تعيين يوسف ذو الفقار باشا والد الملكة فريدة فى منصب رئيس الديوان .. قالت السـفارة البريطـانية أحمد حسنين باشا رغم ضعفه — أفضل .. فلم يعين ذو الفقار باشا !

وثارت ازمة مع فاروق بعد شهرين تقريبا من تعيين النحاس حول حق الملك فى تعيين اعضاء مجلس الشيوخ .

وبدلا من ان يتكلم النحاس عن المبادىء الدستورية التى سبق أن أثارها فى عام ١٩٣٧ وادت فيما أدت الى اسـتقالته .. فانه اكتفى فى الحديث مع حسنين باشا بمناقشة الاسماء التى اقترحها الملك دون الكلام فى الاسس الدستورية .

ورفض النحاس تعيين صدقى واحمد ماهر والنقراشى وتوصـل مع فاروق الى تسوية ! وكان النحاس عازما فى أية أزمة مـع القصر على أن يعبىء البرلمان والرأى العام معه ويجعلها مسـألة داخلية محضة لا شأن لبريطانيا بها كما قال للسفير !!

المشكلة الثانية : مكرم عبيد وهى المشكلة التى انتهت باستقالة وزارة النحاس كلها بعد ٣ شهور ونصف واعادة تشكيل الوزارة بدون مكرم .

المشكلة الثالثة : موقف النحاس ضد الانجليز وضد المعاهدة قبل دخوله الوزارة .

المشكلة الرابعة : الجيش ...

* * *

وسعد زغلول كان يقول مكرم ابن البكر

ومكرم كان صديقا للنحاس فى سيشل عندما نفيا مع سعد

ومكرم هو السكرتير العام للوفد الذى يتفاوض مع احزاب المعارضة لتقسيم وتوزيع الدوائر الانتخابية .. وهو — بعد أمين عثمان — الذى يستطيع الاتصال بالسفارة البريطانية لبحث شئون التموين باعتباره وزيرا لاخطر وزارتين اثناء الحرب العالمية الثانية وهى المالية والتموين .

.. ونبدأ ببرقية للسيد مايلز لامبسون فى وزارة النحاس عام ١٩٣٧ يومها قال السفير

زوجة النحاس ريفية لطيفة تجهل لباقة الحياة الوزارية ولهـا نزواتها .. ومن خلال ردود فعل النحاس الممثل فى حبه لها نجدها جعلت منه انسانا يدعو الى السخرية !!

أن زوجة النحاس تعودت أن تتصل مباشرة بالوزراء من اجل تعيين أو ترقية اقاربها .

وفى ٦ ابريل ١٩٤٢ نجد فى البرقية رقم ١٠٠٠ اشارة الى الخلاف بين النحاس ومكرم بسبب رغبة قرينة النحاس فى الحصول على امتيازات ومحسوبيات لأقاربها .. **كما أن الكراهية بين حرم** مكرم وحرم النحاس ساعدت كثيرا على توسيع الخلاف » .

ويقول السفير :

ان سوء صحة النحاس يجعل من الصعب عليه أن يصرف الشئون الادارية بكفاءة وهناك حديث عن ضرورة تعيين مساعد كفء للنحاس ليقوم عنه بهذه الأعمال .

ومكرم عبيد كقبطى لا يستطيع ان يشغل هذا المنصب رسميا .. وهو يبحث عن رجل من القش ليقوم بهذا العمل فى ظل نفوذ مكرم .

وهناك شك فى أن مكرم يريد أن يتقارب مع القصر الذى يرحب بأى انقسام فى الوفد .

وتشير البرقية بعد ذلك مباشرة الى تعيين اقطاعى شاب هو فؤاد سراج الدين فى منصب وزير الزراعة بعد ان اختير عبدالسلام فهمى جمعة رئيسا لمجلس النواب !

وقالت البرقية ان الوفديين ينتقدون هذا التعيين لوجود من هم احق من سراج الدين بهذا المكان .. اى المنصب الوزارى .

ويكون فؤاد سراج الدين هو الذى يحتل منصب سكرتير عام الوفد .. بعد سنوات..نفس المنصب الذىكان يشغله مكرمعبيد.

ولما كان النحاس ضد القصر ورجاله .. فمن هنا وقف النحاس ضد مكرم الذى اراد ان يتقارب مع القصر ولان مكرم وقف ضد قرينة النحاس فيما عرف بعد ذلك باسم (نزاهة الحكم) على حد تعبير الكاتب الصحفى الاستاذ جلال الدين الحمامصى فى كتابه بهذا العنوان .

وجلال الحمامصى كان من نواب الوفد ثم انضم الى مكرم فى اعتراضه على تصرفات النحاس .. والمحسوبيات .. فطرده الوفد من مجلس النواب مع غيره بدعوى ان سنهم اقل من ٣٠سنة .. ثم اعتقلوا مع مكرم عبيد .. فان الخصومة بين رئيس الوفد وسكرتيره تطورت الى عداوة مريرة .

ولقد استقال النحاس يوم ٢٦ مايو ١٩٤٢ ليعيد تشكيلوزارته بدون مكرم عبيد .. وقال النحاس فى خطاب الاستقالة

« نظرا لما قام بينى وبين مكرم عبيد من خلاف جوهرى طال

امده ، وتعددت مظاهره ، وتعذر على علاجه مما ادى الى استحالة استمرار التعاون بيننا »

.. وحاول السفير البريطانى ـ عبثا ـ التوفيق بين النحاس ومكرم حتى قبل الاستقالة بـ ١٣ يوما .

فى برقية تاريخها ١٣ مايو قال أمين عثمان للسفير البريطانى :

ـ الموقف بين مكرم والنحاس لم يتحسن ، والنحاس يريد أن يأخذ وزارة التموين من مكرم ليعطيها لوزير جديد .

وقال السفير :

ـ قلت واكدت ان هذا خطأ كبير . ان رجالنا فى مركز تموين الشرق الأوسط يفكرون فى منع تسليمكم مواد التموين بالمرة ، وأنا ـ بطبيعة الحال ـ لا اصل الى هذا المدى ، ولكن هذا يبين ما يشعر به خبراؤنا .

سأل أمين عثمان :

ـ هل استطيع ان ابلغ ذلك للنحاس

قال السفير :

طبعا بشرط الا يظن النحاس انى اريد أن املى عليه كيف يدير دفة حكومته . انا لا اريد ان يدين الناس جهودنا الحربية ، أو يظنون بها الظنون . ونقل مكرم من التموين يوحى بذلك .

قال أمين عثمان :

ـ ان خليفة مكرم سيكون وزيرا قادرا وكفئا .

وأضاف أمين عثمان أن النحاس الح عليه فى قبول وزارة التموين . وقد رفض لأنه لا يريد اثارة شبهات فى أنه يتآمر على مكرم ولانه لا يستطيع ان يجمع بين عمله الحالى كرئيس لديوان المحاسبة ، ووزارة التموين .

وفى نهاية اللقاء يؤكد السفيران ان الانقسام والانشقاق بين النحاس ومكرم غباوة وحماقة لعدة اسباب

١ — ان مكرم يؤدى عمله على خير وجه

٢ — ان التموين ستذهب الى الشلة

.. يعنى بذلك اسرة حرم النحاس .

وكتب السفير برقيته يقول :

— كل هذا يجعلنى اتساءل .. هل اخطأنا عندما منحنا النحاس شيكا بالتأييد على بياض !

* * *

ويستقيل النحاس ويشكل حكومته بدون مكرم عبيد .. بعد ان ينجح فاروق .. ؟ فى التفرقة بينهما .. وفى استعداء كل على الآخر .. ولكن فاروق ليس العامل الوحيد فى هذا الخلاف !

ولا يستطيع السفير الا أن يقف مع النحاس ضد مكرم ، كما وقف مع النحاس ضد القصر .. وضد المعارضة .. وضد الجيش بعد ذلك .. وضد الجميع !

وكان السبب المباشر لخروج مكرم .. شئون التموين كما يقول السفير .. وشئون المحسوبية والاستثناءات .

وبعد شهرين من اخراج مكرم من الوزارة يفصله النحاس من الوفد ويلجأ مكرم عبيد بمساعدة جلال الحمامصى واحمد قاسم جودة الى اصدار (الكتاب الاسود) وفيه امثلة لفساد الحكم .. ويتم توزيع هذا الكتاب سرا رغم الاحكام العرفية والرقابة على الصحف .

وتتعدد برقيات السفير الى حكومته عن المحسوبية فى عهد الوفد .

والسفير يقول ان الشكوى منها عامة .. ولكن هناك مبالغات، وهو لا يستطيع ان يتأكد من الارقام والحقائق لانه لم يعد للانجليز مستشارون أو موظفون بريطانيون فى الوزارات .. باستثناء البوليس .. ومع ذلك فان القادة الانجليز فى البوليس يرددون قصصا مزعجة عن المحسوبيات .

ويشير السفير الى نقص الكيروسين والسكر

ويشير الى المحسوبيات التى وصلت حتى الى القضاء

ويقول لامبسون لحكومته فى ٢٣ اكتوبر

«لا احد ينكر اخطاء النحاس فانها واضحة . لقد اصبحت حكاية المحسوبيات حقيقة . وقد اثرت على الجهاز الحكومى .

ان الطبقات العليا والرسمية من هذا الجهاز تنتقد وتهاجم الحكومة علنا .. وبالذات بالنسبة لارتفاع اسعار المعيشة واختفاء مواد التموين .

وأنا — السفير — ابذل جهدى لحل هذه المشاكل تدريجيا .. فان هذه الامور تؤثر على الرأى العام .. وعلى تأييده للوفد .

ولكن ما يهم السفير هو أن الحكومة الوفدية لا تزال متعارنة .. أى متعاونة مع الانجليز !

* * *

وتلجأ المعارضة الى تقديم عريضة ضد الحكومة للملك ..

وتقرر المعارضة ارسال العريضة الى حسن نشأت السفير المصرى فى لندن ليقدمها للحكومة البريطانية مباشرة .

ويعرف لامبسون بالامر فيقول لحكومته ..

« انها بداية حملة الهدف منها ان تتجمع لتؤدى لاضعاف الحكومة فيصبح من الصعب على بريطانيا الاستمرار فى تأييدها للوفد ! ».

ويكون اقوى المعارضين — بطبيعة الحال — مكرم عبيد الذى يقدم استجوابا ضد الحكومة فى البرلمان فى أول اغسطس ١٩٤٢ يؤجل النحاس الرد عليه ٣ اسابيع . ويستغرق نظر الاستجواب عدة جلسات ولا يؤدى الى نتيجة بسبب الرقابة على الصحف ولكنه يكون معول هدم ضد الوفد .. فيما بعد .

وتكون المفاجأة الكبرى اثناء نظر استجواب أخر للمعارضة فى مجلس الشيوخ عن الرقابة على الصحف أن حسين سرى يشير فجأة الى حادث ٤ فبراير .

ان حسين سرى هو الذى اقترح اسم النحاس لاول مرة .. وهو اول سياسى مصرى ايد حادث ٤ فبراير

عندما اعلن ذلك للسفير ..

وكان السبب فى حديث سرى عن ٤ فبراير .. انه حتى ذلك الوقت .. لم يكن قد حصل على ثمن تأييده .. والسفير يقول لحكومته ان المعارضة تستميل اليها حسين سرى !!

ولقد تساءل هيكل باشا فى مذكراته :

— كيف لا يعتقل حسين سرى الذى جرؤ على الحديث عن ٤ فبراير .

والجواب الوحيد .. ولا جواب غيره :

— انه هو نفسه احد ابطال ٤ فبراير ..

ورغم اعتراض الانجليز على موقفه فى مجلس الشيوخ .. فانهم لا يعارضون فى أن يحصل على بعض الشعبية تؤهله للعودة لرئاسة الوزارة .. ورئاسة الديوان فيما بعد !

* * *

ويشير السفير فى هذه البرقية ٢٤٣٩ بتاريخ ٢ نوفمبر لاول مرة الى احتمال تغيير الحكومة فيقول :

رغم كل ما يجرى من الوفد فانى لا انصح بأن نخرج عن خطتنا الحالى .. اى اخراج الحكومة تحت تأثير الهياج الذى ادت اليه حركة المعارضة .

ان هدفنا واضح .. وهو أن تكون فى السلطة حكومة مصرية تحقق لنا ما نريد فى ظل المعاهدة وتجعل قاعدتنا السياسية صلبة ومستقرة .

ولا توجد حكومة دائمة ولكن لا يوجد بديل للوفد فى الظروف الحاضرة . وحتى لو وجدت هذه الحكومة فان الوفد لا يزال حزب الاغلبية ووجوده فى المعارضة خطر كبير » !

ومرة أخرى هل يوجد أوضح من ذلك يكشف عن سياسة لامبسون فى مصر .. أو خطة بريطانيا أيام لامبسون !

ولقد فكر فاروق فى اقالة النحاس بعد الكتاب الاسود .. عام ١٩٤٣ ، ولكن السفير البريطانى طلب الى قواده الاستعداد لتكرار حادث ٤ فبراير

ويبقى النحاس ..

وينتهى الصراع الطويل بين النحاس ومكرم .. بفصل مكرم عبيد من مجلس النواب .. يفصله المجلس نفسه لموقفه من النحاس .. ولاتهامه بمخالفة التقاليد .. ويكون الفصل منمجلس النواب .. مقدمة لاعتقال مكرم فى ٩ مايو ١٩٤٤ ويظل معتقلا حتى يستدعى من المعتقل ... راسا لدخول الوزارة .. بعد اقالة النحاس !

والمأساة هنا .. ان قرينة مكرم عبيد .. اعتقلت معه !!

بقيت مشكلة المعاهدة .. واحاديث النحاس .. ضد الانجليز .. قبل توليه الوزارة !

فى مشروع خطبة العرش الاولى لوزارة النحاس .. اراد الاشارة الى تمسكه بالمعاهدة .. ورجبت السراى فى حذف الجزء الخاص بالمعاهدة من الخطبة .. وابلغ النحاس ذلك للسفير البريطانى .. وبقى النص كاملا كما اعده النحاس !

واشار النحاس — لاول مرة — الى ضرورة تعديل معاهدة سنة ١٩٣٦ .. عند لقائه بالسير ستافورد كريبس الوزير البريطانى يوم ١٦ ابريل ١٩٤٢ .

قال النحاس ، بعد ان اشار الى ايمانه العميق والقوى بالتعاون مع الانجليز .. الى انه عندما تنتهى الحرب فسيكون هناك مجال للحديث عن استكمال استقلال مصر .

قال النحاس انه سيعلن فى البرلمان تضامنه الكامل مع الانجليز سيحدد بوضوح أن مصر لن تدخل الحرب .. ذلك لمقاومة دعاية الاعداد اليومية باللغة العربية .. فى هذا الموضوع .

وقال النحاس انه يأمل ان يجد الانجليز الوسيلة المناسبة لتأكيد تصريحه وذلك بسؤال وجواب فى مجلس العموم .

رد السير ستافورد كريبس بأن هذا ممكن ، وأن السفير سيبحث التفاصيل » .

فقال النحاس للامبسون :

— انتظر حتى ادلى بتصريحى .

وفى ٨ مايو يقدم السفير للنحاس وزير الدولة البريطانى الجديد للشرق الاوسط المقيم فى القاهرة :

يقول النحاس للوزير :

ــ انى محرج . البرلمان يضغط على كثيرا بشأن تصريحاتى التى قلتها خارج الحكم عن ضرر .. تعديل المعاهدة . ويجب أن أفند النقد الموجه لى .

وانى أعلم أن هذا لا محل له فى زمن الحرب .

ولكن يجب أن أرضى الناس ضد مثيرى المتاعب . وانى أريد تصريحا مشتركا مناسبا مع السفير .

يتدخل السفير فى المناقشة قائلا :

كل شىء يعتمد اولا على الافكار التى لديك .

ويكتب السفير لحكومته قائلا :

ــ رئيس وزراء مصر يواجه مشكلة . ونستطيع ان نصل الى صيغة مناسبة .. **لانقاذه من الحرج .**

ويضيف السفير :

فى كل احاديثى غير الرسمية كنت اقول انه بعد انتهاء الحرب فاننا نحن الذين سنطالب بتعديل المعاهدة .. وليست مصر !

ولكن وزارة الخارجية البريطانية تحدد سياستها .. وكتبت الى قيادة اركان حرب القوات البريطانية بهذه السياسة التى تتلخص فيما يلى :

« دون موافقة الطرفين لا تعديل فى المعاهدة قبل ٢٢ ديسمبر ١٩٤٦ .

ولكن ربما تطلب حكومة مفاوضات لمعاهدة جديدة قبل ذلك .. وفى هذه الحالة فان حكومة صاحب الجلالة لاسباب خاصة بها قد توافق على ذلك .

واذا حدث هذا

واذا اصرت مصر على جلاء كل القوات البريطانية بعد الحرب:

١ ــ لابد من ايجاد قواعد عسكرية وجوية فى برقة للقوات الموجودة فى مصر .

وتصر وزارة الخارجية :

٢ ــ من الضرورى الحصول على قاعدة بحرية بريطانية فى الاسكندرية لمدة ٩٩ سنة على غرار القواعد الامريكية فى جــزر الهند الغربية .

واذا كان النحاس فى هذه الوزارة لم ينجح فى تعديل المعاهدة .. فانه فى وزارته التاليــة يلغى معــاهدة ١٩٣٦ وذلك يوم ٨ اكتوبر ١٩٥١ .

***

وينتهز النحاس زيارة وندل ويلكى ــ الذى كان مرشحا للرئاسة فى أمريكا ــ للقاهرة فيحدثه عن الاتصال المباشر بين مصر وأمريكا ــ من خلف ظهر انجلترا .

وينقل ويلكى نص الحديث للامبسون وهو يتساءل عن سر عداء المصريين لانجلترا .

ويكاد لامبسون أن يجن .

ويسأل النحاس ــ عن طريق أمين عثمان ــ لماذا تسعى للحصول على معونة أمريكية ؟

ويرد أمين عثمان بعد الرجوع لرئيس الوزراء .. أن النحاس

كان يريد ان يخلق موضوعا للحديث مع ويلكى فساله عما اذا يمكن لمصر أن تستفيد من القانون الامريكى للاعارة والتأجير للحصول على قرض لمشروع السماد فى أسوان .

ويقول أمين عثمان :

« ان النحاس لم يقترح على ويلكى أو غيره أقامة اتصال مباشر دون علم انجلترا وأن هذه ليست سياسته أبدا » .

ولكن بريطانيا تسمع عن طريق السفارة البولندية أن محاولة مصرية جرت فى الفاتيكان لاجراء اتصالات مباشرة مع الايطاليين اثناء هجوم روميل .

وقد طلب شيانو وزير خارجية ايطاليا تأجيل الحديث فى هذا الموضوع حتى تدخل الجيوش الالمانية الاسكندرية ..

وقد ضبط البوليس، وثائق ايطالية والمانية تاريخها ٢٨ أغسطس ١٩٤٢ فيها اجراءات التى كانت ستتبع عند احتلال مصر .

أهم ما فى هذه الوثائق :

١ — أن تترك السياسة الاقتصادية للقيادة الايطالية عدا حالات خاصة تم التصرف فيها باتفاق سابق مع القيادة الالمانية .

٢ — كل المواد الحربية يتم الاستيلاء عليها فى مصر تكون من نصيب ايطاليا .

٣ — فيما عدا تحركات القوات الالمانية المحلية فى مصر فان الالمان لا تكون لهم سلطة اصدار الاوامر فى مصر الا بعد الرجوع الى السلطات الايطالية .

٤ — يقام بنك فى منطقة البحر المتوسط من سلطته اصدار عملة مصرية لتغطية نفقات قوات الاحتلال تعادل الجنيه المصرى.

٥ — العملة للقوات الالمانية والايطالية فى ليبيا بالليرة الايطالية وفى مصر بأوراق مؤسسة الائتمان — أى بالعملة الجديدة .

* * *

J543

27/02/1942

3

Sir Alexander Cadogan.

Mr. Scrivener.

Please return to Sir Basil Newton.

KING FAROUK.

At the meeting with the Dominion High Commissioners on Thursday, February 26th, I said that the Foreign Office wanted to be prepared in case a place of retirement were required at short notice for the present King of Egypt.

As the High Commissioners already knew, young King Farouk's behaviour precipitated a first class crisis early this month when he had to be called upon either to abdicate or to appoint the present Prime Minister. He then accepted the latter course but, at his very next public meeting with our Ambassador, his behaviour amounted to a public affront for which Sir Miles Lampson had to demand an apology. This minor incident was being patched up but, so long as any representative of the Italian clique remained at the Palace (and the efforts to dislodge them might ~~itself~~ precipitate a crisis), the risk remained serious of a further, and this time final, crisis involving the departure from Egypt of the young Farouk. We, of course, hope very much to be able to prevent or solve further crises but, in case of failure, the Foreign Office thought it prudent to ascertain in advance some place of residence where Farouk could be kept from becoming a source of mischief or a martyr.

There might be considerable objections to the United Kingdom as an asylum (e.g. the United Kingdom Government would have been directly instrumental in King Farouk's removal, it might be difficult to prevent intrigues and mischief making, the climate might not suit him, and his presence might moreover be unwelcome to our own King), so the Foreign Office would like to know whether the ex-King, should he become that, could be received in one of the Dominions. The Canadian Government already said they were prepared to accommodate the ex-Shah of Persia and the Foreign Office hope they might be prepared to grant a further favour of offering a domicile to King Farouk, should that be necessary. If the Canadians were agreeable, the Foreign Office thought that his residence in Canada might present many advantages e.g. the Canadian Government would not have been directly involved, intrigues in Canada would be difficult and more likely to be innocuous at that distance, the climate was very varied and offered something which happened to appeal very much to young Farouk, namely, the opportunity of ski-ing. It would also be entirely safe.

I mentioned that another possibility, which might perhaps be considered, was an island in the West Indies. In deciding the most suitable place

كان كل شيء معدا فعلا لعزل الملك ونفيه الى كندا

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل انه عندما تقدم الالمان داخل مصر .. اجتمع بالنحاس وتحدث اليه وطلب منه ان يجنب مصر ويلات الحرب .

وشرح هيكل باشا جسامة الخطر الذى تتعرض له البلاد اذا اغرق الانجليز مديرية البحيرة أو أحرقوا آبار البترول فى سيناء ..

اجاب النحاس :

— كن مطمئنا انا منتبه لهذا كله مدرك ما يصيب مصر اذا انسحب الانجليز منها أو دخل الألمان .

وقد اصدرت اوامرى وتعليماتى الى محافظ الاسكندرية ليتلقى الجيوش الالمانية باسم الحكومة المصرية لقاء حسنا !!

ومع هذا كله ..

لا يوجد ما يعبر عما فعله النحاس فى وزارته هذه .. وهى أطول وزارات الوفد عمرا .. أصدق مما كتبه توم ليتل وهو صحفى بريطانى كان مسئولا عن وكالة الانباء العربية — وهى وكالة بريطانية — عاش معظم سنوات حياته فى مصر .. وأصبح من أصدقائها والمدافعين عنها فى السنوات الاخيرة .

قال توم ليتل ان النحاس رد الدين للسفير البريطانى ولانجلترا وبالذات عندما كان الالمان فى العلمين على بعد ٦٠ ميلا من الاسكندرية . فقد اعتقل الطابور الخامس وأغلق نادى السيارات الملكى الذى كان مقرا للنشاط المعادى للحلفاء واعتقل على ماهر .. ووضع امكانيات مصر فى خدمة بريطانيا .. وهذا هو الهدف

الأهم .. وحفظ الهدوء فى مصر عندما كان الالمـان عـلى حدود الاسكندرية .

ولقد تميز العهد كله ــ خلال الـ ٢٢ شهرا التالية ــ بانتشار روح اليأس .. والاستلام ومحاولة ارضاء السفارة البريطـانية أو اكتساب ردها بأى ثمن .. او على الاقل التخلص من بطشها .

كان عهد اذلال لمصر .. من الانجليز .. وعهد اذلال للشعب من الحكام المصريين ايضا !

تشرشل فى القاهرة

وصل ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الى القاهرة فجأة يوم ٣ أغسطس ١٩٤٢ . ولم ينشر النبأ فى الصحف لان تحركات تشرشل من المعلومات التى يتمنى الالمان معرفتها أو الوصول اليها .

وبعد يومين من حضور تشرشل استقبله فاروق .

ووصف لامبسون — الذى حضر الاجتماع — ما جرى بين الملك وتشرشل فقال ان فاروق ابدى ودا ملحوظا وتجنب الحديث فى الشئون السياسية الجادة واكتفى بالقاء الدعابات ..

وأقام السفير البريطانى مأدبة غداء لتشرشل حضرها النحاس. كما التقى تشرشل بالامير محمد على .. والجنرال ديجول .

وظل تشرشل ٨ أيام فى مصر اجتمع خلالها بكبار قادة الجيش .

وغادر تشرشل القاهرة الى موسكو حيث أمضى بها ستة أيام ثم عاد مرة أخرى الى مصر يوم ١٧ أغسطس ليقضى ستة أيام أخرى وطار بعد ذلك الى لندن .

ولم يناقش تشرشل خلال زيارته للقاهرة الموقف الداخلى فى مصر الا بطريقة عابرة فقد كان مشغولا بما هو أهم وأكبر واخطر.

.. وهنا اترك برقيات لامبسون الى وزارة الخارجية .. وانتقل الى محاضر مناقشات حكومة الحرب فى لندن لنعرف سر الـ ١٤ يوما التى امضاها تشرشل فى القاهرة .. على دفعتين !

***

قبل أن يجيء تشرشل الى القاهرة بشهر .. وعلى وجه التحديد يوم ٥ يوليو .. كان موقف بريطانيا حرجا للغاية وبالذات فى الشرق الاوسط .

.. قدم رؤساء اركان حرب القوات البريطانية تقريرا الى تشرشل قالوا فيه :

اننا نتوقع تقدم القوات الالمانية جنوب الاتحاد السوفيتى . وهناك احتمال بأن يستطيع هتلر غزو ايران فى منتصف اكتوبر . كما أننا نخشى أن يكتسح الالمان تركيا ويتقدموا منها الى شمال سوريا والعراق ثم ايران .

ان القوات السوفيتية لا تستطيع ان تدافع عن جنوب القوقاز ولذلك فاننا فى حاجة الى ٤ فرق مشاة وفرقة مدرعة و ٩٥ سرب طيران للدفاع عن ايران .

أن أمامنا احتمالين لا ثالث لهما :

الاول : نقل قواتنا من مصر أو عدد كبير منها الى الجبهة الشمالية لحماية حقول البترول فى ايران .. واذا حدث ذلك فاننا سنفقد مصر .

الثانى : ان نخسر حقول البترول فى عبدان .

وليست لدينا القوات اللازمة للانتصار فى هاتين الجبهتين فى وقت واحد .

وفى ١٩ أغسطس بعث رؤساء اركان الحرب بتقرير آخر يحذرونه فيه من انهيار الجبهة الجنوبية فى الاتحاد السوفيتى .

وقال القادة البريطانيون :

لابد من حماية حقول البترول فى عبدان حتى لو اضطررنا الى الانسحاب من دلتا نهر النيل .

اذا سقطت عبدان والبحرين فى يد الالمان فاننا سنحتاج الى ٢٧٠ ناقلة بترول اضافية لنقل ٠٠٠ر١٦ر٤١٣ر١٣ طن من البترول من أمريكا.

وسيترتب على ضياع بترول ايران والبحرين تخفيض قدراتنا القتالية والانسحاب من مسرح العمليات العسكرية فى عدة مناطق.

وبعث كاسى وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط الى تشرشل يقول :

« لابديل لدينا.. لا حل الا الانتقال السريع الى ايران والعراق».

ولذلك جاء تشرشل الى القاهرة لا ليناقش شئون الملك والنحاس والمعارضة .. وانما ليبحث أمرين :

الاول : كيف يحقق الانتصار على الالمان فى شمال أفريقيا .

والثانى : ما هى الاجراءات التى تتخذ اذا انسحبت بريطانيا من مصر .. أو من دلتا نهر النيل على الاقل .

وكان الدفاع عن ايران والعراق فى ذلك الوقت من اختصاص الجنرال أوكنلك قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط .

ورأى تشرشل تقسيم هذه القيادة فرفض أوكنلك واستقال .. وعين مونتجومرى قائداً للجيش الثامن أى للقوات البريطانية فى الصحراء الغربية والجنرال الكسندر لقيادة الشرق الاوسط ومقره القاهرة .

ولقد ناقشت حكومة الحزب البريطانية خلال اجتماعين الاجراءات التى ستتبع عند الانسحاب من مصر ودخول الالمان ..

وحاولت الاطلاع على محاضر هذين الاجتماعين فقيل لى فى مركز الوثائق العامة ان هذه المحاضر .. وكذلك تقرير السفير البريطانى حول هذا الموضوع ممنوع من النشر حتى سنة ٢٠١٨ .. أى لابد من مرور ٧٥ سنة على المناقشات والتقرير ثم يسمح باذاعة النصوص .. وهذه هى الوثائق الممنوعة فقط من النشر عن تاريخ تلك الفترة وأحداثها .

ويستطيع اى انسان ان يستنتج من هذا القرار مدى التدمير الذى كان سيلحق بمصر على يد البريطانيين عند الانسحاب .. وخوفا مما قد يثير ذلك من مشاعر لدى المصريين فقد رأى الانجليز أن يمنعوا النشر حتى تجىء أجيال جديدة من المصريين لم تعش تلك الفترة ولا تثيرها الصورة القاتمة التى رسمتها أو أرادتها بريطانيا لمصر .

***

ومن المؤكد أن عددا من الضباط المصريين عرف بالخطوط العامة للخطة البريطانية .. أو احيط بأفكار عنها .. ومن هنا حرص هؤلاء الضباط على الاتصال بالالمان للتعاون معهم حتى لا تدمر مصر وليعترضوا طريق الجيش البريطانى اثناء انسحابه للقضاء عليه كما أن عزيز المصرى قد اتفق مع الالمان على استقلال مصر .. وقيل انهم تعهدوا له بأنهم لن يستبدلوا احتلالا باحتلال !!!

ومن المؤكد كذلك أن مشاعر بعض القادة العسكريين المصريين كانت مع الالمان اعجابا .. وكانت مشاعر كثير من الضباط المصريين مع الالمان كراهية من الانجليز .

ومن هنا نجد أن الجيش المصرى لم يقف صامتا .. ولذلك بدأت محاولات عزيز المصرى وزميلين له من الطيارين الهرب الى المانيا وقد سقطت بهم الطائرة عند قليوب .

وقد اعتقل عزيز المصرى وصاحباه عقب هذه المحاولة .. اعتقلهم حسين سرى .. وأفرجت عنهم السفارة البريطانية بعد شهر من

حادث ٤ فبراير .. فى محاولة لاكتساب صداقة الجيش .. وشباب الضباط بالذات الذى يجد فى عزيز المصرى .. رمزا .. أو أملا .

ولكن الافراج عن الثلاثة لم يمنع الانجليز من وضـــعهم تحت الرقابة .

* * *

ولقد بدأت الرواسب تتراكم فى نفوس الضباط المصريين ضـــد الانجليز منذ قيام الحرب لاسباب كثيرة من بينها الامتناع عن تسليح الجيش المصرى .

وجاء حادث ٤ فبراير فأحس الضباط المصريون بالاذلال حتىأن احدهم بعث الى الملك فاروق يقول « بما انى لم أعط الفرصةللدفاع عن جلالتكم فأرجو ان تأذنوا لى بالاستقالة لانى أخجل من ارتداء البدلة العسكرية » .

وبعد ٤ فبراير بستة أيام بعث لامبسون بأول برقية الى حكومته عن تأثير الحادث فى الجيش المصرى .

قال فى البرقية رقم ٥٤٨ :

١ ــ ابلغنى الجنرال ستون ــ قائد القوات البريطانية ــ انى أثرت استياء فى الجيش المصرى وبالذات لدى الضباط الذين ليست لهم مشاعر خاصة نحو الملك . انهم يعتبرون ما حدث اهانةللعرش بأستخدام القوة .

٢ ــ وجد هذا صدى فى اجتماعات عقدت بنادى الضباط تحدث فيها ضباط كثيرون . وقد اقترحوا ارسال برقية يعبرون فيها عن ولائهم للملك واحتجاجهم على ــ أى على لامبسون ــ

وقد تصرف كبار الضباط ــ من الحاضرين ــ بحكمة .

٣ ــ وبينما كان الاجتماع مستمرا تلقى الضباط رسالة منالقصر بأن الملك يقدر ولاء ضباطه ويطلب اليهم الهدوء والعودة لعملهم .

٤ — علق الجنرال ستون على ذلك بأن التوتر قــد امتد الى الجيش المصرى بسبب الاحداث الاخــيرة ولكنــه يتوقع هــدوءا تدريجيا . وان الحادث لن يؤدى الى عدم تعاون بين الجيشين المصرى والبريطانى » .

***

وقدم رئيس البعثة العسكرية البريطانية لتدريب الجيش المصرى تقريرا عن الموقف داخل الجيش بعد ٤ فبراير فقال :

.. وكان هناك ثلاثة من الضباط المصريين الذين أخذوا مسألة ٤ فبراير بنظرة خطيرة . وحاولوا فى ذلك الوقت تنظيم مظــاهرة من الضباط الشبان للاعراب عن الولاء للملك . وقيل انهم كانوا يدبرون مظاهرة معادية للسفارة .

وقد تمكن كبار الضباط من اقناعهم بالامتناع عن مثل هذه الاعمال

ومنذ ذلك الحين وهم خاضعون للمراقبة . وكانوا بصفة دائمة مناهضين لبريطانيا وللحكومة .

وقرر وزير الدفاع — حمدى سيف النصر — نقل هؤلاء الضباط من القاهرة . وقد اعترض اثنان منهم وكتبا خطابات احتجاج الى الوزير . واتهم احدهما الوزير فى خطابه بأنه اتخذ هذا الاجــراء بسبب واحد هو أن هذا الضابط موال للملك .

وطلب ضابط آخر احالته الى الاستيداع . وهدد باتخاذ اجراء آخر اذا لم تتم الاستجابة الى مطالبه .

ولما لم يتلق ردا على احتجاجه كتب خطابا الى قيادة الجيش بعث منه نسخا الى الملك ورئيس الوزراء . وأتهم هذا الخطاب وزير الدفاع بمخالفات منها المحاباة .

وتفيد معلومات رئيس البعثة العسكرية أن الملك أمر عنــدئذ بتقديم هذين الضابطين الى محكمة عسكرية .

٥ ـــ عندما سمع الأمير اسماعيل دود ـــ قائد سلاح الفرسان ـــ ذلك توجه الى وزير الدفاع ورئيس الوزراء ليحتج على مثل هـــذا الاجراء على اساس انه ضار بالانضباط فى الجيش الى آخر مـــدى لانه سيؤدى الى أن ينحاز الجيش الى هذا الجانب أو ذاك . وربما الى تدخل الملك لدى اعضاء المحكمة .

ووجد وزير الدفاع نفسه عاجزا عن الاعتراض لانه لا يستطيع أن يبدو وكأنه يحاول تجنب اجراء تحقيق كامل .

واقتنع الامير اسماعيل داود رئيس الوزراء بأن الطريق السليم الوحيد هو أن يقرر الملك الاستغناء عن خدمات الضابط الثـــانى واحالة الضابط الاول الى المعاش .

والموقف الآن هو انه يضغط على الملك ليوافق على التصرف على هذا الاساس . ولم يصل الرد بعد .

٦ ـــ مما زاد الموقف تعقيدا أن مكرم ـــ الذى كان قد فصل من الوفد ـــ عرض خدماته مجانا كمستشار للدفاع عن الضـــابطين . ويفتح هذا بطبيعة الحال الطريق الى تجريح واتهامات سياسية لا حد لها .

ونأمل ـــ باخلاص ـــ أن يوافق الملك فاروق والا فانه ليس هناك ما يؤكد ادانة هذين الضابطين .

وقد ينشأ موقف ينجح فيه الجيش فى فرض رأيه على الحكومة . وليس لدى رئيس البعثة العسكرية شك فى أن رئيس الوزراء على حق مطلق فى الاصرار على رد الضابطين بدلا من محاكمتهما أمام محكمة عسكرية .

ولقد استطعت ـــ حتى الآن ـــ تجنب اقحامى فى الموضـــوع . وانى اميل الى الاحتفاظ بهذا الموقف الا اذا أثار رئيس الوزراء هذا الامر معى .

***

بقى أن تعرف أن الضابط الذى كتب خطاب الاحتجاج العنيف هو القائمقام ــ عقيد ــ احمد فؤاد صادق قائد الجيش المصرى بعد ذلك فى حرب فلسطين .

والثانى هو محمد كامل الرحمانى الذى اختير بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليكون أول مدير للاذاعة بعد الثورة .

والاخير الذى نقل الى منطقة القنال هو الاميرالاى ــ عميد ــ حمدى طاهر ــ باشا ــ الذى تولى رئاسة المجلس العسكرى لمحاكمة الفريق عزيز المصرى عندما اتهم بعد ذلك بالتآمر لقلب نظام الحكم .. وقد اعتذر حمدى طاهر عن رئاسة هذا المجلس بعد جلسة واحدة .

***

وقد تمسك الملك بمحاكمةفؤاد صادق والرحمانىحتى يفضحا ــ اثناء المحاكمة ــ الوفد ووزير الدفاع الوفدى بين الضباط .

وتمسك النحاس وحمدى سيف النصر وزير الدفاع بفصل الضابطين واعتقالهما دون محاكمة..وكان لامبسون يراقب الموقف من وراء ستار .. حتى ظهر أنور السادات لاول مرة من خلال برقيات لامبسون .. وظهر معه بداية الخطر الذى يهدد تنظيم الضباط الاحرار كله !!

***

فى مذكرات السادات كتب كلمة ٤ فبراير ١٤ مرة مما يدل على مدى تأثير هذا الحادث فى نفسه .. وفى نفوس الضباط .

وفى اليوم التالى لعودة تشرشل الى القاهرة من موسكو نجد لامبسون يبعث بأول برقية الى لندن يشير فيها لاولمرة الىالتنظيم السرى داخل الجيش .. ويتحدث عن القبض على انور السادات وقائد السرب الطيار حسن عزت .

ولقد روى انور السادات هذه القصة فى كتاب اسرار الثورة المصرية قصة القبض عليه مع حسن عزت فقال أن روميل اصدر أمرا لاثنين من رجاله هما ابلر وساندى بالتسلل الى مصر .. وقد تعرف بهما عبد المغنى سعيد وقدمهما الى انور السادات بعد أن اثبتا بما يقطع كل شك حقيقة مهمتهما وجنسيتهما الالمانية .

وقال انور السادات

« .. قابلهما عزيز المصرى وتفاهم معهما على اشياء كثيرة ثم أصدر أمره الينا ـ السادات وحسن عزت ـ بتسهيل طلبهما .. أى اصلاح جهاز لاسلكى معطل . وفى يوم الاحد ذهبت اليهما وأخذت الجهاز . وفى يوم الثلاثاء قبض عليهما .

وقد حاولت ان اعرف ان كانت صلتى قد اكتشفت ام لا . فعلى الاجابة على هذا السؤال يتوقف مصيرى كضابط فى الجيش .

واكثر من هذا أن نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين ، كان يمكن أن تكون المفتاح الكبير الذى يفتح امامها الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش .

وقد فوجئت بعد يومين اثنين من القبض على الجاسوسين بالقبض على وعلى زميلى حسن عزت .

وظهرت لى الحقيقة كاملة عندما علمت بعد ذلك أن الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا الى مستر تشرشل ، وكان يزور مصر فى ذلك الوقت ، فلما مثلا امامه وعدهما بحياتهما أن اعترفا بكل شىء .. واختار الجاسوسان بين الموت والحياة .. فاعترفا اعترافا كاملا وجاءا بى وبحسن عزت الى السجن .

وصدر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا . وكان اهم ما فيها اعتراضنا على أن نحاكم كضباط مصريين أمام ضباط انجليز حتى ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ومن رئيس الحكومة نفسه مصطفى النحاس .

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ومن رئيس الحكومة المصرية هو الخنجر الذى طعننا به .. »

ويطلب السفير البريطانى تأييــدا من حكومته يتيح له عــزل الفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس اركان حرب الجيش المصرى ورجل الملك داخل الجيش ويشير الى خطر التنظيم « المجهول » داخل الجيش .

برقية رقم ٢٠٤٠

بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجيــة

هــــام

١ ــ تحدث الى النحاس باشا صباح اليوم عن صدام خطير يوشك أن ينشأ بين الحكومة والقصر حول رئيس اركان حــرب الجيش المصرى (الفريق ابراهيم عطا الله باشا) .

٢ ــ ذكرنى رفعته بعلامات مختلفة تشير الى خطر التذمر فى الجيش المصرى .

ويجد وزير الدفاع فى الوقت الحاضر انه من المتعذر عليه أن يستمر فى العمل مع رئيس الاركان الذى يعرض كل شىء على الملك فاروق باعتباره من رجال القصر .

وقد ادى ذلك الى عرقلة جميع محاولات الحكومة تطهير الجيش من العناصر السيئة بصفة مستمرة .

يرغب وزير الدفاع الآن فى الاستقالة ما لم يتغير رئيس الأركان.

وقد استدعى رئيس الوزراء حسنين باشا وطرح هذا الموضوع

فى حضور وزير الدفاع . ولكن حسنين غادر القاهرة منذ ذلك الحين ، ولم يصل أى رد من القصر .

٣ ـ تحدث رئيس الوزراء عن القاء القبض مؤخرا على ضابطين المانيين ، وعن القاء القبض نتيجة لهذا على عدد من الضباط المصريين وعلى عزيز المصرى . كما تحدث عن هروب اثنين من الطيارين العسكريين المصريين الى جانب العدو .

وأشار رئيس الوزراء الى الانباء التى تتحدث عن تنظيم سرى يعمل بين الضباط المصريين . وقال انه يعتقد أن هذه الانباء صحيحة .

٤ ـ كنت اشعر منذ وقت طويل أن هذا الصدام سيقع حتما أن آجلا أو عاجلا . فمن المستبعد أن تسمح حكومة وفدية بوجود رئيس للاركان من رجال القصر ، الى ما لا نهاية ـ مهما كان يتسم بالكفاءة فى حد ذاته « ونحن ليس لنا أى اعتراض على عطا الله باشا » .

وليس هناك شك فى أن هذه الحكومة كانت مصممة ـ منذ تولت السلطة ـ على اتخاذ الاجراءات التى ترى انها تضمن وقوف الجيش الى جانبها فى حالة حدوث متاعب مع القصر ، خاصة بعد أحداث ٤ فبراير . ومن المحتمل أن أساليبها لتحقيق هذا الغرض كانت فجة ، وهى ـ عادة ـ كذلك . ولكنى أستطيع أن أقدر شعورهم بأن الحكومة ينبغى أن تستطيع الاعتماد على الجيش .

ولم يطلب رئيس الوزراء هذا الصباح ـ بشكل محدد ـ تأييدا من جانبى . ولكن من الواضح أنه يسعى لمعرفة رد الفعل لدى .

لذلك ذكرته بالتأكيدات التى قدمتها اليه عندما تولى الحكم بناء على تعليماتكم . وقلت له أن المسألة ـ كما أراها ـ هى أن حكومة البلاد ينبغى أن تتاح لها حرية الحكم وأن تملك زمام الأمور .

٥ ـ انى اشعر ـ بعد الطريقة المخلصة التى تصرف بها

النحاس باشا أثناء الأحداث الأخيرة — اننا ينبغى ان نسانده اذا لم تحل هذه المسألة بطريقة ودية بينه وبين القصر مباشرة .

انى مؤمن انه لا ينبغى أن ندع وزير الدفاع — وهو رجل طيب — يستقيل .

وسيكون مفيدا اذا أدرك وزير الدفاع أن القصر يعرف موقفى . واقترح أن أتصرف على هذا الأساس — عند الضرورة — أى اذا دعت الحاجة فقط .

ان الوقت غير مناسب لأن نترك الأمور تسير على هواها أو نسمح للقصر بتحدى الحكومة فى مسألة وضح انها تدخل فى الاختصاص المشروع للحكومة . وسأتبع موقفا قويا اذا دعت الضرورة .

* * *

وبدأت الأزمة بين الملك والحكومة تزداد عنفا .. وتشرشل — بعد — فى القاهرة .

برقية رقم ٢٠٨٨

بتاريخ ٢٥ أغسطس ١٩٤٢

من السيد مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

عاجـــل

١ — لم يتحدث الى رئيس الوزراء منذ ذلك الحين فيما يتعلق بمسألة رئيس أركان حرب الجيش .

٢ — أبلغنى رئيس البعثة العسكرية أن الموقف الآن كالآتى :

ان النحاس باشا لن يسمح لوزير الدفاع بالاستقالة وهو ــ النحاس ــ يحاول مقابلة الملك فاروق .

والملك فاروق يتهرب من الموضوع بالابتعاد عن القصر . ويقول رئيس البعثة العسكرية أنه حتى حسنين باشا يعترف بأنه يجهل أين يوجد الملك .

٣ ــ يقول رئيس البعثة العسكرية أن وزير الدفاع أبلغه أن هناك ٣ اتهامات رئيسية تجعل مركز الوزير مستحيلا :

١ ــ انه فى بداية أية مسألة ، وفى جميع التعليمات يرجع الى الملك قبل اتخاذ أى عمل ، ويتم تلقى الأوامر من الملك دون الرجوع الى الوزراء .

٢ ــ عجز واضح فى المحافظة على الانضباط بين ضباط الجيش .

٣ ــ التواطؤ المزعوم فى التنظيم السرى للضباط .

٤ ــ تعليق رئيس البعثة العسكرية هو أن النقطة الأولى صحيحة بالتأكيد ، رغم أنه ينبغى أن نتذكر أن الوضع بالنسبة للجيش ليس هو الوضع فى بريطانيا من الناحية الدستورية .

والنقطة الثانية صحيحة بالتأكيد ، فمثلا لم يقدم أحد الضباط ، الذى كان مذنبا بلاشــك ، فى تهمة سرقة من مخـــازن الحكومة البريطانية الى المحاكمة على الاطلاق . نقل فقط من قيادة وحدته الى عمل أكثر ربحا فى مقر قيادة الجيش .

وهناك حالات مماثلة اجهضت فيها العدالة .

والنتيجة انه لم يعد ممكنا فرض الانضباط .

وفيما يتعلق بالنقطة الثالثة فان رئيس البعثة العسكرية يشك فيما اذا كان رئيس أركان حرب الجيش له ممثل مباشر . وهو ــ اى رئيس الأركان ــ يستطيع بغير شك أن ينفذ أية أوامر تصدر اليه من القصر فى هذا الموضوع .

٥ — ويبدو مما قاله وزير الدفاع لرئيس البعثة العسكرية أن النحاس باشا مصمم على حسم هذه المسألة .

ويتفق معى الجنرال نابييه كليفرنج رئيس البعثة العسكرية البريطانية — بشكل عام — فى أن رفعته على حق فى ذلك تماما ، وفى أن أى وزير الدفاع لا يمكن أن يتعاون مع رئيس للاركان غير مخلص له .

يضيف رئيس البعثة الى ذلك قائلا :

ان حالة القلق الراهنة تحدث عدم استقرار فى الجيش ، وأن ما يريده الجيش هو حل سريع مهما كان هذا الحل .

.. وحتى رئيس أركان حرب الجيش نفسه ، قال هذا للجنرال نابييه كليفرنج .

٦ — يبدو أن الوقت قد حان للتدخل لدى القصر ، ولكن قبل اتخاذ أية خطوة من هذا النوع سأستشير النحاس باشا ، وأتأكد من أن ذلك يناسبه . وسأفعل ذلك فورا .

انى اعتبرها مسألة سياسية هامة جدا الا يفقد النحاس هذه المعركة مع القصر .

٧ — بطبيعة الحال فانى أحيط وزير الدولة والسلطات العسكرية علما بتطورات الموقف .

❋ ❋ ❋

وتستمر أزمة الجيش .. بينما الموقف فى الصحراء الغربية يقترب من المعركة الفاصلة بين روميل ومونتجومرى . فقد توقفت قوات الألمان عند العلمين وبدأت المناوشات العسكرية .

ويلتقى أمين عثمان بالسفير البريطانى يوم أول أكتوبر ويقول له :

ان الملك يشجع التمرد داخل الجيش . ان الضابط المتهم الذى قدم عريضة الاتهامات ضد وزير الدفاع — فؤاد صادق — فقير ولا يستطيع أن يستمر فى حملته بدون مساندة . ان النحاس يرى أن الجيش ليس آمنا ولا مضمونا وستكون هنـــاك متاعب اذا جدت ظروف حرجة . فاذا أيقن وزير الدفاع من موقفنا فسيأخذ موقفـــا متشددا .

ويرد السفير :

— لابد من طرد الضابطين بلا محاكمة عسكرية .

وفى نفس اليوم يلتقى السفير بالنحاس باشا ..

ولا يكون الضابطان — السادات وحسن عزت — موضع حديث أو مناقشة . ان الملك يوافق فورا على طرد الضابطين — السادات وحسن عزت — من الجيش — وذلك قبل أسبوع من قرار المجلس العسكرى نفسه .. فان هذين الضابطين لا يتبعان أحدا .. ليسا من رجال الملك .. ولا الحكومة .. فان أحدا لم يعرف مدى علاقة هذين الضابطين بتشكيل الضباط الأحرار .. أو عزيز المصرى الخ

ان تنظيم الضباط الأحرار حتى هذه اللحظة كان فكرة غامضة لدى الحكومة ولدى الانجليز ...

* * *

ان النحاس فى لقائه مع السفير ... على حد تعبير مايلز لامبسون فى برقيته رقم ٢٣١٠ فى أول أكتوبر :

١ — كان يشعر بقلق شديد . ولكنه اتفق معى تماما ، فى نفس الوقت ، على أنه ينبغى أن اظل بعيدا عن الموضوع . وكان يتحدث بصفة شخصية وسرية للغاية وقال انه لا يجوز اذاعة شىء مما يقول .

٢ — ناقش رئيس الوزراء الموضوع بشيء من الاستفاضة ، وقال ان الخطاب التهجمي الذى بعث به الضابط المتهم يحمل آثارا واضحة تشير الى أسلوب مكرم . وبالاضافة الى ذلك فانه لا يشك فى ان القصر يقف وراء هؤلاء الرجال .

٣ — رد النحاس على سؤال لى — نشأ عن مناقشة ، دارت فى الليلة السابقة ، بينى وبين قائد القوات البريطانية فى مصر .

قال النحاس انه ليس هناك شك فى أن للملك فاروق سلطات دستورية يستطيع بمقتضاها الاستغناء عن خدمات أى ضابط دون محاكمته عسكريا . وهناك سوابق كثيرة لذلك .

والحقيقة أن الملك فاروق وافق أخيرا على اتخاذ مثل هذا الاجراء مع ضابطين كانا مشتركين فى قضية التجسس الألمانية الأخيرة « يعنى أنور السادات وحسن عزت » .

٤ — وقد استدعى النحاس حسنين وأبلغه أن أية محاكمة عسكرية ستكون شيئا سيئا بالنسبة للملك لان كل انسان سيعتقد أن جلالته وراءها . ويشعر رفعته بالثقة فى أن المحكمة ستصدر حكما بالادانة (لست متأكدا من ذلك) . ولكن السابقة التى ستوضع سوف تهدم الانضباط العسكرى . وسيسير آخرون فى نفس الطريق اذا تلقوا أوامر لا يحبونها .

وألقى النحاس المسئولية على عطا الله . ولم أستطع أن أتبين لماذا ؟

وقال النحاس أن حسنين باشا ينبغى أن يبلغ الملك فاروق نقلا عن رفعته أن جلالة الملك يجب أن يبدى أنه لا يحب هذا النوع من العبث فى الجيش . وينبغى أن يوافق جلالته على الطرد دون محاكمة عسكرية من أجل مصلحته .

٥ — لم يرسل الملك فاروق ردا حتى الآن .

وقـــد طلب رئيس الوزراء تأجيل طرد الضابطين المتهمين فى قضية التجسس الألمانية والذى تمت الموافقة عليه من قبل حتى يمكن التصرف بالنسبة للجميع معا (لم أستطع أن أتبين لماذا فعل رئيس الوزراء ذلك) .

٦ ـــ اعترف رئيس الوزراء أن الامير اسماعيل داود حضر اليه وألح على اتباع خط متشدد من أجل مصلحة الجيش ، بل وتهديد الملك فاروق عند الضرورة بأنه سيفقد عرشه .

وقد رفض رفعته بطبيعة الحال حتى مناقشة مثل هذا الاقتراح .

٧ ـــ طلب رئيس الوزراء أن يعرف رد فعلى بشكل سرى جدا .

أجبت بأنى مازلت أحرص على ان أظل بعيدا عن الموضوع . وانى سعيد لأن هذا يتفق مع وجهة نظره . ولكن رأيى أن رفعته على حق تماما كما هو بالنسبة لمسألة رئيس الأركان .

ان المسألة مرة أخرى ـــ مسألة مبدأ ، وهو هل تحــكم هذه الوزارة ، أم سيملى عليها الجيش آراءه . واننى مثل رفعته ، أنظر الى احتمالات اجراء محاكمة عسكرية بشكوك شديدة .

وحتى اذا أجريت سرا من الناحية الشكلية فستتسرب الحقــائق بالتأكيد . وسيحرص مكرم باشا على ذلك بالتأكيد . ولكن اذا ظل رفعته حازما كما أعتقد ، فانى أدرك أنه مثلى حريص على تجنب نشوب نزاع حقيقى .

واذا حدث الأسوأ ، فسأكون مستعدا للتدخل .

واذا تدخلت فسيتخذ الأمر نفس الشكل الى حد كبير ـــ اى اجراء حديث ودى غير رسمى مع حسنين يتضمن تحذيرا ، وهو أمر ثبت أنه غير فعال . ولكن من المؤكد أنى لن أقابل حسنين الا اذا طلب النحاس ذلك .

٨ ــ قال رئيس الوزراء انه سر لمعرفة رأيى . وانه شعر بالارتياح لاتفاق وجهتى نظرنا . وقال انه يفضل أن يعالج الموضوع بنفسه ، وانه يطلب منى عدم مقابلة حسنين فى الوقت الحاضر أو اتخاذ أى اجراء آخر .

❋ ❋ ❋

وتقترب المواجهة فى معركة العلمين من ذروتها ..
ويبدأ القادة العسكريون البريطانيون مداولات هدفها أن يسيطر الوفد على الجيش حتى لا يهاجم الانجليز من الخلف عند الانسحاب.

ويقول السفير لحكومته :

ــ ان مشاعرى مع رئيس الوزارة فى الصراع الدائر داخل الجيش .. ولكن لا أريد عداء الجيش المصرى فى هذه الظروف بأكثر مما هو ضرورى .

ان الآراء مختلفة بشأن ميول الجيش المصرى نحونا . ان قائد القوات البريطانية يرى أن الجيش المصرى بصفة عامة متعاون معنا ولكنى شخصيا لست متأكدا من ذلك . واذا استطاع النحاس أن يتولى هذا الأمر وحده ــ بلا تدخلنا ــ فانى أفضل ذلك .

❋ ❋ ❋

وبعد يومين .. فى ٨ أكتوبر يقرر المجلس العسكرى طرد انور السادات وحسن عزت من الجيش .

وفى نفس اليوم تعتقلهما السلطات فى سجن الأجانب . ثم ينقلان الى معتقل فى المنيا أكثر من عامين .

❋ ❋ ❋

وقبل تسعة أيام من معركة العلمين .. يجد السفير انه لا مفر من التدخل علنا فى مسألة الجيش فان انضمام القوات المصرية

للملك فى تلك الظروف الحرجة قد يؤدى الى نتائج خطيرة .. ولا أحد يعرف من سينتصر .. الألمان أم الانجليز .

برقية رقم ٢٣٨٤

بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

هـــام

١ ـــ قابلت أحمد حسنين هذا الصباح .

٢ ـــ بدأت بابلاغه وجهـــات نظرنا . وأبديت رغبتى فى اخطار الملك بها وقد وعدنى بذلك .

٣ ـــ شن حسنين هجوما على الحكومة .

قال انه ينبغى أن يتحرى الأمر بعناية حتى يبدى للملك نصيحة سليمة . وقال ان قيام جلالته بطرد الشخص الذى ارتكب مخالفات سيعد سابقة خطيرة . وهو يرى أن كثيرا من الاتهامات الموجهة الى وزير الدفاع لها أساس كما يعرف الجميع .

٤ ـــ كانت نتيجة المناقشة كما يلى :

ا ـــ وافق على عدم اجراء محاكمة عسكرية ، وهذا التغيير ـــ اذا تأكد ـــ يعد خطوة كبيرة الى الأمام .

ب ـــ اقترح أن يصدر الملك بناء على توصية من وزير الدفاع قرارا باحالة الضباط الذين ارتكبوا مخالفات الى الاستيداع .

جـ ـــ اذا لم يعد هذا الاجراء كافيا فانه ينبغى اجراء « تحقيق » . واذا أسفر التحقيق عن التوصية بالاستغناء عن خـــدمات هؤلاء الضباط فانه يعتقد أن الملك فاروق قد يوافق .

د ــ اذا لم تنجح الأساليب سالفة الذكر ، فان الحكومة ينبغى أن تقدم سابقة مقنعة تبين أن الطرد يتفق مع لوائح الجيش .

ه ــ وذكرت سابقة عن طرد اثنين من الضباط اشتركا فى قضية تجسس . ولكنه أصر على أن هذه الحالة مختلفة تماما لانه ليس هناك من يستطيع أن يقول ان هذين الضابطين يستحقان الفصل أو ما هو أشد .

ان هذه الحالة لا تماثل تماما الحالة الراهنة التي تتعلق باتهامات موجهة ضد وزير الدفاع ويحتمل أن تكون صحيحة .

وقد أوضحت أن هذا يعد بمثابة هدم لكل انضباط فى الجيش الأمر الذى ليس فى صالح الملك فاروق نفسه بالتأكيد .

٦ ــ حرصت طوال المناقشة على أن ابنى ملاحظاتى على أساس معلومات حصلت عليها من مصادرى الخاصة .

٧ ــ اقتبست بالمصادفة بعض النقاط من تقرير المذنب الأول فؤاد صادق الذى أعدته سلطاتنا العسكرية والذى يغطى العامين الاخيرين .

ويتهمه هذا التقرير بأنه مناهض لبريطانيا بشدة الى حد الانتماء الى منظمة سرية فى الجيش للتخريب ونقل معلومات الى العدو ، كما يتهمه بأنه أحد زعماء حركة تهدف الى وضع العراقيل أمام القوات البريطانية فى حالة حدوث نكسة .

٨ ــ أجريت بعد ذلك مشاورات مع رئيس البعثة العسكرية . وهو يرى أن التخلى عن مسألة اجراء محاكمة عسكرية ــ اذا تأكد ــ يعد تقدما واضحا .

وفيما يتعلق بالفقرة ٤ (ب) فانه يعتبر أن صادق يستحق عقوبة أشد من الاحالة الى الاستيداع ، رغم أن هذه العقوبة تكفى بالنسبة للآخرين .

وهو لا يرى مبررا للاعتراض على التحقيق الذى يعتقد أنه يؤدى الى تجنب أخطار المحاكمة العسكرية .

* * *

وقبل أربعة أيام من معركة العلمين يطلب قائد القوات البريطانية وكذلك رئيس البعثة العسكرية البريطانية الى السفير اتخاذ موقف قوى وحاسم من الملك .. والتهديد باستعمال القوة أو استعمالها فعلا .. أى تكرار ٤ فبراير .

ولامبسون يميل الى ذلك فعلا ويقرر ابلاغ حسنين باننا « سنسجل نقطة سوداء اذا ظل هذان الضابطان فى الجيش بسبب موقف فاروق على الرغم من نصيحة حكومته » .

ويجىء أمين عثمان الى دار السفارة ليقول :

ـ ان المسألة تهمكم أكثر مما تهم الحكومة المصرية ..

ولا يقول أمين عثمان للسفير الحقيقة كاملة وهى أنه اذا أيد الانجليز توجيه انذار من النحاس للملك بطرد الضابطين فان هذا سيعرض الانجليز للاتهام بحماية وزير الدفاع من تهم أخرى لا علاقة لها بتهمة العصيان .. مثل اتهام وزير الدفاع بترقية ابنه الضابط بالجيش ترقية استثنائية .

* * *

وقبل ٧٢ ساعة من معركة العلمين يفكر السفير البريطانى فى **التدخل عسكريا ضد فاروق وعزله .. وتكرر حادث ٤ فبراير .**

ويعقد السفير اجتماعا يوم ٢٠ أكتوبر يحضره نائب وزير الدولة البريطانى وقائد القوات البريطانية فى مصر وبعض العسكريين .

ويقول العسكريون الوقت غير مناسب للتدخل العسكرى وان كان

من المقطوع به أن القصر سيخضع اذا عرف أن بريطانيا ستستخدم القوة ضده .

ويعتذر قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط بأنه ليست لديه القوات الكافية ليعيد حادث ٤ فبراير .. ويقول أن القوات الكافية يمكن تدبيرها اذا استدعى الأمر ذلك وكان قائد القوات البريطانية هو وحده الذى أبدى اعتراضا أما الباقون فقد أيدوا مساندة النحاس لفصل ضابطين مصريين من الجيش المصرى .

* * *

وقبل ٤٨ ساعة من معركة العلمين يتراجع النحاس ويقبل .

برقية رقم ٢٤٢٨

بتاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

الى وزارة الخارجية

هـــام

١ ـــ عاد أمين عثمان من الاسكندرية . أبلغنى أن النحاس باشا يشعر أنه فى أية مسألة داخلية بحتــة ، فانه لن يكون مستعدا للتطرف ، وسيقبل كحل أخير احالة الضابطين موضوع المشكلة الى الاستيداع ، أو عدم اتخاذ اجراء ضدهما على الاطلاق .

٢ ـــ وهو يعتقد أن ذلك سيحدث أثرا سـيئا على الجيش ، وسيسبب انتشـــار العصيان والمشـاعر المعادية لبريطانيا لان الأمر سيعرض على أساس أن الضباط الذين يساندهم الملك يتحدون الحكومة البريطانية .

٣ ـــ أبلغت أمين عثمان بمناقشاتى مع حسنين . وقـــد اتفقنا

على انه ينبغى أن يجتمع بوزير الدفاع ويحصل منه على الأمثلة السابقة التى طرد فيها الملك ضـــباطا من الجيش دون أية محاكمة عسكرية أو تحقيق . وسيحصل من وزير الدفاع أيضا على معلومات تتعلق باللوائح الخاصة باعفاء الضباط من الخدمة .

٤ ــ فى نفس الوقت حصل رئيس البعثة العسكرية من مدير القضاء العسكرى فى الجيش المصرى على المعلومات التالية :

ا ــ أن اللوائح لا تتضمن شيئا يمكن بأى حال أن يحـــد من سلطة الملك فى الاستغناء عن خدمات الضباط . وهو يستطيع أن يتخذ هذا الاجراء لأى سبب من الأسباب .

ب ــ هناك حالات اتخذ فيها هذا الاجراء دون محاكمة عسكرية. ولا يستطيع مدير القضاء العسكرى أن يذكر أمثلة على عمليات طرد سريعة كهذه لانها لا تدخل فى مجال اختصاصه .

جـ ــ الاجراء الطبيعى هو أن يرسل طلب الى الملك يقرر وقوع مخالفة وسبب طلب اتخاذ اجراء سريع .

د ــ أى ضابط أحيل الى الاستيداع يمكن اعتقاله كمدنى . ومثل هذا الضابط يظل خاضعا للقانون العسكرى بالنسبة لأى مخالفة عسكرية وهذه النقطة كانت ردا على سؤال محدد وجهته الى رئيس البعثة العسكرية كوسيلة للخروج من المشكلة) .

٥ ــ ويبدو أن الطرق البديلة هى :

ا ــ أن يتخذ الملك اجراء عاجلا بالطرد .

ب ــ اجراء تحقيق .

جـ ــ الاحالة الى الاستيداع والاعتقال .

د ــ عدم اتخاذ اى اجراء ضد الضباط على الاطلاق .

٦ ــ لايزال النحاس باشــا يعارض اجراء تحقيق ويقول ان التحقيق سيكون سيئا كالمحاكمة العسكرية .

***

ولكن معركة العلمين تحسم الموقف ..

وفى كتاب أسرار معركة الحرية الذى كتبه حسن عزت قال انه فوجىء هو وأنور السادات فى سجن الأجانب بوصول فؤاد صادق وكامل الرحمانى .. لقــد وافق الملك على طردهما من الجيش واعتقالهما ..

يسلم الملك الضابطين للانجليز ! !

ولقد طالبت صحيفة « صانداى ديسباتش » البريطانية فى سنة ١٩٥٦ باقامة تمثال للورد كيلرن ــ مايلز لامبسون ــ فى ميدان عابدين لانه المهندس الحقيقى الذى صمم ــ رغم أنفه دون أن يدرى ثورة الجيش المصرى عام٥٢ ..
وقالت الصحيفة

« رغم أن جمال عبد الناصر والضباط الشبان كانوا يكرهون فساد فاروق ووزرائهم فانهم كانوا يحقدون أكثر على سياسة لامبسون التى أراد بها اذلال هؤلاء الشبان أثناء الحرب لان هذا الاذلال ترك أثرا عميقا فى ذاكرة هؤلاء الشبان وأثار عزيمتهم للقيام بثورة » !

***

قبل أن ينتهى العام كانت بريطانيا تمنح مايلز لامبسون لقب لورد وأصبح اسمه اللورد كيلرن .

وأقام النحاس حفلا لتكريم اللورد فى قصر الزعفــران فى أوائل عام ١٩٤٣ .

ومضى الوفد يحكم .

والملك ينتهز الفرصة حتى أبريل ١٩٤٤ .. عندما فكر فى عزل النحاس .. وأقول فكر لان الملك لا يستطيع أن يقرر قبل موافقة كيلرن .

.. واقراوا هذه البرقية ..

برقية رقم ٧٢١

بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٤٤

من اللورد كيلرن

الى وزارة الخارجية

عاجل جدا

١ ــ استدعانى الملك فاروق بعد ظهر اليوم .

٢ ــ قرأ الملك على وسلمنى مذكرة .

٣ ــ أعقب الملك ذلك بالتصريح التالى الذى أنقله من واقع كلماته :

« لأول مرة ، وبوجود هذه الحكومة التى يتولى رئاستها رجل معروف بأنه صديق لك وللبريطانيين ، فاننى أشعر الان أنه أصبح من الممكن جدا أن نضع حدا لكل جوانب سوء الفهم بيننا وأن نبدأ صفحة جديدة ونقيم علاقاتنا على أساس تفاهم متبادل » .

وقال جلالته أنه وقع بيننا ــ أنا وهو ــ صدام فى الماضى . ومن هنا فانه يدلى بهذا التصريح .

٤ ــ واستمر الملك يتحدث بالتفصيل فى النقطة التالية :

« كانت مناقشاتنا طوال المقابلة ودية للغاية وهو ما حرصت على المحافظة عليه » .

قال الملك :

انه لا يمكن أن يكون هناك ملكان فى مصر .

أسرعت بالتدخل وقلت :

ــ اننا اكتشفنا بالفعل أن ملكا واحدا يكفى .

سر الملك وضحك كثيرا لهذه التفشة .

٥ ــ أوضحت على الفور اننى غير مستعد لأن أدلى بما هو أكثر من تعليق مبدئى .

٦ ــ أولا :

من المؤسف أن جلالته واجهنا بهذه القنبلة دون سابق انذار عن طريق حسنين أو غيره . فلو أن جلالته عرف وجهة نظرنا مقدما لكان من الممكن أن يكون موقفه اكثر يسرا .

٧ ــ ثانيا :

على الرغم من أنه لا توجد حكومة مصرية كاملة أو رئيس وزراء مصرى كامل . فان الحكومة الراهنة قامت بدورها بشكل يدعو للاعجاب كحليف فى وقت الحرب ، وبشكل أثار ارتياحنا .

وبينما كان الآخرون يتذبذبون ، فقد كانت هذه الحكومة على ثقة قوية بنا وصمدت فى الشهور الحاسمة عام ١٩٤٢ عندما كان العدو على الأبواب .

ومن وجهة نظرنا الخارجية فقد كان من الواضح فوق كل شك أن النحاس باشا وحكومته لم يكونا فقط فوق مستوى النقد ، بل أنهما بذلا كل جهودهما لدعم ومساعدة المجهود الحربى .

٨ ــ على أساس نفس هذا الخط من التفكير ، فاننى لا أستطيع أن أتصور وقتا غير مناسب كهذا الوقت لتغيير الحكومة ــ بشكل

ينطوى على عدم الاكتراث — فى الوقت الذى يوجد فيه مصير مصر والعالم كله معلقا فى الميزان .

ان هذا يبدو غير معقول وأعتقد أن لندن ستشعر بنفس الشعور.

٩ — وبالاضافة الى ذلك ، فهل جلالته واثق من الحقائق ، ومن صحة ادعاءاته عن جولة النحاس باشا الأخيرة فى الوجه القبلى ؟

لقد تلقيت تأكيدات بأن الأنباء القائلة بأنه أصر على أن يعد له الجيش تكريما ملكيا لا أساس لها من الصحة .

١٠ — وأكد الملك أن لديه أساسا كافيا لشكواه من أن رئيس الوزراء يتعدى على مركزه الملكى .

١١ — حملت جلالته على الاعتراف بأن الورقة التى سلمها لى لا يمكن — بأى حال — اعتبارها قرارا ، وأن شيئا لن يتم حتى يتاح لى الوقت الكافى لاجراء مشاورات مع حكومة صاحب الجلالة ولكن جلالته ألح فى الاسراع بذلك .

١٢ — قلت انى — بطبيعة الحال — سأقدم تقريرا كاملا عن محادثاتنا . وانه من الصواب أن أحذره بأن الاجابة ستكون حادة ،

ولذلك فانه من المهم أن يمنع جلالته بشدة تسرب أى شىء عما اقترحه على اليوم حتى أستطيع ان أجتمع به مرة أخرى ، ونواصل تبادل وجهات النظر « بشكل ودى غير رسمى » . ووافق جلالته تماما .

١٣ — وفى احدى اللحظات أشار الملك الى الخطابين المتبادلين بينى وبين النحاس باشا فى ٥ فبراير ١٩٤٢ . وبدأ كما لو كان يجادل على أساس أن هذين الخطابين يستبعدان احتمال وصول رد جاد .

واشرت الى انه لو قرأ النص بمزيد من الاهتمام فسيرى أن خطابى تم اعداده بعنـــاية . وانه بينما قد تكون سياستنا قائمة ــ وهي كذلك بالتأكيد ــ على أساس عدم التدخل فى الشـــئون الداخلية . فانه من الممكن تصور ظروف قد يكون لدينا فيهـــا ما يبرر هذا التدخل . ويكون علينا أن نتدخل لدعم هـــذه السياسة نفسها .

١٤ ــ وأخيرا حصلت منه على قائمة بأعضاء حكومته المؤقتة المقترحة . وكان من الواضح أن جلالتـــه متردد بعض الشيء فى الكشف عن هذه الأسماء .

وقد دهشت عندما قدمها لى :

حسنين باشا (رئيسا للوزراء) ومعه مجلس يضم الى حد كبير مسئولين سابقين (حسن صادق وسابا حبشى ورفعت وشوشة وكيلى وزارة الداخلية والصحة ، وشخصيات لا وزن لها وعمرو باشا بطل الراكيت .. ومجموعة من الشخصيات التى لا نشاط لها فى البلاد .

أشرت على الفور لجلالته الى أن فكرة تشكيل مثل هذه الوزارة فى الوقت الحاضر أمر لا ينطوى على جدية بالتأكيد ؟

لقد شهدنا ما يكفى من حكومات الاقلية (حسن صبرى وحسين سرى) ويجب أن يتولى الوزارة شخص تؤيده البلاد . لمـــاذا لا يسمح للنحاس باشا أن يتوجه الى البلاد ويختبر رأى الشـــعب بالاقتراع .

ولم تعجب هذه الفكرة جلالته بطبيعة الحال .

١٥ ــ وعندما شعرت انه من غير المرغوب فيه الاستمرار فى المناقشة . كررت القول بضرورة اعتبار ملاحظاتى شخصية ومبدئية بحتة . ويجب أن أؤكد أيضا أنى أعتقد ان هذه الخطوة غير ملائمة ومن المرجح أن تؤدى الى رد فعل حاد من جانبنا . ولكن فيمـــا

يتعلق بهذه النقطة ، فانه ينبغى أن أؤجل أى تعليق آخر حتى أتلقى تعليماتى .

١٦ — وأكرر أن محادثاتنا كانت طوال الاجتماع ودية . ولكن من الواضح ان جلالته لا يقدر أدنى تقدير أن الحرب لا تزال فى الميزان وأننا لسنا فى حاجة الى الشعور بمزيد من القلق بشأن استقرار قاعدتنا فى مصر .

١٧ — سوف أبعث بالتعليق الذى أفكر فيه فى أسرع وقت .

وجاء الرد من لندن بعد أن تسرب النبأ الى الأوساط السياسية فى القاهرة .

واستقبل الملك اللورد كيلرن بعد ستة أيام من اجتماعهما الأخير ليتسلم منه رد تشرشل برفض التغيير . وحذر كيلرن فاروق من حماقة التصرف العاجل قبل أن يعرف مقدما رأى الحكومة البريطانية !

وفى نفس الوقت طلب تشرشل أن تستعد القوات البريطانية لعزل فاروق اذا لم يذعن ..

وأذعن فاروق بطبيعة الحال ! فان برقية تشرشل نصت على أن الطريق لعزل النحاس هو اجراء انتخابات عامة للاحتكام الى الشعب .

ومعنى ذلك أن الشعب اذا اختار الوفد فان فاروق يجب أن يخرج بالارادة الشعبية هذه المرة .

بل ان السفير فى ذلك اللقاء الذى تم يوم ٢١ أبريل ١٩٤٤ يقول لفاروق من الأفضل أن نعود الى التقليد القديم الذى كنت أتبعه مع أبيك الملك فؤاد وهو أن نلتقى أسبوعيا لنتفاهم .. !

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

[CYPHER] WAR CABINET DISTRIBUTION.

FROM CAIRO (AMBASSADOR) TO FOREIGN OFFICE.

Lord Killearn. D: 11.18 p.m. 12th April, 1944.
No. 721. R: 11.55 p.m. 12th April, 1944.
12th April, 1944.

300

MOST IMMEDIATE. 5 5 5

King Farouk summoned me this afternoon.

2. He read and handed me memorandum of which text is given in my immediately following telegram.

3. His Majesty followed this up with the following verbal declaration which I took down at his dictation:

[Begins]

"For the first time with this new government at the head of which is going to be a man known to be a friend of yours and of the British, I feel that it is more [sic ?now] possible to put an end to all misunderstandings between us and start with a new page and put once and for all our relations on the basis of mutual understanding." His Majesty added that he and I had crossed swords in the past; hence the above declaration.

4. Elaborating the above (our conversation was throughout on a most amiable basis on which I purposely kept it) His Majesty said it came to this:

There could not be two Kings of Egypt (I hurriedly interpolated to his considerable amusement that we had already found one was quite enough !).

5. I made it clear forthwith that I was not prepared to make more than purely preliminary comment.

6. My first:

That it was a pity His Majesty had faced us with this bomb-shell without preliminary warning through Hasanein or otherwise. That it might in the event have proved to make His Majesty's position easier had he known our view in advance.

7. My second:

That whilst no Egyptian Government or Prime Minister was perfect, the present administration had admirably fulfilled their role of loyal war-time ally and to our complete satisfaction: and when others were waivering they had robustly

[? grp: omitted]

قرر فاروق اقالة النحاس فى ابريل ١٩٤٤ ثم بعث يستأذن
السفير البريطانى قبل اعلان القرار .

J 1393

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

[CYPHER] WAR CABINET DISTRIBUTION.

FROM CAIRO (AMBASSADOR) TO FOREIGN OFFICE.

Lord Killearn.
No. 760.
18th April, 1944.

D: 2.24 p.m. G.M.T. 18th April, 1944.
R: 4.35 p.m. B.D.S.T. 18th April, 1944.

5 5 5

MOST IMMEDIATE.

My telegram No. 759. J 1385/31/16

I saw King Farouk at 1.45 p.m. today and gave him the Prime Minister's message, leaving him a copy in full.

2. I remonstrated with His Majesty for having broken his definite pledge to me through Hasanein on Saturday evening that he would take no action before seeing me again and learning the views of His Majesty's Government. His Majesty admitted his pledge, but argued that circumstances had forced his hand. The news had got out (he did not blame us for that) and it had become imperative to act immediately as Nahas Pasha was due today in Alexandria where there would be a repetition of his Upper Egypt performance.

3. I observed that this seemed on the face of it to be jumping to conclusions ahead of events. Anyway I must [grp: undec: ? warn] him formally of the unwisdom of hasty action before knowing the views of His Majesty's Government which might reach me at any minute now. And I drew his special attention to paragraph 6 of the Prime Minister's message.

4. His Majesty said that he would ponder this message and would send me an answer within the next hour.

5. I warned His Majesty that, as stated in the Prime Minister's message, I should forthwith be getting in contact with Nahas Pasha and warning him once more against any provocative actions.

6. On my way out, I saw Hasanein Pasha and repeated the same language to him.

O.T.P.

جاء الرد من لندن باستمرار النحاس في الحكم !

رجل يقرأ الغيب !

استمر الوفد يحكم .. بعد أن هدد تشرشل باستخدام القوة ضد فاروق مرتين اذا فكر فى عزل النحاس .

واخذ الأمراء يعربون عن تأييدهم للملك باقامة الحفلات الساهرة فى بيت الأميرة منيرة حمدى وسراى علاء الدين مختار نجل الأميرة نعمت عمة الملك .. وفى قصر الأمير طوسون وشويكار .. الخ وهى حفلات كان هدفها تسلية الملك والترفيه عنه حتى ينسى ما جرى له بواسطة كيلرن ! !

وفى نفس الوقت حرص فاروق على أن يؤدى الصلاة فى المساجد ليكتسب التأييد الشعبى .

كان السفير البريطانى اللورد كيلرن قد سافر الى جنوب افريقيا لقضاء أجازة صيف طويلة ... وتولى تيرينس شون مهمة القائم بأعمال السفارة :

وفى أواخر عهد النحاس كان فاروق يصلى فى المساجد الكبرى .. ليبدو بمشهد الملك التقى ! !

ولاحظ فاروق .. على امتداد الطريق وجود لافتات تدعو له

وللنحاس .. وتهتف له وللنحاس وأن الناس يقولون فى نفس الوقت عاش الملك والنحاس .

واستدعى فاروق محمود غزالى بك مدير الأمن العام ـ فى الطريق وأثناء مروره .. وطلب منه نزع اللافتات التى تشرك معه رئيس وزرائه .. !!

ونفذ محمود غزالى بك الأمر أثناء صلاة الملك ! واستدعى حسنين باشا غزالى بك وطلب اليه أن يكون الهتاف دائما للملك وحدة .. وأبلغ مدير الأمن ذلك لمأمورى الشرطة دون أن يخطر وزير الداخلية .

وعرف فؤاد سراج الدين بالأمر فقـرر عزل غزالى بك .. ثم استبدل قرار العزل بالوقف .. تماما كما حدث فى مسألة قطـع العلاقات مع فيشى فى وزارة سرى .. فقد أوقفت العلاقات .. ولم تقطع .

وقد ظل غزالى بك موقوفا عن عمله حتى اقالة الوفد .

* * *

وكان الموقف العسكرى قد تغير لصالح الانجليز .

.. بدأ غزو الحلفاء لفرنسا .

والألمان ينسحبون من الاتحاد السوفييتى ..

ولم يعد هناك جندى ألمـانى .. أو ايطالى واحد فى أفريقيا .

* * *

وجدت أزمتان جديدتان تافهتان بين الملك والنحاس ..

ولقد شبه مستر شون الوزير البريطانى المفوض هاتين الأزمتين بأنهما .. « لعب عيال » .. أو لعب أطفال !

فتح الملك فاروق — فى محاولة منه لاكتساب الشعب — قصر عابدين ليدخله الناس فى رمضان يستمعون الى تلاوة من آى الذكر الحكيم .. ويتناولون المرطبات !

وطلب فاروق من فؤاد سراج الدين وزير الداخلية والشئون الاجتماعية — وتتبعه الاذاعة — أن تذاع تلاوة القرآن الكريم من قصر الملك .. فرفض الوزير .

ولم تنته الأزمة الأولى بل أسرها فاروق فى نفسه .

وجدت الأزمة الثانية عندما خرج فاروق للصلاة فى المساجد أيام الجمع .

والملاحظ أن فاروق بعد حادث ٤ فبراير لجأ لهذه الحيلة .

بعد ٤ فبراير مباشرة صلى فى مسجد القوات الجوية قرب الماظة .

وبعد ٣ أسابيع من الأزمة بدأ الملك يتخذ الخطوة الأولى .. الحصول على اذن السفارة لعزل النحاس ..

برقية رقم ١٩٩١

بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٤٤

من مستر شون

الى وزارة الخارجية

عاجل جدا

١ — طلب حسنين منى ومن المستشار الشرقى أن نزوره مساء

أمس . وبينما نحن على وشك التوجه اليه وصل لمقابلتنا أمين عثمان ـــ الذى كان قد فرغ لتوه من الاجتماع بحسنين .

١ ـــ قال أمين عثمان انه وجد حسنين غير مستعد لأى شىء سوى اعادة الغزالى دون قيد أو شرط .

أشرت الى أن حسنين ـــ فى الوقت الذى يصر فيه على ذلك ـــ تعهد فى محادثاته معى أن يبحث بعين العطف نقل الغزالى لأسباب فنية بعد اعادة لمدة شهر أو شهرين .

وذكرت أمين عثمان بأنى أبلغته بهذا الاقتراح فى ٢٩ سبتمبر الماضى .

وأوضحت أنه ـــ نظرا للتعليمات التى لدى ـــ فانى لا أستطيع ان أرغم حسنين على قبول ما يريده النحاس .

٣ ـــ قال أمين عثمان أن النحاس لن يقبل الحل المذكور وسيوافق فقط على اعادته ونقله فى وقت واحد . وأوضحت انى قلت من قبل ان القصر لن يقبل هذا الحل .

٤ ـــ قال أمين عثمان عندئذ انه اذا كان الرفض سيؤدى الى أزمة كبرى واقالة الوزارة فانه يود ابلاغ النحاس ذلك .

وكان الوفديون قد اتهموا أمين عثمان عام ١٩٣٧ بأنه منع النحاس من اتخاذ اجراء وقائى حتى تجرى مناقشات مع القصر ، فقام القصر ، بطرد الحكومة فجأة بين عشية وضحاها . وهو ـــ أمين عثمان ـــ يريد أن يحمى نفسه ويحمينا من اتهام مماثل هذه المرة .

قلت انى لا أستطيع أن أقول ماذا يمكن أن يفعل القصر . ولكن ليس هناك شك فى أن الموقف دقيق . والواقع أنى سبق أن حذرته ـــ أى أمين عثمان ـــ أكثر من مرة لخطورة الموقف .

٥ ـــ أبلغت حسنين بزيارة أمين عثمان لى .

قلت أنه ليس هناك شك فى ان امين عثمان — نتيجة لذلك — سيبلغ النحاس أن الموقف خطير حقا .

٦ — قال حسنين انه أوفد أمس مساعده حسن يوسف لمقابلة النحاس فى الاسكندرية ليسأله عما تم بشأن الغزالى . وأشار حسن يوسف الى أن القصر ظل ينتظر ثلاثة أسابيع .

قال النحاس ان التأخير يرجع الى انشغاله بالبريطانيين الذين تدخلوا . وكان عليه أن يقاوم تدخلهم .

قال حسن يوسف أن الغزالى يجب أن يعود .

رد النحاس قائلا انه مستعد — اذا كان جلالته يرغب فى ذلك — اجراء تحقيق فى سبب عدم رجوع الغزالى الى وزيره للحصول على تعليمات قبل تنفيذ أمر الملك فاروق .

رد حسن يوسف بأن الغزالى لم يجد وقتا .

٧ — قال حسنين أنه يتضح مما سبق أن النحاس لن يعيد الغزالى .

وقال حسنين انه يرغب قبل الشروع فى عزل النحاس أن يعرف ما اذا كان بياننا عن عدم الرغبة فى التدخل بشأن الغزالى يعنى أننا لن نتدخل فى عزل النحاس .

٨ — قرأت على حسنين الفقرات السبع الأولى من برقيتى رقم ١٩٦٨ . وقد أقر بأنها تتضمن تقريرا دقيقا لما قاله لى ، وأبدى رغبته فى نقله لكم . كما قرأت له أول فقرة من برقيتى رقم ١٢٤٩ .

٩ — قال حسنين بعد ذلك أن الملك فاروق يرغب فى الاجتماع بى اليوم .

اعتذرت عن قبول الفكرة على أساس أنه من غير المرغوب فيه أن يشعر الرأى العام اننا نتدخل فى النزاع .

أوضح حسنين أن الملك فاروق لم يعد يثق فى رواية حسنين عما نقوله له بعد تجربة الكتاب الأسود وأزمة الربيع الماضى . ويرغب جلالته فى أن يسمع منى مباشرة ما علينا أن نقوله . ومن الممكن ترتيب اجتماع خاص مع الملك فاروق الليلة فى منزل حسنين عند عودته من الاسكندرية .

١٠ ــ شعرت أنى لا استطيع أن ارفض الاجتماع بالملك فاروق ، وقلت انى تحت أمر جلالته اذا أمكن ترتيب الوقت .

١١ ــ ذكر حسنين انه قال لاحمد ماهر أنه يأمل من الحكومة الجديدة أن تتعاون فيما يتعلق بمصالح بريطانيا وتنفيذ المعاهدة . أجاب احمد ماهر أنه ليس هناك شك فى ذلك .

واقترح ان اقول للملك فاروق أننا نتوقع ذلك من الحكومة التى ربما يعينها .

١٢ ــ علمت من حسنين أن النحاس قد يعزل غدا .

والظاهرة التى تلفت النظر هنا أن حسين سرى قبل أن يستقيل ولم يجد كيلرن فى القاهرة توجه الى مستر شون يستأذنه باعتباره قائما بأعمال السفير .

والملك نفسه عندما فكر فى اقالة الوزارة ولم يجد السفير استدعى شون ليحصل على موافقته أولا !

* * *

وفى نفس اليوم أقال الملك مصطفى النحاس وعين احمد ماهر رئيسا للوزارة .

وفى اليوم التالى اجتمعت حكومة الحرب فى لندن مرة أخرى لبحث ظروف اقالة وتعيين الوزارة المصرية .

وهذا نص محضر الاجتماع فيما يتعلق بمصر .

Extract from War Cabinet Conclusions 134 (44) 9th October 1944

[illegible]

Previous Reference: W.M.(44) 56th Conclusions, Minute 2)

4. THE MINISTER OF STATE informed the War Cabinet of the circumstances of Nahas Pasha's dismissal from office. The occasion had been a dispute over the dismissal by the Government of the Director-General of Public Security, M. Ghazali. Nahas Pasha had asked for our support, but as the issue had been one of domestic policy only we had declined to give it, although H.M. Minister (Mr. Shone) had given some purely personal advice in the hope of settling the dispute. J 3531

It was pointed out that Nahas Pasha had given full support to the Alliance and to our war effort, and that it was unfortunate that any impression should be given that we did not support our friends.

On the other hand, while it was agreed that it would have been preferable had no change taken place, the circumstances were outside our control. The record of the new Prime Minister - Ahmed Maher - in recent years suggested that he might work well with us.

The War Cabinet took note of the Minister of State's statement.

فى محضر اجتماع مجلس حكومة الحرب فى بريطانيا بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩٤٤ .. النحاس اعطى تاييده الكامل لجهدنا الحربى .. وكان من الافضل الا يحـدث تغيير وزارى !

When the EGYPTIAN AMBASSADOR called this morning I took the opportunity of observing that there was a tendency on the part of the new Government in Cairo to victimise members and supporters of the old Government. I said that both Mr. Shone and Lord Killearn had urged the unwisdom of this. It was obviously neither in the interests of the Egyptians themselves, nor of His Majesty's Government, that those who during a number of years had shown a fundamental loyalty to the Treaty, and had worked with us, should now be subjected to any unnecessary form of reprisal.

I also took the opportunity of expressing our appreciation of the sympathy shown by King Farouk and the Egyptian Government on the occasion of the murder of Lord Moyne, and our gratitude for the help which the Egyptian Government had been ready to give.

A.C.

Egyptian Dept.

17th November, 1944.

قال السير الكسندر ، دوجان وكيل الخارجية البريطانيــة لحسن نشــات السفير المصرى :
— لا نريد انتقاما من الوفد .

« ابلغ انتونى ايدن وزير الخارجية حكومة الحرب ظروف اقالة النحاس من الوزارة فقال :

ـ كانت الاقالة بسبب عزل الحكومة لمدير الأمن العام محمود غزالى . وقد طلب النحاس باشا تاييدنا . ولكن لأن الخلاف كان حول مسألة داخلية محضة فقد امتنعنا عن تقديم العون . وان كان الوزير البريطانى المفوض ـ مستر شون ـ قد قدم نصيحة شخصية خالصة بأمل تسوية النزاع .

وأشار وزير الخارجية الى أن النحاس باشا أعطى تأييده الكامل للمعاهدة ولجهدنا الحربى وسيكون من سوء الحظ أن نعطى انطباعا بأننا نتخلى عن أصدقائنا .

ولا يجب أن يتعرضوا لأى انتقام أو اضطهاد .

ومن ناحية أخرى فقد اتفق على أنه كان من الأفضل لو لم يحدث اى تغيير وزارى .. ولكن الظروف كانت خارجة عن ارادتنا .

ان سجل رئيس الوزراء الجديد ـ أحمد ماهر ـ فى السنوات الاخيرة يدل على أنه سيكون متعاونا معنا » .

واكتفت حكومة الحرب بأن تقرر أنها أحيطت علما بتصريح وزير الخارجية . .

* * *

.. وهكذا خرج النحاس من الوزارة !

وبعد خمسة أسابيع استقبل السير الكسندر كادوجان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية السفير المصرى فى لندن ..

وانتهز وكيل الخارجية البريطانية الفرصة ليقول للسفير المصرى بطريقة فيها تحذير خفى من محاكمة أعضاء أو أنصار حكومة الوفد

قال كادوجان :

ليس من صالح المصريين أنفسهم ولا من صالح بريطانيا أن يتعرض للانتقام أولئك الذين ظلوا لسنوات يبدون اخلاصا عميقا للمعاهدة !

واقترح السفير تعيين النحاس مديرا للمكتب الشرقى لشركة قناة السويس !

* * *

بعد عامين — تقريبا — من زيارة تشرشل السرية الشهيرة جاء ايدن وزير الخارجية الى القاهرة .

كانت الظروف الدولية قد تغيرت وأبطال الرواية استبدلوا بآخرين .. ولكن الود لبريطانيا على المستوى الرسمى الحكومى ثابت لا يتغير ولا يتبدل .

برقية رقم ٢٠٦

بتاريخ ٢٣ أكتوبر عام ١٩٤٤

من مستر شون

الى وزارة الخارجية

١ — حضر وزير الخارجية مستر أنتونى ايدن ، معى ، مأدبة الغداء ، للاجتماع برئيس الوزراء المصرى أحمد ماهر باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا . وحضر المأدبة أيضا المستشار الشرقى والمستشار التجارى .

٢ — قال مستر ايدن لأحمد ماهر باشا أنه يسعده أن يعلم بالضمانات التى قدمها دولته فيما يتعلق بتنفيذ معاهدة الصداقة والتحالف البريطانية المصرية ، واستمرار تعاون مصر مع حليفتها لا أثناء الحرب ضد المانيا ، بل وضد اليابان .

وقد أشار أحمد ماهر باشا الى أنه وحزبه كانا يناديان بدخول

مصر الحرب الى جانب بريطانيا العظمى والدول الديموقراطية . وأنه كان يؤمن دائما بأن ذلك أكثر الطرق حكمة بالنسبة لبلاده .

واختلف حسنين باشا معه فى هذه النقطة .

واصر حسنين باشا على ان الجيش المصرى ليس مجهزا بالشكل المناسب للحرب الحديثة ، وأن السلطات العسكرية البريطانية ، نفسها ، لم تكن ترغب فى أن تعلن مصر الحرب على المحور .

ولو أن مصر فعلت ذلك ، لكانت مدنها وموانيها ، وجسور النيل الحيوية قد تعرضت حتما للهجمات الحيوية بأكثر مما تعرضت له ، وفى وقت لم تكن فيه دفاعاتنا الجوية قوية .

وفضلا عن الصعاب التى كان يمكن ان يسببها ذلك من الزاوية العسكرية البحتة ، فانه كان سيزيد أيضا من المشاعر الشعبية ضدنا ، لا فى مصر وحدها ، بل وفى الشرق الأوسط بشكل عام .

واكد احمد ماهر باشا وحسنين باشا من جديد اعتزام الحكومة المصرية التعاون معنا بشكل كامل كحليف مخلص فى المجهود الحربى.

ولم يرد أى ذكر لاشتراك مصر فى مؤتمر الصلح ، او لمطالبها الخاصة بالتعويضات بعد الحرب .

٣ ــ اشار وزير الدولة الى العدد الكبير من المسئولين الذين طردوا من الحكومة المصرية ، ونصح الوزراء المصريين بالاعتدال فى هذا الشأن وتجنب الانتقام من الحكومة السابقة وأنصارها .

أكد حسنين باشا أن الحكومة الحالية تتصرف بتأن بعد أن رأت ذلك العدد الكبير من الترقيات الاستثنائية التى كانت الحكومة السابقة مسئولة عنها ، ومدى انتشار الفساد فى مصر .

واكد احمد ماهر باشا لايدن أن الحكومة لم تقم بطرد المسئولين لمجرد أنهم وفديون . فقد احتفظ ماهر باشا بعدد منهم فى مكتبه الخاص .

ان المسئولين الذين طردوا هم الذين قاموا بتصرفات غير لائقة او كانوا غير صالحين لمناصبهم .

وقال أحمد ماهر أنه ضد الانتقام لأسباب سياسية .

وأكد ايدن للوزراء المصريين اهمية قيام جهاز ادارى فى مصر لا يتأثر بالتغييرات الوزارية . « ويمكن أن أذكر فى هذا الشأن أنه عندما تم اتصال بينى وبين مكرم عبيد باشا وزير المالية صباح اليوم ، ناقشت معه مسألة فصل المسئولين والانتقام منهم نظرا لأنه يعتبر من الذين يهاجمون الوفد » .

٤ — سئل احمد ماهر عن الانتخابات القادمة ، فقال ان مرسوما بحل البرلمان الحالى سيقدم الى الملك فاروق قريبا .

وأعرب عن توقعه بأن الانتخابات ستجرى فى أقرب وقت ممكن.

أكد وزير الخارجية الرغبة فى أن تجرى الانتخابات بنزاهة .

٥ — دار نقاش حول نقص القمح والمنسوجات وقال الوزراء المصريون أنهم يتطلعون الى مساعدتنا فى هذا الشأن .

وأشار وزير الخارجية الى الصعاب الهائلة فى تزويد دول أوربا — التى عانت من الاحتلال — بمجرد ضرورات الحياة . ولكنه أوضح أن مطالب مصر ستدرس بعطف على ضوء الظروف الحاضرة.

٦ — وتحدث وزير الخارجية عن أهمية اتخاذ قرار سريع فيما يتعلق بتطوير مطار الماظه عن طريق مشروع بريطانى مصرى مشترك .

قال رئيس الوزراء أنه كان على وشك أن يرسل الى خطابا فى هذا الموضوع . وأنه يستطيع أن يؤكد لى أن الخطاب سيكون مشجعا .

أكد ايدن أن المطلوب هو قرار عاجل ومشجع .

وأفهمه أحمد ماهر أن هذا القرار سيصدر .

٧ ــ تولى ايدن تذكير أحمد ماهر باشا أن حكومة صاحب الجلالة وافقت على اطلاق سراح شقيقه على ماهر باشا بناء على طلبه الخاص وضمانه بحسن سلوكه. ونظرا لسجل على ماهر باشا الماضى ، فان حكومة صاحب الجلالة تعتمد على رئيس وزراء مصر لضمان امتناعه عن القيام بأى نشاط سياسى . وابلغ أحمد ماهر وزير الخارجية البريطانى أن على ماهر باشا سافر صباح اليوم الى منزله الريفى قرب الاسكندرية ولن يشترك فى اى نشاط سياسى .

٨ ــ أكد حسنين باشا لايدن أن الملك فاروق لا يعد معاديا لبريطانيا مثله تماما ، وأن كلا منهما يعرف أين تتجه مشاعره .

وقال حسنين أن الملك كان ضحية تضليل مستشاريه الأشرار ، وخاصة على ماهر باشا ــ فى بداية توليه العرش .

واضاف حسنين انه كان مقتنعا بأن الملك يؤمن ايمانا قويا أن مستقبل بلاده مرتبط بمستقبل بريطانيا . وانه سيبذل كل ما فى وسعه من أجل التعاون معنا فى الحرب .

٩ ــ كان الوزراء المصريون يشعرون بفضول ؛ وبقدر غير قليل من القلق ، بالنسبة لسياسة الاتحاد السوفيتى وخاصة فى البلقان وشرق البحر المتوسط وتركيا . وقدم لهم وزير الخارجية تقريرا مطمئنا عن زيارة رئيس وزراء بريطانيا ، وقد صحبه فيها لموسكو ، وقد وجدا فى هذه الفرصة روحا من الود والتعاون الحقيقيين اكثر من أى وقت مضى .

١٠ ــ انى أشكر وزير الخارجية لحضوره لمقابلة الوزراء المصريين ، والتأكيد أمامهم ــ بكل ثقل سلطته ــ على النقاط الرئيسية التى كنا نطرحها عليهم أنا وسير والتر سمارت منذ تولت الحكومة الجديدة السلطة .

ان تغيير وزارة الوفد ، التى ظلت فى الحكم لفترة طويلة وتعاونت معنا بشكل طيب للغاية ، ومجىء حكومة ائتلافية من أحزاب المعارضة ، أدى بنا حتما الى وضع أقل استقرارا ، سواء من ناحية مدى التعاون الذى سنلقاه من مجلس الوزراء الجديد ، أو من ناحية قدرة الوزارة على مواجهة الموقف الداخلى الذى وصفه حسنين باشا بأنه ــ ورطة ــ .

وانى أعتقد أن اجتماع ايدن بالوزراء المصريين مفيد من كلتا الزاويتين .

لقد أعرب الباشوات الثلاثة عند مغادرتهم عن سرورهم بشكل خاص لاتاحة الفرصة لهم لمقابلة ايدن بطريقة غير رسمية . وكان موقفهم طوال المقابلة يبدو مدفوعا برغبة حقيقية فى التعاون مع بريطانيا العظمى والاحتفاظ بصداقتها فى عالم ، وصفه أحمد ماهر فى أول لقاء بيننا ، لا تستطيع أمة من الأمم وخاصة الصغرى أن تقف فيه وحدها » .

* * *

ولم يكن الملك أقل ودا من رئيس وزرائه . .أو وزير خارجيته .. أو رئيس ديوانه ..

برقية رقم ٢٠٧

بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤

من مستر شون

الى وزارة الخارجية

١ ــ استقبل الملك فاروق وزير الخارجية ظهر اليوم . وقد رافقت مستر ايدن .

٢ ــ حاول جلالته ــ بوضوح ــ أن يكون وديا . وقد اعتذر

بشدة لأنه لم يستطع أن يستقبل رئيس الوزراء عند زيارته القصيرة لمصر . وطلب من مستر ايدن ابلاغ مستر تشرشل أطيب تمنياته .

واشار الى أنه يود زيارة بريطانيا مرة اخرى عندما تسمح الظروف بذلك .

٣ ــ أعرب وزير الخارجية عن تقديره للتأكيدات الشخصية التى قدمها الملك فاروق بعد التغيير الأخير فى الحكومة ، فيما يتصل بعلاقات مصر ببريطانيا .

شكر جلالته مستر ايدن وقال أنه بينما يتركز اهتمامه الأول كما كان دائما فى مصالح بلاده ، فانه لا يريد احراج حليف مصر اثناء الحرب .

وقال الملك أن هذا الموقف لم يكن موضع فهم كامل دائما من جانب حكومة صاحب الجلالة .

٤ ــ تحدث مستر ايدن عن العمل الكبير الذى لابد من القيام به لتحسين ظروف الحياة للطبقات الأكثر فقرا فى مصر .

أجاب الملك فاروق أن هذه هى رغبته بالذات .

وأعرب الملك عن تقديره لأن حكومة صاحب الجلالة مستعدة للمساعدة بقدر استطاعتها بمد البلاد بشحنات القمح الضرورية والمنسوجات .

٥ ــ كان لدى الملك فاروق بعض التعليقات القاسية عن الحكومة السابقة .

واعترف الملك بأن الحكومة الجديدة ليست فريقا كفئا بشكل كامل بأية حال من الأحوال .

قال :

ــ انها على أية حال لا يمكن أن تكون أسوأ من الحكومة السابقة .

وقال الملك انه تحدث امس باستفاضة مع زعمـــاء مختلف الاحزاب السياسية الممثلة فى الحكومة . وطلب منهم أن يعملوا معا من أجل صالح الشعب المصرى لامن أجل المصالح الانانية الخاصة.

سئل الملك عما سيحدث اذا لم ينجحوا ؟

اجاب الملك أن الفشل سيقع على رءوسهم وان الشعب المصرى لن يسمح بذلك ، وأنه ــ هو نفسه ــ لن يقبل أى عبث » .

واشار الى أنه خلال فترة طويلة ماضية لم يكن على علاقة طيبة بحكومته . وربما لم ندرك نحن ماذا يعنى ذلك .

٦ ــ كان جلالته ــ شأنه فى ذلك شأن الوزراء المصريين أمســ متلهفا على الحصول على معلومات عن العلاقات البريطانيــة السوفيتية الأمر الذى قدم له ، وزير الخارجية ، تقريرا عنه . وبدا الملك أقل تفهما للنوايا السوفيتية مما كان .

٧ ــ أعرب جلالته عن أسفه لأن مستر ايدن لن يبقى فى مصر فترة أطول ، فان الملك كان يرغب فى تكريمه . « ومن المقــرر اقامة مأدبة غداء كبيرة فى القصر غدا دعى اليها كثير من أعضاء السفارة والوزير المقيم وقادة الأسلحة وعدد كبير من البريطانيين» .

❋ ❋ ❋

وعاد كيلرن من جنوب أفريقيا ..

انه نسى النحاس والوفد تماما ولم يذكر الا أن الحرب لم تنته بعــد ..

وهو يريد أن يطمئن على موقفه فى مصر .. وعلى نفوذه فى البــلاد .

برقية رقم ٢٢٩

بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٤٤

من اللورد كيلرن

الى وزارة الخارجية

١ ــ اجتمعت لمدة ساعة مع الملك فاروق .

٢ ــ كان جلالته لطيفا للغاية . وأشرنا اشارة عابرة الى مسألة تغيير الحكومة . وقد انتهزت الفرصة لأذكر انه بعد أن تم القضاء على الخطر الذى كانت تتعرض له مصر وقاعدة امداداتنا هنا فانه من المنطقى أن نكون أقل اهتماما بالمسائل الداخلية فى بلدكم ، بشرط ألا تتعرض مصالحنا للخطر بطبيعة

الحال .

وأكدت أيضا أن المصالح المتعلقة بالحرب كانت دائما العامل الموجه لسياستنا ــ وهى العامل المشروع تماما ــ ولا تزال كذلك.

ولاشك أن جلالته أدرك فى نفس الوقت المسئولية الكاملة التى تقع على كاهله مباشرة الان .

وليس لدى شك فى أن جلالته وحكومته الجديدة مصممان على الوفاء بالتزاماتهما تجاهنا . ويسرنا أننا تلقينا التأكيدات الضرورية فى هذا الشأن .

٣ ــ قال جلالته أنه يدرك تماما مدى المسئولية التى يتحملها . ولم يكن يشعر بأى خوف من هذه الناحية .

ولقد ذكرته ، بكل طريقة ودية ، بالتزامات الملكية الدستورية وخطورة الانحراف عن هذا الطريق الضيق المستقيم .

ضحك وقال ان « النادى » أصبح يضم الان نخبة ممتازة .

٤ ــ انتقل جلالته الى التفاصيل ، واعترف أنه تضايق بسبب المنافسة على المقاعد بين الاحزاب ، وأنه يبذل ماقى وسعه للوصول الى حل . وقد وقع بالفعل مراسيم حل البرلمان .

٥ ــ ذكرت حالتى طاهر وعباس حليم . وقــد فوجئت عنــد عودتى عندما علمت أن طاهر لا يزال يرأس منظمات كثيرة رياضية وغيرها . والاحتفاظ برجل يشتهر بأنه موال للالمــان فى مثل هذه الاماكن البارزة يعد ــ اذا استعملنا تعبيرا مخففا ــ أمرا يدعو للدهشة بل والانزعاج .

حاول جلالته التقليل من شأن طاهر وقال ان الأندية المختلفة هيئات مستقلة ، ولكنه لم يعارض عندما قلت ان ابداء ارادة ملكية سيكون حاسما بالتأكيد .

وفيما يتعلق بعباس حليم فقد اتخذ جلالته موقفا مرضيا بدرجة أكبر . ان هذا الرجل تجب مراقبته ووقفه عند الضرورة .

٦ ــ تحدث جلالته بانفعال عن اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطانى المقيم فى الشرق الاوسط الذى كان صدمة مروعة للشعب المصرى كله . وتساءل عما اذا كان فى الأمر مبالغة أن نأمل أن يفتح هذا الاعتداء الغادر أعين العالم على مؤامرات العناصر اليهودية المتطرفة فى فلسطين .

وأعرب جلالته عن سروره لأن البوليس المصرى تصرف بسرعة وفعالية . وقد كافأ الملك كونستابل البوليس ولكن اذا أبدت حكومة صاحب الجلالة استعدادها لتقديم رمز يشير للاعتراف بشجاعة هذا الكونستابل ، فسوف يرحب بذلك ترحيبا حارا . وأبلغت جلالته أن مستر شون قدم توصية بذلك .

٧ ــ ساد الاجتماع طوال انعقاده أقصى درجات الود .

* * *

ولم تتغير لعبة كيلرن كثيرا ..

كان قبل ذلك يلعبها مع النحاس أو أمين عثمان .. وهو اليوم يلعبها مع احمد ماهر ..

ان كل عمل يتم بالاتفاق بين السفير ورئيس وزراء مصر ..

برقية رقم ٢٣٦٥

بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٤٤

من اللورد كيلرن

الى وزارة الخارجية

١ ــ منذ عودتى فى ١٢ نوفمبر عقدت اجتماعين طويلين ، اجريت خلالهما محادثات مرضية مع رئيس الوزراء الجديد أحمد ماهر باشا

٢ ــ ان مشاعره الموالية لبريطانيا لم تكن موضع شك على الاطلاق . ولكنه أعاد تأكيدها بأكثر الطرق ايجابية . وأضاف أن علاقاتنا الشخصية كانت دائما رائعة (وهذا صحيح) .

وقال الباشا انه يشاركنى تماما هذا الرأى ــ كما يثبت ذلك سجله ــ ولكن المسألة الان هى مسألة السبل والوسائل ــ بل ومسألة الحكومة .

ولقد كان احد أخطاء النحاس باشا أنه كان يضايق الملك فاروق بصفة مستمرة بشأن النقاط الدستورية .

ولا يعتزم أحمد ماهر أن يفعل نفس الشىء . وتقوم فكرته على أساس معالجة المسائل الثانوية عند نشأتها مع تجنب اثارة منازعات مع القصر بقدر الامكان فيما يتعلق بالمسائل الجوهرية التى سوف تحل نفسها بنفسها اذا عولجت بمهارة .

تمنيت لدولته حظا طيبا فى برنامجه الذى يستحق الاعجاب .

وقلت انه بالنسبة لى فاننى أتطلع بشعور من الارتياح الى البقاء خارج الحلبة بقدر الامكان » .

.. والملاحظ أن هذه هى نفس الكلمات التى كان يستعملها السفير مع سرى .. ثم مع النحاس !!

٣ ــ تحدث رئيس الوزراء بصراحة شديدة عن الملك فاروق . وهو يعتقد أن جلالته متلهف الان على أن يلعب اللعبة .

وقد ألح على جلالته فيما يتعلق بأهمية الاعتماد على رئيس وزرائه فى تقديم المشورة السياسية والاحتفاظ باتصال وثيق معه .

وقد أعرب جلالته عن موافقته على ذلك .

٤ ــ أبلغت رئيس الوزراء عن اجتماعى مع جلالته أمس ، وعن الانطباعات الطيبة التى خرجت بها من الاجتماع . وفى نفس الوقت شعرت بأنه من الأفضل أن يظل دولته متيقظا . وعليه أن يتذكر كيف أن الملك فاروق سعى دائما من أجل السيطرة التامة ، ان هذه كانت دائما سياسة القصر التى ورثها الابن عن الاب . وليس لدى شك فى أن الملك الجالس ــ الان ــ على العرش ، يؤمن بحق أن هذا ليس فى مصلحة البلاد .

الواقع المطلوب هو توازن عادل فى السيطرة التى يمارسها العرش والحكومة جنبا الى جنب بحيث يعمل أحدهما كفرملة للاخر فى بعض المناسبات .

قلت انى لست فى حاجة الى أن أذكر دولته بأننا ملكيون مؤمنون بالملكية التى نعلم أنها أفضل نظام للحكم ، وأنها تنطوى على تقدير العاهل والحكومة المنتخبة لمسئولياتهما الدستورية . وينبغى الاعتراف بأن مصر لا يزال أمامها طريق طويل لابد أن تجتازه للوصول الى الديموقراطية الحقة . ولكننى أوضحت لدولته أن هذه هى الغاية التى ينبغى السعى اليها .

بعد تشكيل الوزارة الجديدة بعثت الحكومة البريطانية تسأل عن أحوال صديقها فى مصر المليونير أحمد عبود فأجاب شون :

« ان عبود على علاقة طيبة بالجميع بما فى ذلك رئيس الوزراء الجديد . وقد أبلغنى يوم تشكيل الوزارة أن تعيين مكرم لن يساعد على تنفيذ مشروع كهربة خزان أسوان .

ولكن شون لم يستطع اعطاء عبود اى امل فى ان بريطانيا ستعارض فى تعيين مكرم عبيد فى منصب تولاه مرتين من قبل .

ولكن عندما بدأت جريدة الكتلة تنشر بالزنكوغراف أصول وثائق تدل على التعاون بين الوفد والسفارة فى بعض مسائل التموين مما أتاح لأسرة قرينة النحاس جمع ثروة .. تدخل السفير البريطانى واجتمع بأحمد ماهر وقال له :

ـــ قل للكتلة أن « تحاسب » .

.. وتوقفت الكتلة عن نشر باقى الوثائق ..

ولم يبق كيلرن خارج الحلبة ابدا ..

انه كان دائما فارسها الأول والأخير ..

أحيانا يلعب بنفسه .. وأحيانا من وراء ستار مصرى ..

والجميع يقصدونه .. ينصحونه .. يحاولون التأثير عليه بكل الطرق .. كما تدل على ذلك عشرات الأمثلة ..

* * *

بدأت لهجة النحاس تشتد ضد الانجليز بعد اقالته من الوزارة.

.. نفى النحاس صلته بحادث ٤ فبراير .. أو بالانجليز .. قبل حادث ٤ فبراير .. وتنبأ بشىء من هذا كله السير موريس بيترسون الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية .

كتب يوم ٥ فبراير ١٩٤٢ مذكرة الى أنتونى ايدن قال فيها :

انتهت الأزمة المصرية حتى تبدأ ازمة جديدة .

وسأكون آخر من يعارض نتيجتها العامة ، وهى أننا وضعنا الملك فاروق فى مكانه الصحيح .

ولكن لدى نقطة أحب ان اثيرها .. وستكلفنا غاليا فى المستقبل وهى أن السير مايلز لامبسون لم يكن فى أى وقت من الأوقات على اتصال مباشر بالنحاس فى هذه العملية سواء عند تعيين الحكومة الجديدة ، أو عند التفكير فى عزل الملك .

ونتيجة لذلك سيبقى الباب مفتوحا .. أمام النحاس باشا ليفكر علنا ــ وسيفعل ذلك حتما ــ انه مدين بمنصبه لتأييدنا أو انه ملتزم ازاءنا بشىء .

ولا يوجد شىء نرفعه فى وجهه ــ حتى سرا ــ عندما تقوم ازمة جديدة .

انى لا أعتبر الرسائل المتعددة التى تبادلها السير مايلز لامبسون والنحاس بواسطة أمين عثمان بديلا كافيا عن لقاء مباشر بين السفير وزعيم حزب الوفد .

ان هذه الرسائل ، مهما كانت الثقة بالوسيط ، ربما لم تسلم .. أو على الأقل ، سلمت بطريقة محرفة ومغايرة ، أو مختلفة لما كانت عليه عند التسليم .

وأنا أعرف انى سأتهم بالتزوير .. ولكنى لعبت لعبة الاستغماية اى الظهور والاختفاء ، بنفسى ، مع النحاس .

ويجب قبل أن يكون ذلك متأخرا جدا .. ان تحين اللحظة لنقبض على العرساء .. وأن نجعل الأرنب يظهر على السطح .

انى أعترف بأن معلوماتى عن مصر متخلفة قليلا .. ولكنى مستعد ، اذا سمحتم لى بالدعابة .. وعذرتمونى .. أن أراهن بمبلغ بسيط على أن وزير خارجية بريطانيا سيتساءل خلال ٣ شهور :

ــ لماذا بحق السماء لم نفعل شيئا .. عدا أننا جئنا بالوفد الى الحكم !

***

ويؤشر ايدن على هذه المذكرات قائلا :

بالنسبة لعدم مقابلة لامبسون للنحاس يكتب ايدن « ان للسير لامبسون أسبابه ومنطقه ، ولا أستطيع أن أكون على يقين من أن هذه الاسباب سليمة .. أم لا ..

ويؤشر ايدن على الفقرة الخاصة بأن النحاس سينكر : « ان كل القاهرة رأت قواتنا .. وهذا أفضل من أى لقاء آخر مباشر .

وأما بالنسبة للرهان فيكتب ايدن :

« هذا الرهان مضمون .. لأن سياسة مصر عامة ، والوفد بصفة خاصة تثير المتاعب .. الحقيقة الوحيدة : وهى أننا جئنا بالوفد — ستكون معروفة للقاهرة كلها .. الدبابات والقوات الخ .. ولكن لم يكن لنا خيار » .
وكأن بيترسون يقرأ الغيب ..

نفى النحاس دور الانجليز .

وكانت سياسة تحريك الدبابات علنا وحصار القصر علنا بهدف اخضاع فاروق من ناحية .. وعزل حزب الوفد عن الشعب من نحية أخرى .. فان الحادث كان مقدمةلابتعاد الكثيرين عن الوفد .. لا حبا فى الملك ولكن غضبا لما وجه ضد مصر نفسها .. أو ضد مصر كلها .

وصارت مثلا كلمة النحاس :

— هل اذا دخلوا الوزارة معى زال الانذار .. واذا الفت الوزارة وحدى .. خضعنا للانذار ؟ !

ولم تكن هذه الكلمات سخرية من النحاس .. انها كانت تعكس الواقع السياسى المصرى كله .

ما داموا فى الوزارة فهم لا يخضعون للانجليز .

أما اذا خرجوا من الوزارة فهم يهاجمون الانجليز .

ولم يكن هذا حال النحاس وحده .. بل كان الزعماء جميعا على هذا الحال . وبقى أمين عثمان صديقهم جميعا .. النحاس ومحمد محمود وعلى ماهر وسرى .. الخ . يزورهم جميعا .. ويتوددون اليه .. فقد كان رسولهم الى السفير ..

ظل الزعماء يلعبون معنا .. ومع مصر لعبة الاستغماية .. وهى كلمة وكيل الخارجية البريطانية ! ..

وغير أفراد اللعبة مواقعهم أكثر من مرة ..

أحيانا مع الملك .. وأحيانا يعارضونه.. يختلفون على المناصب الوزارية .. ولا يختلفون على ارضاء الانجليز .

.. بعضهم غير موقعه فى اللعبة باختياره ..

وبعضهم تغير .. رغما عنه .

الكلمة الأخيرة .. لمن ؟

تحملت مصر هذا كله .

وأصبح هذا الماضى بعض تاريخها .. أو صفحات من تاريخها .

ولقد ترددت فى نشر هذه الصفحات ، ولكنها وثائق ملك الأجيال، وهى وحدها صاحبة الحق فى الحكم عليها .

كل ما استطعت أن أحجبه هو الحياة الخاصة ..

رفضت أن أنشر عنها كلمة واحدة .. وعف القلم من النزوات الشخصية للجميع !

.. وكنت أحيانا أتساءل :

— هل يجوز أن يقال أن زعماء مصر كانوا حائرين لا يعرفون أين يتجهون ..

.. أيتجهون للملك ليساعدهم على التخلص من الانجليز .. أم للانجليز ليخلصو هم من الملك أولا ..

***

واعترف بأن الحيرة اخذتنى فترة من الزمن ..

ان هؤلاء الزعماء لا يستطيعون الرد ..

ربما كانوا يكذبون على السفير .. يحاولون استمالته .. فى صفهم ضد الملك .

ربما كان السفير يبالغ فى الصورة التى ينقلها الى لندن .. يريد أن يبين أن قادة مصر كانوا دائما بين أطراف أصابعه .. وعلى أبواب سفارته .. يحركهم كالدمى .. ويستقبلهم عندما يريد .. ويلفظهم حينما يشاء .

ولكن التاريخ يكتب دائما .. أو فى غالب الاحيان بعد أن يحجب الموت .. أبطال الرواية .. ولا يبقى للزمن الا المذكرات وقصص الحياة التى يكتبها أصحابها .

ومعظم الزعماء أبطال الحوادث فى مصر لم يكتبوا مذكراتهم عدا الدكتور محمد حسين هيكل باشا ونشر اسماعيل صدقى وصليب سامى صفحات من مذكراتهما ولكن ذلك كان قبل الثورة وخلال العهد الملكى ، ونفوذ الانجليز وهى بذلك مذكرات غير كاملة أو ليست صريحة كما يجب !

ولم أجد الا شهادة بعض الزعماء أمام عبد اللطيف محمد رئيس محكمة الجنايات وهم يشهدون فى قضية أمين عثمان .

كلهم تبرأوا من السفارة .. وكلهم — لأن الملك أثناء تلك المحاكمة على قيد الحياة .. والملكية هى نظام الحكم فى مصر — وقفوا مع الملك .. ولهم بعض العذر من زمانهم .. ومكانهم .. ولكن ليس لهم العذر أمام مصر . وأمام التاريخ !

وكانت الشهادة مقصورة على أحداث ٤ فبراير وحدها .. سرى قال انه لا يعلم .. والنحاس اكد أنه لم يكن يعرف .. وعلى ماهر يتهم حسنين بأنه كان يعرف أن الدبابات البريطانية ستجىء والسفير البريطانى يصور رعب حسنين ويشبه ورجال القصر بالدجاج المذعور !!

* * *

ان برقيات السفير البريطانى .. ومداولات مجلس الوزراء

البريطانى وحكومة الحرب فى لندن ليست أحكاما نهائية ضد أحد .. ولقد حرصت بالنشر الا يكون ذلك لمصلحة أحد .. ولست أريد أن أدافع عن أحد .. الا مصر .

ان هذه وثائق نشرت بعد أكثر من ٣٠ عاما من أحداث الرواية وهى تلقى الضوء على فصول من تاريخ مصر .. فمن سوء حظ مصر أن أمورها منذ عام ١٨٨٢ حتى ١٩٥٢ كانت فى يد بريطانيا وممثليها ومندوبيها السامين .. أى منذ بدأ الاحتلال الانجليزى لمصر .

وأمنيتى أن تعاد كتابة تاريخ مصر فى ظل هــذه الوثائق .. وغيرها ..

وهذه مهمة الجامعات ومركز الوثائق المصرى ..

ولن ننتصر فى أى معركة الا اذا عرفنا تاريخنا .

وانى أدعو الذين عاصروا هذه الاحداث ليتكلموا .. وأن يكتبوا بعد نشر هذه الوثائق قصة ما جرى من وجهة نظرهم .

ولا يجب أن ننسى انه خلال تلك الاحداث .. وأثناء انشغال ملك مصر وزعماء مصر بالصراع على السلطة كانت اسرائيل تحرص على أن تأخذ ثمن مساعدات تافهة قدمتها لبريطانيا .. وبعد الحرب كانت اسرائيل فى بداية التكوين الحقيقى الرسمى .

***

ان كل برقية قرأتها اقنعتنى بأن كل زعمــــاء مصر كانوا خلال تلك السنوات راغبــين فى الحكم .. ويعتقــدون بأن الحكم هو سبيلهم لتحقيق الاهداف العليا .. وقد تحققت — من غير شك — خطوات على طريق الاستقلال أو على طريق الاصلاح .. ولكن كل ما تحقق — كما كشفت البرقيــات — كان يدور فى فلك السياســة البريطانية باعتبــار أنه شىء ضرورى لاســتمرار الاحتلال بطريقة أو بأخرى .. او بواســطة الزعماء المصريين .. ومن خـــلال استقلال صورى .

وكان زعماء مصر فى حيرة بالغة لا يعرفون أبعاد اللعبة التى يدورون فى فلكها .. لا يدركون أنهم يتحركون فى ظل خيوط العنكبوت البريطانى .. والتاج المصرى وصاحبه الذى كان فى صراع مع السفير يريد أن يأخذ من مصر حصة أكبر لنفسه لا للسفير . وعندما رأى الملك الانجليز يهددون ويتوعدون استسلم فقدم قصره فى رأس التين ليكون مستشفى للانجليز .. وقدم « كتفه » ليضع عليها شارة الجنرال البريطانى .. ورضى من الغنيمة المصرية بأن يكون رئيس الوزراء — أحيانا — على هواه .. يحقق له ما يريد ..

لقد استفاد الملك بآخر فرصة منحها لم الانجليز ليبقى على العرش .. وخسر آخر فرصة ليبقى — فى ظل الشعب — على العرش .

وتكررت لعبة الاستغماية طويلا بعد سنة ١٩٤٤ .

جاء النقراشى وصدقى والنحاس وعلى ماهر ليجلسوا على كرسى رئاسة الوزارة .. تبعا للقاعدة المرعية فى لعبة الاستغماية .. وهى أن تتم اللعبة بالتناوب مرة لمصلحة الانجليز .. ومرة لمصلحة الملك . وفى قليل من الاحيان لمصلحة الشعب ليتولى حزب الاغلبية الحكم .

ولكن حزب الاغلبية تغير بعد تلك الاحداث .. أو هزم نهائيا فى تلك الأحداث .

***

قصر بالزعماء جميعا .. جميعا .. التفكير .. والمدى والخيال ..والادراك السياسى . وكان شعب مصر أبعد نظرا من كل زعمائه وقادته وأحزابه .

ان شعب مصر لم يكن فى حيرة من امره ابدا ..

كانت هذه الفترة بكل ما حوته .. وقودا يصهر هذا الشعب فعرف طريقه ..

ورات مصر مناضلين من أفراد الشعب .. من كل طوائفه وهيئاته . نقاباته وعماله .. موظفيه .. مفكريه .. رجال صحافته .. ضباطه وجنوده .. يهتفون لمصر ويموتون فى سبيلها .

وكانت هذه الفترة القاتمة المظلمة عاملا حاسما فى اعادة تشكيل التفكير السياسى المصرى .

لم تعد لعبة القوى الثلاثية مجدية .. أو هدفا لاحد .. ملت مصر « الاستغماية » بدورانها المتكرر ..

وكان لابد أن يطاح بهذا كله .. وتقوم ثورة .

***

ولم تكن الثورة قاصرة على مصر وحدها ..

ان كيلرن اثناء الحرب كان سفيرا لدى ٣ ملوك و ٣ حكومات استقرت فى القاهرة فى ذلك الوقت .

كان فى القاهرة ملوك مصر .. واليونان .. ويوغوسلافيا ..

ورغم اختلاف الأسباب والبواعث التى أدت الى الاطاحة بالملوك الثلاثة .. والنتائج التى ترتبت على ذلك فقد عزل ملوك مصر .. واليونان .. ويوغوسلافيا الذين كان يتحدث اليهم كيلرن .. أو يفرض عليهم كيلرن أوامره .. فان الدبلوماسى البريطانى لم يحاول أبدا أن يصل الى الأعماق . كانت القوة الظاهرة .. والزعماء الذين يجلسون على قمة السلطة هم هدفه الأول والأخير .. اذا امتثلوا لارادته فرح .. واذا عارضوه استعان بالقوات البريطانية ..

ونجده بعد فبراير يقرر بين الحين والحين الاستعانة بالجيش البريطانى للاطاحة بفاروق فقد استمرا اللعبة .. وخضع فاروق للتهديد فى كل مرة ولم يقاوم أبدا ..

***

وبعد فان كل هذه الصفحات تاريخ بعض حكام مصر .

ولست ادرى حتى الأن أى تعريف أطلقه على هؤلاء الحكام ..

هل كانوا خونة لأنهم يستعدون الانجليز على بعضهم البعض .. ويستعدون الانجليز على الملك ؟ !

ان كلمة الخيانة صعبة قاسية . ولا يجب أن تطلق جزافا .

انهم ــ فقط ــ كانوا يعرفون ان السفير البريطانى هو الحاكم الحقيقى لمصر .. وما دام جيش الاحتلال قائما فلا بد من الرجوع للسفير ، واستعداء السفير .. ومساومة السفير !

..هذا هو اسلوب الحكم والسياسة فى عصرهم .. السفير هو احد أركان العهد .. أو الركن الرئيسى فيه .. والتعامل معه هو جزء من المناورات السياسية .. وهو شىء لا نعرفه ومن الصعب أن نحكم عليه الآن .. أو ندينه الان .. بعدما تغيرت الظروف .. واذا لم يكونوا خونة .. وكانوا واقعيين فمن الواضح انهم ليسوا ابطالا على الاطلاق .

***

ومن المؤكد انهم لم يكونوا على المستوى المثالى العالى للوطنية .

لم يترفعوا أبدا .. ولم يرتفعوا أبدا الى الدور الذى كنا نأمل أن يكونوا فيه .. لم يصلوا أبدا الى المقام الذى وضعهم فيه الشعب ..

ولم يستطيعوا تحقيق الآمال الشعبية العظيمة .

كانوا يريدون خلال فترات وصولهم الى لحكم .. أن ينتزعوا من السفير .. قانونا .. أو عدة قوانين .. بعض مزايا للعمال أو للفلاحين تمصير بعض الشركات .. ولا أقول التأميم .

وكانوا يريدون من السفير ان يعطيهم الفرصة ليحققوا لهذا الشعب بعض التقدم .

من غير شك كانت هذه بعض أعمالهم. .وكانت أمنياتهم لمصر — من غير شك — اكبر من قدراتهم . . وأبعد من عزائمهم .

انهم اخطأوا لأنهم . .

كانوا ينسون . . أو يتجاهلون أن هدف السفير أن يبقى هـذا الشعب فى اطار معين يخدم مصالح بريطانيا . . ويتحقق من خلال هذا الاطار تتابع الوزارة للجميع . . حتى يظل الجميع مؤملين خيرا من السفير وحكومته !

ان هذه الوثائق تصور للجيل الجديد حقيقة واحدة . . وهى كيف كانت تحكم مصر ؟ هذا الكتاب لا يقول أكثر من هذه الحقيقة . ولا يهمس بأقل منها .

انه يقولها بوثائق مدوية . . مفزعة . . مؤلمة ورهيبة أيضا .

انه يسلط الضوء الكاشف على أسلوب الحكم فى مصر خلال عهد أطلقنا عليه عهد الاستقلال ! .

والتفسير الصحيح لهذا العهد ان سيف الحاكم كان مصريا ولكن اليد القاطعة . . أجنبية دخيلة . . كان يجب ان نشير اليها ولا نبقيها خافية عن الناس ثلاثين عاما أو تزيد حتى تنطق بها أوراق ووثائق ينشرها مركز الوثائق البريطانية فى لندن كل حين .

كانت هذه مسئولية الزعماء . . ولكنهم عجزوا عن أن يقولوا للشعب ان السفارة هى التى تحكم . . أو هى الحاكم الحقيقى !

* * *

ولا توجد كلمات من خلال الوثائق استطيع بها ان أضع نهاية هذا التاريخ السرى لمصر . ؟

لا تستطيع الوثائق البريطانية أو غيرها ان تضع خاتمة لحياة هذا الشعب .. أو لكفاح هذا الشعب .

سيبقى الشعب المصرى يفرض تاريخه المتجدد على مر الزمن .. الخالد على امتداد النيل فهو شعب قادر على العطاء .. يستطيع ان يصنع أبطاله .. ويقدر عند الضرورة .. على ان يرفع فوق كل الرءوس .. شهداءه .

* * *

ولن ترضى هذه الصفحات قارئا كان فى يوم من الأيام حزبيا .. فهى تدين كل الاحزاب .

وقد يحس بعض القراء بغصة .. بمرارة .. أو بأسى ولكن الشعوب العظيمة هى التى تقرأ ذلك التاريخ السرى وهى تعلم انها لن تملك القدرة على تغيير الماضى .. ولكنها تملك الأمل والعمل على صنع المستقبل الأفضل .. والتاريخ الأكثر رواء .. وبهاء .. ونقاء .

والهدف فى النهاية . وهو الهدف الوحيد .. المستقبل المشرق .. لمصر الخالدة ..

ولسنا نريد من الاحساس بالمرارة .. الا ان يدفعنا للعمل .

وبقدر ما يكون العمل قويا .. وصادقا .. سيكون التاريخ الجديد .. لمصر .

فهـــرس

كتب للمؤلف

١ ــ حكايات صحفية ١٩٥٤

٢ ــ الزواج سنة ٢٠٠٠ . . . . . . ١٩٧٢

٣ ــ الشعب والحرب ١٩٧٢

٤ ــ تاريخ للبيع ١٩٧٢

تحت الطبع :

أفكار للتليفزيون

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٣ / ٣٣٥٨

هذا الكتاب

من الوثائق السرية للحكومة البريطانية، ومن البرقيات التي كان يبعث بها السفير البريطاني في القاهرة الى وزارة الخارجية في لندن ومن محاضر اجتماعات رؤساء اركان حرب القوات البريطانية استقى الكاتب الصحفي محسن محمد مادة هذا الكتاب الذي يقدم لأول مرة تاريخ مصر من زاوية جديدة لم يطرقها مؤرخ او كاتب من قبل.

ان هذا الكتاب يرفع الستار عن حقائق جديدة تبين كيف كانت تحكم مصر خلال سبعين عاما.

وفي هذا الكتاب يكشف الكاتب عن محاولات بريطانيا عزل الملك احمد فؤاد وفاروق وقصة تأليف الوزارات المصرية.. وموقف السفير البريطاني في القاهرة ازاء رؤساء الوزارات المصرية .. واخيرا محاضر الاجتماعات السرية بين سفراء بريطانيا وكل من مصطفى النحاس وعلي ماهر واحمد ماهر وحسن صبري وحسين سري ومحمد محمود وعشرات غيرهم من زعماء مصر.

واخيرا فان الكاتب يقدم اسرار حادث ٤ فبراير ١٩٤٢.

